

زَهْرُ الْأَرْبَابِ

وَمَهْرُ الْأَلْبَابِ

لِأَبِي إِسْحَاقَ الْحَضَرِيِّ الْقَيَّرَوَانِيِّ

—>>>•<<<—

مَنْعِلٌ وَضُيُوطٌ وَمَسْرُوعٌ

بِقَلَمِ

الذَّكُورِ زَكِيٍّ مُسَابِقِ

—
الجزء الثاني

يُطَلَّبُ مِنَ الْمَكْتَبَةِ الْجَازِيَّةِ الْكُبْرَى بِأَوَّلِ شَتَاءِ رَجَبٍ مَجْدٍ عَلَيْهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صفات الطعام

حَسْبُكَ الْفَاطَ لَا هَلْ الْعَصْرُ فِي صِفَاتِ الطَّعَامِ وَمَقْدَمَاتِهِ وَمَوَائِدِهِ وَأَلَاتِهِ ۝

أَفْرِشْ طَعَامَكَ اسْمَ اللَّهِ ، وَأَلْحِفْهُ حَمْدَ اللَّهِ ، لَا يَطِيبُ حُضُورُ الْخَوَانِ ، إِلَّا مَعَ الْإِخْوَانِ ، الْبَخْلُ بِالطَّعَامِ ، مِنْ أَخْلَاقِ الطَّعَامِ ، الْكَرِيمُ لَا يُحْظَرُ ، تَقْدِيمَ مَا يَحْضُرُ قَدْ قَامَتْ خُطْبَاءُ الْقُدُورِ ، قُدُورُ أَبْكَارٍ ، بِخَوَاتِمِ النَّارِ ، قَدْ طَارَ عَرَفُهَا ، وَطَابَ عَرَفُهَا ، دِهْمَاءُ تَهْدَرُ كَالْفَنِيْقِ ^(١) ، وَتَفُوحُ كَالْمَسْكِ الْفَنِيْقِ . مَائِدَةُ كِدَارَةِ الْبَدْرِ ، تَبَاعَدُ بَيْنَ أَنْفَاسِ الْجَلَّاسِ ، مَائِدَةُ مِثْلِ عُرُوسٍ ، مَائِدَةُ لَطِيفَةٍ ، مُحْفُوفَةٌ بِكُلِّ طَرِيفَةٍ ، مَائِدَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى بَدَائِعِ الْمَأْكُولَاتِ ، وَغَرَائِبِ الطَّيِّبَاتِ ، مَائِدَةُ كَأَنَّمَا عَمَلَهَا صُنَاعُ صُنْعَاءٍ ، تَجْمَعُ بَيْنَ أَنْوَاعِ الرَّبِيعِ ، وَثَمَارِ الْخَرِيفِ

وَقَالَ الْجَمَّازُ : جَاءَنَا فُلَانٌ بِمَائِدَةٍ كَأَنَّهَا زَمَنُ الْبَرَامِكَةِ عَلَى الْعُقَاةِ ! وَذِمَّ آخَرُ رَجُلًا فَقَالَ : لَا يَحْضُرُ مَائِدَتُهُ إِلَّا أَكْرَمُ الْخَلْقِ ، وَالْأَمَهُمْ ، يَرِيدُ الْمَلَائِكَةَ وَالذَّبَابَ وَقَالَ ابْنُ الْحَجَّاجِ لِرَجُلٍ دَعَاهُ وَأَخَّرَ الطَّعَامَ

قَدْ جُنَّ أَصْحَابُكَ مِنْ جُوعِهِمْ * فَاقْرَأْ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الْمَائِدَةِ

وَابْعُضْ أَهْلَ الْعَصْرِ يَنْدِمُ رَجُلًا

خَوَانٌ لَا يُلِيمُ بِهِ ضِيُوفٌ * وَعَرِضٌ مِثْلُ مَنْدِيلِ الْخَوَانِ

رَغْفَانٌ كَالْبَدُورِ الْمُنْطَقَةِ بِالنَّجُومِ ، حَمَلٌ ذَهَبِيٌّ الدُّنَارِ ، فَضَى الشُّعَارِ ، أَطِيبُ

مَا يَكُونُ الْحَمْلُ ، إِذَا حَلَّتِ الشَّمْسُ الْحَمْلَ ، جَدَى كَأَنَّمَا تُدْفَى عَلَى جَبِينِهِ الْقَرْيُ ،

(١) الْفَنِيْقُ . الْفَحْلُ الْهَائِجُ

زيرباجة ، هي المائدة ديباجة ، تشفى السقام ، ولونها لون السقيم ، سكباجة تفتق الشهوة ، وأسفيدباجة تغزو القرم ، وطباهجة يتفكه بها ، وخبيص يختم بخير ، طباهجة من شرط الملوك ، كأعراف الديوك ، وقلية كالعود المطرى ، مغمومة تفرج غم الجائع ، هريسة نفيسة ، كأنها خيوط قرز مشتبكة ، كأن المرى عليها عصارة المسك ، على سبيكة الفضة ، أرزة ملبونة ، فى السكر مدفونة ، سواء شراب ، وقالودج رجراج ، طباهجة تغذى ، وفالودجة تعزى ، واسفيدباجة تصنع قفا الجوع ، لافراش للنبيذ ، كالحمل الحنيد ، دجاجة سميطه ، لها من الفضة جسم ، ومن الذهب قشرة ، دجاجة دينارية ثمننا ولونا^(١)

وهذا محلول من قول على بن العباس الروى يصف طعاماً أكله عند أبى بكر الباقطاني

وسميطة صفراء دينارية * ثمننا ولونا زفها لك حزور^(٢)
 عظمت فكادت أن تكون أوزة * وغلت فكاد إهابها يتفطر
 طفقت فجود بذوبها جوذابة * فأتى لباب اللوز فيها السكر
 ظلنا نقشر جلدها عن لحمها * فكأن تبراً عن الجبن يُقشر
 وتقدمتها قبل ذلك ثرائد * مثل الرياض بمثل ذاك تصدر
 ومرققات كهن مزخرف * بالبيض منها مُلبس ومدثر
 وأنت قطائف بمداك لطائف * ترضى الآهة بها ويرضى الحنجر
 ضحك الوجوه من الطبرزد فوقها * دمع العيان من الدهان يُصّر

(١) تلك أسماء الاطعمة التى كان يعرفها العرب لعهد الدولة العباسية ، وأكثرها أسماء فارسية تغيب عنا مسمياتها الآن . لان للاطعمة اليوم أسماء جديدة أكثرها تركية وفرنسوية (٢) الحزور : السريع الى اكرام الضيف

المقامة البغدادية

قال البديع حدثني عيسى بن هشام قال : اشتهيت الأزاذ ، وأنا ببغداد (١) وليس معي عقد ، على نقد (٢) فخرجت أنهرز محالّه ، حتى أحلّني الكرخ (٣) فإذا أنا بسوادى يحدو بالجهد حماره ، ويطرف بالعقد إزاره (٤) فقلت ظفرنا والله بصيد وحياك الله أبا زيد ! من أين أقبلت ، وأين نزلت ، ومتى وافيت ، فهلم الى البيت . فقال السوادى : لست بأبى زيد ، وإنما أنا أبو عبيد ! فقلت نعم لمن الله الشيطان ، وأبعد النسيان ، أنسأنى طول العهد بك ، كيف أبوك ، أشاب كهمدى أم شاب بعمدى (٥) قال قد نبت المرعى على دمنته ، وأرجو أن يصيّرّه الله الى جنته ، (٦) فقلت انا لله ولا قوة إلا بالله ، ومددت يد البدار ، الى الصّدار (٧) أريد تمزيقه ، وأحاول تخريقه (٨) فقبض السوادى على خصرى بجممه (٩) وقال : نشدتك بالله لا مزقته ، فقلت فهلم الى البيت نصب غداء ، أو الى السوق نشترى شواء ، والسوق أقرب ، وطعامه أطيب ، فاستفزته حمة القرم (١٠) وعطفته عطفة النّهم ، وطمع ، ولم يعلم انه وقع ، ثم أتيت شواء ينقاطر شواؤه عرقاً ، وبتسائل

(١) الازاذ : من أجود أنواع التمر ، وبغداد : هي بغداد (٢) ليس معي عقد على نقد : أى ليس معي نقود يعقد عليها السكيس والثوب (٣) المحال : جمع محل ، والكرخ في الجانب الغربى من بغداد (٤) السوادى : الرجل من قرى العراق : نسبة الى السواد ، وسمى العراق سواداً لا كتساء أرضه بالخضرة — يطرف بالعقد إزاره : أى يرد أحد طرفيه الى الآخر (٥) كهمدى : أى كهمدى به حين عرفته (٦) الدمنة : آثار الديار ، ولا يثبت الر بيع على الدمنة الا حين يبعد عهدا بالخراب ، يريد ان أباه مات منذ زمن طويل (٧) البدار : المسارعة ، والصدار : قبيص صغير يلى البدن (٨) يريد انه هم بتمزيق ثوبه من الحزن ؛ (٩) جمع السكف ، بضم الجيم ، قبضته (١٠) الحمة : إبرة العقرب يلسع بها من يلمسه ، والقرم شدة الشهوة الى اللّحم

جُوداً به مرقاً^(١) قلت أبرز لأبي زيد من هذا الشواء ، ثم زن له من تلك الحلواء ، واختر من تلك الاطباق ، ونضد عليها أوراق الرقاق ، وشيتاً من ماء السماق^(٢) ليأكله أبو زيد هنيئاً . فأتى الشواء بساطوره ، على زبدة تنوره^(٣) فجعلها كالكمحل سحماً ، وكالطحين دقاً ، ثم جلس وجلس ، ولا نبس ولا نبست ، حتى استوفيناه ، وقلت لصاحب الحلواء : زن لأبي زيد من اللوزينج رطلين^(٤) فانه أجرى في الخلق ، وأسرى في المروق ، وليكن ليلى العمر ، يومى النشر^(٥) رقيق القشر ، كثيف الحشو ، لؤلؤى الدهن ، كوكبي اللون ، يذوب كالصمغ ، قبل المضغ ، ليأكله أبو زيد هنيئاً ، فوزنه . ثم قعد وقعدت ، وجرد وجردت^(٦) واستوفيناه ، ثم قلت يا أبا زيد ما أحوجنا الى ماء يشعشع بالثلج ، ليقمع هذه الصارّة^(٧) ويفثأ هذه اللقم الحارة ،^(٨) اجلس أبا زيد حتى آتاك بسقاء ، يحيينا بشربة من من ماء ، ثم خرجت ، وجلست بحيث أراه ولا يراني ، أنظر ما يصنع به . فلما أبطأت عليه قلم السوادى الى حماره ، فاعتلق الشواء بازاره . وقال أين نحن ما أكلت ؟ قال ما أكلته إلا ضيفاً ! قال الشواء هالك وآك ، متى دعوناك ، زن يا أبا القحبة عشرين ، وإلا أكلت ثلاثاً وتسعين ! فجعل السوادى يبكى ويمسح دموعه بأردانه ، ويحل عقده بأسنانه ، ويقول كم قلت لذلك القرئد ، أنا أبو عبيد وهو يقول أنت أبو زيد ! فأنشدت :

اعمل لرزقك كل آلة لا تقعدن بذل حاله
وانهض بكل عزيمة فالمرء يعجز لا المحالة

(١) الجوداب خبز يوضع في التنور ومعه طائر أو لحم (٢) السماق حب أحمر صغير شديد الحموضة ، شجره يشبه الرمان (٣) الساطور : آلة يقطع بها الجزار اللحم (٤) اللوز ينج : نوع من الحلواء يصنع من نوع من الخبز ويسقى بدهن اللوز ، ويحشى بالجوز (٥) ليلى العمر : صنع من ليلته ، ويومى النشر : نشر في يومه (٦) جرد وجردت : يريدان كلامهما جردتيا به استعداد المائدة (٧) الصارّة : العطش (٨) يفثأ : يسكن

وصف القطائف

ومن مديح ما قيل في القطائف قول بن يحيى بن أبي منصور المنجم
قطائف قد حشيت باللوز والسكر الماذى حشو الموز^(١)
يسبح في آذى دهن الجوز سررت لما وقعت في حوزى
سرور عباس بقرب فوز^(٢)

ومن ألفاظ أهل العصر في الحلواء : قالودج بلباب البئر ، ولعاب النحل ، كأن
اللوز فيه كواكب در ، في سماء عقيق . ولم يقل أحد في صفة اللوزينج أحسن
من قول بن الرومي

لا يخطئني منك لوزينج * إذا بدا أعجب أو عجباً
لو شاء أن يذهب في صخرة * لسهل الطيب له مذهباً
لم تغلق الشهوة أبوابها * إلا أبت زلفاه أن يُحجباً
يدور بالنفحة في جامه * دوراً ترى الدهن له لولباً
عاون فيه منظر مخبراً * مستحسن ساعد مستعذباً
مستكشف الحشو ولكنه * أرق جلدًا من نسيم الصبا
كأنما قدت جلايبه * من نقطة القطر إذا حبيباً
يخال من رقة خرشائه * شارك في الأجنحة الجندبا^(٣)
لو أنه صور من خبزه * نغزل كان الواضح الأشنباً^(٤)
من كل بيضاء بود الفتى * أن يجعل الكف لها مركبا
مدهونة زرقاء مدقوقة * صهباء تحكي الأزرق الأشهباً

(١) الماذى : العسل — الآذى : الموج (٢) فوز : هي معشوقة العباس بن الاحنف

(٣) الخرشاء : الجلد الرقيقة (٤) الاشنب : من الشنب وهو رقة وبرد

قَرَّةَ عَيْنٍ وَفَمٌ حُسْنَتْ * وَطَيَّبَتْ حَتَّى صَبَا مِنْ صَبَا
 دَرِيفٌ لَهُ اللُّوزُ فَمَا مَرَّةً * مَرَّتْ عَلَى الذَّائِقِ إِلَّا أَبَا (١)
 وَانْتَقَدَ السَّكْرَ تَقَادُهُ * وَشَاوَرُوا فِي نَقْدِهِ الْمَذْهَبَا
 فَلَا إِذَا الْعَيْنُ رَأَتْهُ نَبَتْ * وَلَا إِذَا الضَّرْسُ عَلَاهُ نَبَا
 لَا تَنْكُرُوا الْإِدْلَالَ مِنْ وَامِقٍ * وَجْهٌ تَلَقَّى بِكُمْ الْمَطْلَبَا
 هَذِهِ الْبَيَاتُ يَقُولُهَا فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ يَمْدَحُ فِيهَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشَرَ الْمُرْنَدِيُّ وَيَهْنِيهِ بِابْنِ وَلَدِهِ وَأَوَّلُهَا

شَمْسٌ وَبَدْرٌ وَلَدَا كَوَكْبَا * أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ نَقْدُ أَنْجَبَا
 قَالَ أَبُو عَثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاجِمُ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ وَهُوَ يَعْمَلُ هَذِهِ
 الْقَصِيدَةَ فَقُلْتُ لَوْ تَفَاءَلْتُ فِيهَا لِأَبِي الْعَبَّاسِ بِسَبْعَةٍ مِنَ الْوَلَدِ لِأَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ
 مَعْكُوسًا سَابِعَ لِحَاءِ الْمَعْنَى ظَرِيفًا فَقَالَ

وَقَدْ تَفَاءَلْتُ لَهُ زَاجِرًا * كُنْيَتُهُ لَا زَاجِرًا ثَعْلَبًا
 أَنِّي تَأَمَّلْتُ لَهُ كُنْيَةً * إِذَا بَدَأَ مَقْلُوبُهَا أُعْجَبَا
 يَصُوغُهَا الْعَكْسُ أَبَا سَابِعٍ * لَا كَذَبَ اللَّهُ وَلَا خَيْبَا
 بَلْ ذَاكَ قَالَ ضَامِنٌ سَبْعَةً * مِثْلَ الصَّقُورِ اسْتَشْرِفَتْ مَرْقَبَا
 يَأْتُونَ مِنْ صُلْبِ قَتِيٍّ مَاجِدٍ * وَذَاكَ قَالَ لَمْ يَعُدْ مَعْطَبَا
 وَقَدْ أَتَى مِنْهُمْ لَهُ وَاحِدٌ * فَلَنَنْتَظِرْهُمْ سِتَّةَ غُيَّبَا
 فِي مَدَّةٍ تَغْمُرُهَا نِعْمَةٌ * يَجْعَلُهَا اللَّهُ لَهُ تَرْتَبَا
 حَتَّى نَرَاهُ جَالِسًا بَيْنَهُمْ * أَجَلٌ مِنْ رَضْوَى وَمِنْ كَبْكَبَا
 كَالْبَدْرِ وَافِي الْأَرْضِ مِنْ نُورِهِ * بَيْنَ نَجُومٍ سَبْعَةٍ فَاجْتَبَا
 وَلَيْشُكَّرِ النَّاجِمُ عَنْ هَذِهِ * فَانْهَافًا مِنْ بَعْضِ مَا بَوَّبَا
 سَدَى وَأُلْحِتُ أَخٌ لَمْ أَزَلْ * أَشْكُرُ مَا أَسْدَى وَمَا سَبَّبَا

نهم ابن الرومي

وكان ابن الرومي منهوما في الماء كل ، وهي التي قتلته ، وكان معجبا بالسماك
فوعده أبو العباس المرندي أن يبعث إليه كل يوم بوظيفة لا تنقطع ، فبعث إليه
يوم سبت ثم قطعه ، فقال

ما لحيتاننا جفّتنا وأنى * أخلاف الزائرون منتظرهم
جاء في السبت زورهم فأتينا * من حفاظٍ عليه ما يكفيهم^(١)
وجعلناه يوم عيد عظيم * فكأننا اليهود أو نحكيهم
وأراهم مصممين على الهجـ — رفلم يسخطون من يرضيهم
قد سبتنا وما أثنتنا وكانوا * يوم لا يسبتون لأناتهم

فانصل ذلك بالناجم فكتب إلى ابن الرومي

أبا حسن أنت من لا ترا * ل محمد في الفضل رجحانه
فكم تحسن الظن بالمرندي * وقد قلل الله إحسانه
ألم تدر أن الفتى كالسرّاب * إذا وعد الوعد إخوانه
فبحر السرّاب يفوت القلوب * فقل في طلابك حيتانه

وخرج ابن الرومي إلى بعض المتنزهات وقصدوا كرما رازقيا فشربوا
هناك عامة يومهم ، وكانوا يتهمونهم في شعره ، فقالوا إن كان ما تنشدنا لك فقل في هذا
شيئا ، فقال لا تريعوا حتى أقول فيه وأنشدهم لوقته

ورازقي مخطف الحصور * كأنه مخازن البلّور
قد ضمنت مسكا إلى الشطور * وفي الأعلى ماء وورد جورى
بلا فريد وبلا شدور * له مذاق العسل المشور

وَبَرْدُ مَسِّ الْخَصِرِ الْمَقْرُورِ * وَنَكْهَةُ الْمَسْكِ مَعَ الْكَافُورِ
 وَرَقَةُ الْمَاءِ عَلَى الصَّدُورِ * بَا كَرْتُهُ وَالطَّيْرِ فِي الْوُكُورِ
 بَفْتِيَّةٍ مِنْ وَلَدِ الْمَنْصُورِ * أَمْلَأُ لِلْعَيْنِ مِنَ الْبُدُورِ
 حَتَّى أَتَيْنَا خِيْمَةَ النَّاطُورِ * قَبْلَ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ الْمَذُورِ
 فَانْحَطَّ كَالطَّائِفِ مِنَ الصَّقُورِ * بِطَاعَةِ الرَّائِبِ لَا الْمَهْجُورِ
 وَالْحَرَّ عَبْدَ الْحَلَبِ الْمَشْطُورِ * حَتَّى أَتَيْنَا بِضُرُوعِ حُورِ
 مَمْلُوءَةٍ مِنْ عَسَلِ مَحْصُورِ * وَالطَّلَّ مِثْلَ الْوَأْوِ الْمَنْشُورِ
 ثُمَّ جَلَسْنَا جَلْسَةَ الْمَجْبُورِ * بَيْنَ حَفَافِي جَدُولِ مَسْجُورِ
 أَبْيَضٌ مِثْلَ الْمُهْرَقِ الْمَنْشُورِ * أَوْ مِثْلَ مَتْنِ الْمَنْصُلِ الْمَشْهُورِ
 يَنْسَابُ مِثْلَ الْحَيَةِ الْمَذْعُورِ * بَيْنَ سِمَاطِي شَجَرِ مَسْطُورِ
 نَاهِيكَ لِلْعَقُودِ مِنْ ظَهْورِ * فَتَنَيْتُ الْأَوْتَاطَارَ فِي سُرُورِ
 وَكُلَّ مَا يَقْضَى مِنَ الْأُمُورِ * تَعَلُّمًا مِنْ يَوْمِنَا الْمَنْظُورِ
 وَمُتَعَةً مِنْ مُتَعِ الْغُرُورِ

صفات الفواكه والثمار

(الفاظ تناسب هذا النحو لأهل العصر في صفات الفواكه والثمار)

كَرْمٌ نُسَلِفُهُ الْمَاءُ الْقِرَاحُ ، وَيَقْضِينَا أَمْهَاتِ الرَّاحِ ، عَنُقُودُ كَالْثَرِيَا ، وَعَنْبُ
 كَمَخَازِنِ الْبَلُورِ ، وَضُرُوبُ النُّورِ ، وَأَوْعِيَةُ السَّرُورِ . أَمْهَاتِ الرَّحِيقِ ، فِي مَخَازِنِ
 الْعَقِيقِ ، نَحْلُ نُسَلِفُهُ الْمَاءُ ، وَيَقْضِينَا الْعَسَلُ ، رَطْبُ كَأَنَّهَا شَهْدَةٌ بِالْعَقِيقِ مَقْنَعَةٌ ،
 وَبِالْعَقِيَانِ مَقْنَعَةٌ ، رِمَانٌ كَأَنَّهُ صُرَّرَ الْيَاقُوتُ الْأَحْمَرُ ، سَفَرَجَلٌ يَجْمَعُ طَيِّبًا ، وَمَنْظَرًا
 حَسَنًا عَجِيبًا ، كَأَنَّهُ زَيْبَرُ الْخَزْ الْأَغْبَرِ ، عَلَى الدِّيْبَاجِ الْأَصْفَرِ ، تَفَاحٌ نَفَّاحٌ ،
 يَجْمَعُ وَصْفَ الْعَاشِقِ الْوَجِلِ ، وَالْمَعْشُوقِ الْخَجَلِ ، لَهُ نَسِيمُ الْعَبِيرِ ، وَطَعْمُ السُّكَّرِ ،
 رَسُولُ الْحُبِّ ، وَشَبِيهِ الْحَبِيبِ ، تَيْنٌ كَأَنَّهُ سُفْرٌ مَضْمُومَةٌ عَلَى عَسَلٍ ، مَشْمَشٌ
 كَأَنَّهُ الشَّهْدُ فِي بِيَادِقِ الذَّهَبِ

وصف الليل

قال بعض الرواة أنشدت أعرابيا قول جرير بن عطية بن الخطافي
أُبَدِّلَ الليل لا تسرى كواكبُهُ * أم طال حتى حسبت النجم حيرانا
فقال هذا حسن في معناه ، وأعوذ بالله من مثله ، ولكني أنشدك في ضده
من قولي وأنشدني

وليل لم يقصِّرْه رقادٌ * وقصَّرْ طوله وصل الحبيب
نعم الحب أوردق فيه حتى * تناولنا جناهُ من قريب
بمجلس لذة لم نقو فيه * على شكوى ولا عذ الذنوب
بجئنا أن نقطعه بلفظٍ * فترجعت العيون عن القلوب
فقلت له زدني فما رأيت أظرف منك شعرا ، فقال أما هذا الباب فحسبك ،
ولكن أنشدك من غيره

وكنتم إذا علقتم حبال قومٍ * صحبتهم وشيمتى الوفا
فأحسن حين يحسن محسنهم * وأجنب الإساءة إن أساءوا
أشياء سوى مشيئتهم فأتى * مشيئتهم وأترك ما أشاء

خلف الأحمر

قال الأصمعي قرأت على أبي محذر خلف بن حيان الأحمر شعر جرير فلما
بلغت إلى قوله

ويوم كاهام القطاة محببٍ * إلى صباه غالب لي باطله
رُزِقناه الصيد العزيز ولم نكن * كمن نبله محرومة وحبائله
فيالك يوم خير قبل شره * تغيب واشيه وأقصر عاذله

فقال خلف : ويحه فما ينفعه خير يؤول إلى شر ؟ فقلت له كذا قرأته على

أبي عمرو بن العلاء . فقال لي وكذا قال جرير : وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا ماسمعا ، قلت فكيف كان يجب أن يكون ، قال الأجود أن يقول خيره دون شره ، فارود كذلك فقد كانت الرواة قديما تصلح أشعار الأوائل ، فقلت والله لا أرويه بعدها إلا كذا

قصر الليل

ومن أجود ما قيل في قصر الليل قول إبراهيم بن العباس
وليلة من الليالي الغر * قابلت فيها بدرها بيدري
لم تك غير شفق وفجر * حتى تقضت وهي بكر الدهر
وقال محمد بن أحمد الاصبهاني فيما يتعلق بهذا المعنى وإن كان في ذكر النهار
كيف يرجي لقلتي هدو * ورُقادي لطرف عيني عدو
بأبي من نعمت منه بيوم * لم يزل للسرور فيه نمو
يوم لهو قد التقى طرفاه * فكان العشي فيه غدو
إذ لشخص الرقيب فيه تناء * ولبدر السماء مني دنو
وقال ابن المعتز

يارب ليل سحر كله * مفتضح البدر عليل النسيم
تلتقط الأنفاس برد الندى * فيه قهديه لحرّ الهموم
لا أعرف إلا صباح لما بدا * في ضوءه إلا يسكر النديم
لبست فيه بالتذاذ الهوى * ولذة الراح ثياب النعيم

وصف منبج

أخذ قوله (سحر كله) من قول عبد الملك بن صالح بن علي وقد قال له الرشيد لما دخل منبج: أهذا منزلك ؟ قال هولاك ، ولي بك يا أمير المؤمنين ، قال كيف بناؤه ؟ قال دون منازل أهلي ، وفوق منازل الناس . قال وكيف ذلك وقدرك

فوق أقدارهم ؛ قال ذلك مُخلِّق أمير المؤمنين أتأسى به ، وأقفو أثره ، وأخذوا
حذوه ، قال فكيف طيب منبج ؛ قال : عذبة الماء ، طيبة الهواء ، قليلة الادواء ،
قال فكيف أيلها ؛ قال سحر كله ؛ وأخذ هذا الطائى فقال :

أَيامناً مصقولةً أطرافها * بك واليالى كلها أسحارُ

ولأهل العصر : قل أبو على محمد بن الحسين بن المظفر الحامى
يارب ليل سرور خلته قصرًا * كعارض البرق فى أفق الدجا برقا
قد كاد يعمر أولاه بأخرد * وكاد يسبق منه فجره الشققا
كأنما طرفاه طرف اتفق الجفنا ن منه على الإطباق واقترقا
(ألفاظ فى هذا المعنى لأهل العصر) ليلة من حسنات الدهر ، هواؤها
صحيح ، ونسيمها عليل ، ليلة كبرد الشباب ، وبرد الشراب ، ليلة من ليالى
الشباب ، فضية الأديم ، مسكية النسيم ، ليلة هى لمعة العمر ، وغرة الدهر ، ليلة
مسكية الاديم ، كافورية النجوم ، ليلة رقد الدهر عنها ، وطلعت سعدوها ، وغابت
عذالها ، ليلة كالمسك منظرها ومخبرها ، ليلة هى با كورة العمر ، وبكر الدهر ،
ليلة ظلماتها أنوار ، وطوال أوقاتها قصار

سعيد بن هريم

كان سبب اتصال سعيد بن هريم لذى الرياستين الفضل ، وسمى ذا الرياستين
لانه جمع بين رياسة القلم ورياسة التدبير للمأمون ، أنه دخل عليه يوماً فقال
« الأجل آفة الأمل ، والمعروف ذخر الأبد ، والبر غنيمة الحازم ، والتفريط
مصيبه أخى القدرة ، وإنالم نصن وجوهنا عن سؤالك ، فصن وجهك عن ردنا ،
وضمنا من إحسانك بحيث وضعنا أنفسنا من تأمليك » فأمر أن يكتب كلامه
وسماه سعيد الناطق ووصله المأمون فخص به ، فلحقته فى بعض الاوقات جفوة
من الفضل فكتب اليه : « يا حافظ من يضع نفسه عنده ، ويأذاكر من نسي
نصيبه منه ، ليس كتابى إذا كتبت استبطاء ، وما إمساكى إذا أمسكت استغناء

فكتبت مذكراً لاستقصراً فملك « فوصله وأحسن إليه ، وقد روى بعض هذا الكلام المنسوب الى سعيد بن هريم لأبي حفص الكرماني مع ذي الرياستين ويقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التميمي

✓ كعمرك ما الأشراف في كل بلدة * وإن عظموا للفضل الاصنائع
تري عظماء الناس للفضل خشعاً * إذا ما بدا والفضل لله خاشع
تواضع لما زاده الله رفعة * وكل جليل عنده متواضع
وقال إبراهيم بن العباس (رحمته)

لفضل بن سهل يد * تقاصر عنها المثل
فباطنها للندی * وظاهرها للقبَل
وبسطنها للغنى * وسطونها للأجل

أخذه ابن الرومي فقال لإبراهيم بن المدبر
أصبحت بين ضراعة ونجمل * والمرء بينهما يموت هزلاً
فامدد الى يدأ تعود بطنها * بذل النوال وظهرها التقبيل
وقال يمدح عبید الله بن عبد الله بن طاهر وزاد في هذا المعنى تشبيهاً ظريفاً
مقبّل ظهر الكف وهاب بطنها * لها راحة فيها الخطيم وزمزم
فظاهرها للناس ركن مقبّل * وباطنها عين من العرف عيلم^(١)

ذو الرياستين

وكان ذو الرياستين يقبل صواب القائلين بما في قوته من صفاء الغريزة ، وجودة النخيرة^(٢) فهو كما قال أبو الطيب

ملك منشد التقريض لدينه * يضع الثوب في يدى بزأز

وكانت مخايل فضله ، ودلائل عقله ، ظهرت ليحيى بن خالد وهو على دين

(١) عيلم : كثيرة الماء ، والعيلم أيضاً البحر (٢) النخيرة : الطبيعة

المجوسية ، فقال له أسلم أجد السبيل الى اصطناعك ، قال فأسلم على يد المأمون ولم يزل في جنبته ، الى أن رقى الى رتبته . وذكره يحيى عند الرشيد فأجمل الثناء فأمر باحضاره فلما رآه أحم فَنَظَرَ الرشيد الى يحيى كالمستفهم ، فقال يا أمير المؤمنين إن من أدل دليل على فراهة المملوك أن تملك هيبه مولاه لسانه وقلبه ، فقال الرشيد : لئن كنت سكت لى تقول هذا فقد أحسنت ، ولئن كان هذا شيئاً اعتراك عند الحصر لقد أجدت ، وزاد فى إكرامه وتقريبه ، وجعل لا يسأله بعد ذلك عن شيء الا أجابه بأفصح لسان ، وأجود بيان

قال سهل بن هارون ومما حفظ من كلام ذى الرياستين مما رأينا تخليده فى الكتب ليؤتم به ، وينتفع بمقول حكمته ، قوله : من ترك حقاً فقد غبن خطأ ، ومن قضى حقاً فقد أحرز غناً ، ومن أنى فضلاً فقد أوجب شكراً ، ومن أحسن توكلأ لم يعدم من الله صنماً ، ومن ترك الله شيئاً لم يجد لما ترك فقدأ ، ومن التمس بمعصية الله حمداً عاد ذلك على التمس به ذماً ، ومن طلب بخلاف الحق له دركاً عاد ما أدرك من ذلك له موبقاً ، وذلك أوجب الفلاح للمحسنين ، وجعل سوء العاقبة للمسيئين المقصرين .

قبح السعائية

ووقع فى رقعة ساع : نحن نرى قبول السعائية شراً منها ، لأن السعائية دلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دل على شيء وأخبر به كمن قبله وأجازاه ، فاتقوا الساعى فانه لو كان فى سعائته صادقاً لكان فى صدقه آثماً ، إذ لم يحفظ الحزمة ، ويستر العورة ، والشئ يقرن مع جنسه

كتب محمد بن على الى محمد بن يحيى بن خالد ، وكان والياً على أرمينية للرشيد ، : إن قوما صاروا الى سبيل النصيح فذكروا ضياعاً بأرمينية قد عفت ودرست يرجع منها الى السلطان مال عظيم ، وإنى وقفت عن المطالبة حتى أعرف

رأيتك . فكتب اليه قرأت هذه الرقعة المذمومة وفهمتها ، وسوق السعاية بحمد الله
في أيامنا كاسدة ، والسنة السعاة في أيامنا كليله خاسئة ، فاذا قرأت كتابي هذا
فاحمل الناس على قانونك ، وخذهم بما في ديوانك ، فإننا لم نولك الناحية ، لتتبع
الرسوم العافية ، ولا لإحياء الاعلام الدائرة ، وجنبت بيت جرير يخاطب الفرزدق
وكنت اذا حلت بدار قوم * رحلت بخزية وترك عارا

وأجر أمورك على ما يكسب الدعاء لنا لا علينا ، واعلم انها مدة تنتهي ،
وأيام تنقضي ، فاما ذكر جميل ، وإما خزي طويل

حزم المهدي

وقال رجل للمهدي : عندي نصيحة يا أمير المؤمنين فقال لمن نصيحتك هذه ؟
لنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك ؟ قال لك يا أمير المؤمنين ، قال ليس الساعي
بأعظم عورة ولا أقبح حالا ممن قبل سعايته ، ولا تخلو من أن تكون حاسد
نعمة ، فلا تشفى غيظك ، أو عدوا فلا تعاقب لك عدوك ! ثم أقبل على الناس
فقال : لا ينصح لنا ناصح الا بما فيه لله رضى ، وللمسلمين صلاح ، فانما لنا الايدان
وليس لنا القلوب ، ومن استتر عنا لم نكشفه ، ومن بادانا طلبنا توبته ، ومن
أخطأ أقلنا عثرته . فاني أرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبة ، والسلامة مع العفو
أكثر منها مع المعاجلة ، والقلوب لا تبقى لوال لا ينعطف اذا استعطف ، ولا يعفو
إذا قدر ، ولا يغفر اذا ظفر ، ولا يرحم اذا استرحم !

ووقع ذو الرياستين الى تميم بن خزيمه : الأمور بتمامها ، والأعمال بخواتمها ،
والصنائع باستدامتها ، والى الغاية بجري الجواد ، فهناك كشفت الخبرة قناع الشك ،
فحمد السابق ، وذم الساقط - وذو الرياستين هو القائل

أنصبت أحرف لا مما لفظت بها * فحولى رحلها عنا الى نعم
أو صيرها لنا منك منعمة * إن كنت حاولت فيها خفة الكلم
قسم علينا فعارضنا قياسكم * يا أحسن الناس من قرن الى قدم

بكاء ذى الرياستين

ولما قتل ذو الرياستين دخل المأمون على أمه فقال لا تجزعى فاني ابنك بعد
ابنك . فقالت أفلا أبكى على ابن أ كسبنى ابناً مثلك ؟

وصف فرس

ووصف ابن الفرية فرساً أهدها الحجاج الى عبد الملك بن مروان فقال :
حسن القدر ، أسيل الخد ، يسبق الطرف ، ويستغرق الوصف . وأهدى عبد الله
ابن طاهر الى المأمون فرساً وكتب اليه : قد بعثت الى أمير المؤمنين بفرس يلحق
الأرانب في الصعداء ، ويجاوز الظباء في الاستواء ، ويسبق في الحدور جرى
الماء ، فهو كما قال تأبط شراً

ويسبق وفد الريح من حيث تلتحي * بمنخرق من شدة المتدارك
وقال رجل لبعض النخاسين : اشتر لي فرساً جيد القميص ، حسن الفصوص
وثيق القصب ، نقي العصب ، يشير بأذنيه ، ويندس برجليه^(١) ، كأنه موج
في لجة ، أو سيل في حدور . جمع محمد بن الحسين هذين الكلامين وزاد
فقال يصف فرساً : هو حسن القميص ، جيد الفصوص ، وثيق القصب ، نقي
العصب ، يبصر بأذنيه ، ويتبوع بيديه^(٢) ، ويداخل برجليه ، كأنه موج في لجة
أو سيل في حدور ، يناهب المشى قبل أن يبعث ، ويلحق الأرانب في الصعداء
ويجوز جوازي الظباء في الاستواء ، ويسبق في الحدور جرى الماء ، إن عطف
جار ، وإن أرسل طار ، وإن كلف السير أمعن وسار ، وإن حبس صفين^(٣) ، وإن
استوقف فطن ، وإن رعى ابن^(٤) فهو كما قال تأبط شراً وذكروا البيت

(١) بندس : يضرب (٢) التبوع : ابعاد خطو الفرس في جريه (٣) صفين الفرس
قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة (٤) ابن : قوى

شمس بن مالك

وأول هذه الأبيات

وأنى لمهدٍ من تنأى فقاصدُ * به لابن عم الصدق شمس بن مالك
أهزَّ به في ندوة الحى عطفهُ * كما هز عطفي بالهيجان الأوارك^(١)
قليل التشكى العلم يصيبهُ * كثير الهوى شتى النوى والمسالك
يظل بمومةٍ وبمسي بغيرها * جحيشاً ويعرورى ظهور المهالك^(٢)
ويسبق وفد الريح من حيث تنمحي * بمنخرق من شدة المتدارل
إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل * له كالى من قلب شيحان فأنك^(٣)
إذا طلعت أولى العدو فنفرة * إلى سلة من صارم العزم فأنك
ويجعل عينيه ربيثة قلبه * إلى ضربة من حد أخلق صائك^(٤)
إذا هزه في عظم قرن تهلت * نواجذ أفواه المنايا الضواحك
يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدى * بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك^(٥)

خيل مصر

وأهدى عمرو بن العاص إلى معاوية ثلاثين فرساً من سوابق خيل مصر
فعرضت عليه وعنده عقبة بن سنان بن يزيد الحارثي فقال له معاوية : كيف ترى
هدايتنا يا أبا سعيد، فإن أخاك عمراً قد أطنب في وصفها ؟ فقال أراها يا أمير المؤمنين
(١) الندوة : المجتمع — والهيجان : الابل السكريمة ، والأوارك : راعية الأراك
(٢) المومة : المفازة ينعدم فيها الماء ، — جحيش : منفرد — يعرورى : يركب
على العرى . يريد أنه يركب ظهور المهالك بلا سرج وهو تعبير بدوى (٣) السكالى :
الحافظ — والشيحان : الحازم ، يريد أن قلبه يقظ وان نامت عينه (٤) الربيثة : الرقيب
والصائك : القاطع (٥) أم النجوم الشوابك : هي الشمس

على ما وصف، وانها لتحيلة بكل خير، انها لسامية العيون، لاحقة البطون، مصغية
الاذان، قباء الاسنان^(١) ضخام الركبات، مشرفات الحجبات، رحاب المناخر
صلاب الحوافر، وقعها تحليل، ورفعها تعليل^(٢) فهذه ان طلبت سبقت، وان
طلبت لحقت. قال له معاوية اصرفها الى رحلك فان بنا عنها غنى، وبفتيانك اليها
حاجة — وقال النابغة الجعدي

ولمّا أناسٌ لَانَعَوْدَ خيلنا * اذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروح ألوان خيلنا * من الطمن حتى نحسب الجون أشقرا^(٣)
فليس بمعروف لنا أن نردّها * صحاحاً ولا مستنكرًا أن نعترا
وقال بعض العرب :

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها * بسليم أوظفة القوائم هيكل
فدعوا: نزال! فكنت أول نازلٍ * وعلام أركبه اذا لم أنزل

صفات الخيل

ووصف اعرابي فرسا فقال: لما أرسلت الخيل جاؤا بشيطان في أشطان،
فأرسلوه، فلمع لمع البرق، واستهل استهلال الودق، فكان أقربهم اليه، الذي
يقع عينه من بعد عليه — وذكر اعرابي رجلا فقال: عنده فرس طويل العذار،
أمين العثار، فكنت اذا رأيته عليه ظننته بازيا على مربأ، عليه رمح طويل
يقصر به الآجال. وقال بعض المحدثين في هذا التطابق

لقيناهم بأرماح طوالٍ * نبشرهم بأعمارٍ قصارٍ

ووصف اعرابي خيلا لبني يربوع فقال: خرجت علينا خيل من مستطيرنقم،
كأن هواديبها أعلام، وآذانها أقلام، وفرسانها أسود آجام
ولمّا أنشد العماني الرشيد يصف فرسا

(١) قباء: لها صرير (٢) التحليل والتعليل من حركات الخيل (٣) الجون الاسود

كَأَنَّ أَذْنِيهِ إِذَا نَشَوْفَا * قَادِمَةٌ أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا
وَلَحْنُ فَهْمِ ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ حَضَرٍ ، فَقَالَ الرَّشِيدُ اجْعَلْ مَكَانَ كَأَنَّ تَخَالُفَ
فَعَجَبُوا السَّرْعَةَ بِدَيْهِنِهِ
وَاللَّطَائِينَ فِي هَذَا النُّوعِ أَشْوَارَ كَثِيرَةٍ مَنَعْنِي مِنْ اخْتِيَارِهَا ، كَثْرَةُ اشْتِهَارِهَا
وَسَأَنُشِدُ بَعْضَ ذَلِكَ . قَالَ أَبُو تَمَامٍ

مَا مَقْرَبَ يَخْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ * مَلَّانَ مِنْ صُلْفٍ بِهِ وَتَلَهُوَقِ^(١)
بِخَوَافِهِ حَفَرٍ وَصَلَتْ أَصْلَتِ * وَأَشَاعِرُ شَعْرٍ وَخَلَقَ أَخْلَقِ
ذُو أَوَّلِي تَحْتَ الْعِجَاجِ وَأَنَّمَا * مِنْ صَحَّةِ إِفْرَاطِ ذَاكَ الْأَوَّلِ^(٢)
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا أَلْبَسَتْهُ * مِنْ سُنْدُسٍ بُرْدًا وَمِنْ اسْتَبْرِقِ
إِمْلِيسَةٍ إِمْلِيدَةٍ لَوْ عَلِقَتْ * فِي صَهْوَتِهِ الْعَيْنَ لَمْ تَتَعَلَّقِ
مَسْوَدٌ شَطْرَ مِثْلِ مَا اسْوَدَّ الدَّجَى * مَبْيِضٌ شَطْرَ كَابِيضَا ضِ الْمَهْرَقِ^(٣)
وَقَالَ أَبُو عَبَادَةَ :

وَأَغْرَرَ فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمَ مَحْجَلٍ * قَدْ رَحَتْ مِنْهُ عَلَى أَغْرَرَ مَحْجَلِ^(٤)
وَأَفَى الضُّلُوعَ يَشْدُ عَقْدَ حَزَامِهِ * يَوْمَ الْلِقَاءِ عَلَى مُعَمٍّ مَحْوَلِ
يَهْوَى كَمَا هَوَتْ الْعِقَابُ إِذَا رَأَتْ * صَيْدًا وَيَنْتَصِبُ انْتِصَابَ الْأَجْدَلِ^(٥)
مَتَوَحَّشٌ بِدَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا * تَرِيَانٌ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مَوْصَلٌ^(٦)
كَالْأَرْمَحِ النَّشْوَانُ أَكْثَرُ مَشْيِهِ * عَرَضَ عَلَى السَّنَنِ الْبَعِيدِ الْأَطْوَلِ
وَيُظْنَ رِيْعَانُ الشَّبَابِ يَرُوعُهُ * مِنْ نَشْوَةٍ أَوْ جَنَّةٍ أَوْ أَفْكَلِ^(٧)
هَزَجَ الصَّهِيلِ كَأَنَّ فِي نَبْرَاتِهِ * نَفَاتٍ مَعْبِدَةٍ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ

(١) المقرب والمقربة ، على صيغة المفعول ، الفرس التي تدنى وتقرب لئلا يطرقها
فحل لثيم (٢) الأولق : الجنون (٣) المهرق : الصحيفة (٤) البهيم : المظلم .
الفرقة والتحجيل بياض في العجبة والقوائم ، والاغر المحجل هو الفرس وهو كذلك
الرجل الكريم (٥) الأجـدل : الصقر (٦) الدقيقتان : صفة للساقين
(٧) الافـكل : الرعدة

تتوهم الجوزاء في أرساغه * والبدر غرة وجهه المتبلل
صاى الأديم كأنما عُنيَتْ له * بصفاة نقبته مداوك صيقل^(١)
وكأنما كُسيَ الحدودَ نواعما * مهما تلاحظها بلحظ يخجل
وكأنما نفضت عليه صِبغها * صباه للبردان أو قطربل
ملك العيون فان بدا أعطينه * نظر الحب الى الحبيب المقبل
وقال اسحاق بن خلف النهرواني لأبي دلف وكان له فرس أدهم يسميه غرابا

كم كم نجرَّعه المنون ويسلم * لو يستطيع شكى اليك له الفم
من كل منبت شجرة من جلده * خط ينمقه الحسام الخنم^(٢)
ماتدرك الأرواح أدنى جريه * حتى يفوت الريح وهو مقدم
رجعته أطراف الأسنة أشقرا * واللون أدهم حين ضرَّجه الدم
وكأنما عقد النجوم بطرفه * وكأنه بُعِرى المجرة مُلجَم

وقال أبو الطيب

جفتني كأنى لست أنطق قومها * وأطعمهم والشهب في صور الدُّهم

وقال أبو الفتح كشاجم

قد راح تحت الصبح ليل مظلم * اذ لاح في السرج المحلى الأدهم
ديباج ألوان الجياد ولم يكن * يُبَخَص بالديباج الا الأكرم
ضحك اللجين على سواد أديمه * وكذا الظلام تنير فيه الأنجم
فكانته بينات نعيش ملبَّب * وكأنما هو بالثريا مُلجَم

قلت هذا من قول ابن المعتز

ألا فاسقياني والظلام مقوَّض * ونجم الدجا تحت المغارب يركض
كأن الثريا في أواخر ليلها * تفتح نور أو لجام مفضض

(١) مداوك الصيقل : أدوات كالهاون ونحوه (٢) الخنم القاطع

وقال أبو الفتح

من شك في فضل الكمية فينبه * فيه وبين يقينه المضمار
في منظر مستحسن محودة * أخباره إذ تبلى الأخبار
ماء تدفق طاعة وسلاسة * فاذا استدر الخضر فيه فنار
وإذا عطف به على ناورده * لتديره فكأنه بركار
وصف الخلق أديبه فكأنما * أهدي الخلق لجلده عطار^(١)
قصرت قلادة نحره وعذاره * والرسع وهي من العتاق قصار
وكأنما هاديه جذع مشرف * وكأنما للضبع فيه وجار^(٢)
يرد الضحاضح غير ثانی سنبك * ويروود طرفك خلفه فتحار^(٣)
لو لم تكن للخيل نسبة خلقه * حاكته من أشكالها الأطيوار

وقال ابن المعتز

وخيل طواها القود حتى كأنها * أنايب سمر من قنا الخط ذبل
صبينا عليها ظالمين سياتنا * فطارت بها أيدٍ سراع وأرجل
قوله ظالمين من أبداع حشو جرى في بيت ، وكأن ابن المعتز أشار إلى قول
اعرابي مولد

وعود قليل الذنب عاودت صربه * إذا هاج شوقي من معاهدها ذكر^(٤)
فقلت له زلفاه وبحك سببت * لك الضرب فاصبر إن عادتك الصبر

وقال ابن المعتز

أراجعتي فداك بأعوجى * كقدح النبع في الريش اللوام^(٥)
بأدهم كالظلام أغر يجلو * بغرته دياجير الظلام
ترى أحجاله يصعدن فيه * صعود البرق في جو الغمام

(١) الخلق : نوع من الطيب (٢) هاديه : صدره (٣) الضحاضح : بقايا
الماء (٤) العود : البعير (٥) الأعوجى : الفرس الكريم — واللوام : المحكم

وقال أيضاً

قد أغندى والصبح كالمشيب * في أفق مثل مَدَاك الطيب
بقارح مُسَوِّم يعبوب * ذى أذن كخصوة العسيب^(١)
أو آسَة أوفت على قضيب * يسبق شأو النظر الرحيب
أسرع من ماءٍ إلى تصويب * ومن رجوع لحظة المريب^(٢)

وقال

ربّ ركب عرسوا ثم هبّوا * نحو أسراج وشدّ رحال
وعدونا بأعنة خيل * نأكل الأرض بأيدي عجال
زينتها غرر ضاحكات * كبذور في وجوه ليال

وقال على بن محمد الأيادي

مسح الظلام بعرفه يده * ومشى فقبل وجهه البدر

وقال الناشئ أبو العباس عبد الله بن محمد

أحوى عليه مسائح من ليطة * شهب تسيل على نواشر ساقه
فكأنه متلفع قبضية * أنناؤها مشدودة بنطاقه
فسواده كالليل في إظلامه * وبياضه كالصبح في إشراقه
صافي الاديم كريمة أنسابه * أخلاقه عين على أعراقه

كتب أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي الى الأمير أبي الفضل

عبد الله بن أحمد بن ميكال وقد زاره الأمير في داره

لا زال مجدك للسمك رسيلاً * وعلوّ جدك بالخلود كفيلاً^(٣)
يا غرّة الزمن البهيم اذا غدا * أهل العلى لزمانهم تحجيلاً
يا زائراً مدتّ سحائب طوله * ظلاً على من الجمال ظليلاً
وأنت بصوب جواهر من لفظه * حتى انتظمن لمفرق إكليلاً

(١) القارح : الفرس القوى (٢) تصويب : انحدار (٣) رسيلاً : قرين

بأبي وغير أبي هلال نورُهُ * يستعجل التسبيح والتهليل
نقشت حوافر طرفه في عَرْضِي * نقشاً محوت رسومه تقبيل
ولواستطعت فرشت مسقط خطوه * بعيون عَيْنٍ لا ترى التكحيل
ونثرت روجي بعدما ملكت يدي * وخررت بين يدي هواه قتيلا
وقال أبو القاسم بن هاني يصف خيل المعز

له المقربات الجرد ينعلها دماً * اذا فرغت هام النكامة السنايك
يريق عليها اللؤلؤ الرطب مائه * ويسبك فيها ذائب التبر سائبك
صقيلات أجسام البروق كأنما * أمرت عليها بالشموس المداوك
وقال يصف فرساً لجعفر بن علي بن حمدون

تهلل مصقول النواحي كأنه * اذا جال ماء الحسن فيه غريق
من البهم ورد اللون شيب بكمته * كما شيب بالمسك الفتيق خلوق^(١)
فلو ميز منه كل لون بذاته * جرى سبج منه وذاب عقيق^(٢)
وقال في قصيدة يمدح بها أبا الفرج الشيباني

فتقت لكم ريح الجلا دبعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتُم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر
أبني العوالي السهرية والسيو * ف المشرفية والعديد الأكر
من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوابع تبع في حمير
القائد الخيل العناق شوازبا * خزر إلى لحظ السنان الاخزر
شعث النواصي حرة آذانها * قب الاياطل داميات الانسر
تنبوسنا بكهن عن عفر الثرى * فيطان في خد العزيز الأصعر
في فنية صدا الحديد عبيرهم * وخلقهم علق النجيع الأحمر
لا يأكل الشرخان شلوعه غيرهم * مما عليه من القنا المتكسر

وقال في قصيدة يمدح بها ابراهيم بن جعفر بن علي

نخر^١ لطف أعوجى أنت في * صهواته والحسن^٢ والنظم^٣
بيدي لعزك نحوه فكأنه * ملك تدين له الملوك عظيم
هاد^٤ على الخيل العتاق كأنه * بين الدجنة والصبح صريم
سامي القذال بسمعيه عيافة * تحت الدجى ولطرفة تنجيم
أذن مؤلثة وقلب أصم^٥ * وحشاً أقب^٦ وكل ملوم
فالطود من صهواته متزلزل^٧ * والجيش من أنفاسه مهزوم
خرق العيون فضل^٨ عنها لونه * وصفا قللنا ما عليه أديم
فكأنما جمدت عليه مرنة^٩ * وانجاب عنه عارض^{١٠} مركوم
وكأنما نحرت عليه بوارق^{١١} * وكأنما كسفت عليه نجوم
وكأنك ابن المنذر النعمان فو * ق سراته وكأنه اليحوم

وقال علي بن محمد الأيادي يصف فرس أبي عبد الله جعفر بن أبي القاسم القائم
وأقب^{١٢} من لحق الجياد كأنه * قصر تباعد ركنه من ركنه
لبست قوائمه عصائب فضة^{١٣} * وغدت بسمرها المسيل ود^{١٤} كنه
وكأنما انفجر الصباح بوجهه^{١٥} * حسناً أو احتبس الظلام بمنه
قيد العيون اذا بصرن بشخصه^{١٦} * ورضى القلوب اذا اصطلين بضغنه
متسيطر بالراكبين كأنه^{١٧} * باز^{١٨} تروح به الجنوب لو كنه
يستوقف اللحظات في خطراته^{١٩} * بكمال خلقته ودقة حسنه
حلو الصهيل تخال في لهواته^{٢٠} * حاد^{٢١} يصوغ بدائماً من لحنه^(١)
متجبر ينبي بعنق^{٢٢} نجارد^(٢) * إشراف كاهله ودقة أذنه^(٣)
ذو نحوه شمخت به عن ندر^{٢٣} * وشهامة طمخت به عن قرنه^(٤)

(١) اللهوات : مجارى الخلق (٢) عنق النجار : كرم المنصر (٣) القرن:

وكانه فلك اذا حرّ كنه * جارٍ على سهل البلاد وحزنه
قد راح يحمل جعفر بن محمد * حمل النسيم لوابلٍ من مُزنه
وما أحسن ما قال أبو الطيب المتنبي
ويوم كلون العاشقين كمنته * أراقب فيه الشمس أيّان تغرب
وعبى إلى أذنى أغرّ كأنه * من الليل باقٍ بين عينيه كوكب
له فضلة عن جسمه في اهابه * تحبى على صدر رحيب وتذهب^(١)
شقت به الظلماء أدنى عنانه * فيطغى وأرخيه مراراً فيلمب
وأصرع أىّ الوحش قفّيته به * وأنزل عنه مثله حين أركب^(٢)
وما الخيل الا كالصديق قليلة * وان كثرت فى عين من لا يُجرب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها * وأعضاءها بالحسن عنك مغيب^(٣)

المقامة الحمدانية

وينخرط فى سلك هذا المعنى مقامة من مقامات الاسكندرى فى الكندية مما
أنشأه بديع الزمان وأوله فى شهور سنة خمس وثمانين وثلثمائة (قال البديع)
حدثنا عيسى بن هشام قال : حضرنا مجلس سيف الدولة يوماً وقد عرض
عليه فرس متى ماترقّ العين فيه تسهّل^(٤) فلحظته الجماعة ، فقال سيف الدولة :
أيكم أحسن صفته ، جعلته صلته . فكل جاهد جاهده ، وبذل ما عنده ، فقال أحد
خدمه : أصلح الله الأمير ، رأيت بالأمس رجلاً يطاء الفصاحة بنعليه^(٥) ، وتقف
الأبصار عليه ، يسأل الناس ، ويشفى الباس ، ولو أمر الأمير باحضاره ، لفضلهم
بحضاره^(٦) ، فقال سيف الدولة علىّ به فى هيئته ، فصار الخدم فى طلبه ، فجاءوا

(١) الاهاب : الجلد (٢) قفّيته : اتبعته (٣) الشيات : المحاسن الظاهرة
(٤) يريد أن اعلاه وادناه مستويان فى الحسن ، وهذا التعبير مأخوذ من
امرى القيس (٥) كناية عن انقياد هاله (٦) الحضار بكسر الحاء سرعة البديهة

للوقت به ، ولم يعلموه لأى حال دعى به ، ثم قُرَّب واستُدنى ، وهو فى طمرين
قد أكل الدهر عليهما وشرب^(١) ، وحين حضر السَّباط ، ثم البساط ، ووقف .
فقال سيف الدولة بلغتنا عنك عارضة^(٢) فأعرضها فى هذا الفرس وصرفه فقال
أصلح الله الأمير كيف به قبل ركوبه ووثوبه ، وكشف عيوبه ؟ فقال اركبه فركبه
وأجراه ثم قال : أصلح الله الأمير هو طويل الاذنين ، قليل الإثنين ، واسع
المراث^(٣) ابن الثلاث ، غليظ الأكرع^(٤) غامض الأربع ، شديد النفس ،
لطيف الخمس ، ضيق القلّت^(٥) رقيق الست ، حديد السمع ، غليظ السبع ، رقيق
اللسان ، عريض الثمان ، شديد الضلع ، قصير التسع ، واسع النحر ، بعيد العشر ،
يأخذ بالسائح ، ويطلق بالرامي ، ويطلع بالأخ ، ويضحك عن قارح ، يحز وجه
الكديد ، بمداق الحديد ، يحضر كالبحر إذا ماج ، والسيل إذا هاج . فقال
سيف الدولة لك الفرس مباركاً فيه ، فقال : لازلت تأخذ الأنفاس ، وتمنح
الأفراس . ثم أنصرف وتبعته وقلت لك على ما يليق بهذا الفرس من خلعة ان
فسرت ما وصفت ، فقال سل عما أحببت ، فقلت ما معنى قولك بعيد العشر ؟
فقال بعيد النظر ، والخطو ، وأعلى الجنين ، وما بين الوقين ، والجاعرتين ، وما
بين الغرايين ، والمنخرين ، وما بين الرجلين ، وما بين النقرة والصفاق ، وبعيد
القامة فى السباق . فقلت لافض فوك فما معنى قولك قصير التسع ؟ قال هالك : قصير
الشعرة ، قصير الأطرة ، قصير العسيب ، قصير القضيبي ، قصير المضدين ،
قصير الرسغين ، قصير النسا ، قصير الظهر ، قصير الوظيف ، فقلت لله أنت فما
معنى قولك عريض الثمان ؟ قال عريض الجبهة ، عريض الصهوة ، عريض الكتف ،
عريض الجنب ، عريض الورك ، عريض العصب ، عريض البلدة ، عريض
صفحة العنق ، فقلت أحسنت فما معنى قولك غليظ السبع ؟ قال غليظ الذراع ،
(١) الطمران : ثوبان باليان (٢) المعارضة قوة البيان (٣) المراث :
خوران الفرس (٤) الأكرع : جمع كراع وهو مادون السكب (٥) القلّت :
البقرة فى رأس الورك

غليظ المحزم ، غليظ العكوة ، غليظ الشوى ، غليظ الرشح ، غليظ الفخذين ،
 غليظ الحبال ، فقلت لله درك فما معنى قولك رقيق الست ؟ فقال رقيق الجفن ،
 رقيق السالفة ، رقيق الجحفة ، رقيق الأديم ، رقيق أعلى الأذنين ، رقيق الغرضين
 فقلت أجبت فما معنى قولك لطيف الخمس ؟ قال لطيف الزور ، لطيف النسر ،
 لطيف الجبة ، لطيف العجاية ، لطيف الركبة ، فقلت حياك الله فما معنى قولك
 غامض الاربع ؟ قال غامض أعلى الكتفين ، غامض المرفقين ، غامض الحجاجين ،
 غامض الشظا . قلت فما معنى قولك لين الثلاث ؟ قال لين المردعين ، لين الفرق ،
 لين العنان ، قلت فما معنى قولك قليل الاثنين ؟ قال قليل لحم الوجه ، قليل لحم
 المتنين ، قلت فمن أين نبات هذا العلم ؟ قال من الثغور الأموية ، وبلاد الاسكندرية
 فقلت له : أنت مع هذا الفضل ، تعرض وجهك لهذا البذل ! فأنشأ يقول

ساخف زمانك جدًّا * فالدهر جدًّا سخيف
 دع الحمية نسيمًا * وعش بخير وريف
 وقل لعبدك هذا * يحب لنا برغيف

سقط عنا تفسيره في لين الثلاث ، وأكثر هذا التفسير يحتاج الى تفسير ،
 ولم يرد بما أورد إفهام العوام ، والبلاغة لمح دالة ، وبلاغة النثر ، أخت بلاغة
 الشعر ، وقد قال البحترى

والشعر لمح تكفى إشارته * وليس بالهذر طوّلت خطبة

تفسيرات لغوية

وسأقول في شرحه بكلام وجيز زيادة في الافادة ، الوقبان نقرتان فوق
 العينين ، والجاعران من الفرس موضع الرقبتين من الحمار ، وهما منتهى ضربه
 بذنبه اذا حركه ، والغرابان الناتان من أعلى الوركين ، وذ كر النقبة هنا ، وهو
 الذى يعرف بالمنقب ، وهو من السرة حيث ينقب البيطار ، والصفاق الخاصرة

وقد قيل جلد البطن كله صفاق ، والذي أرادته الخاصرة . وأراد ببعده القامة في السباق امتداده اذا جرى مع الأرض ، والأطرة هنا طرف الأبر ، وهي طفطة غليظة ، والأبر عرق يستبطن الظهر ، فيتصل بالقلب ، وقيل هو الا كحل ، والعسيب عظم الذنب ، والرسغ من الفرس موضع القيد ، والنسا عرق مستبطن الفخذين ، وقصره محمود في جرى الفرس ، ولكنه لا يسمح بالمشي ، والوظيف لكل ذى أربع ما فوق الرسغ الى الساق ، والصهوة الظهر ، والبلدة ما بين عينيهِ ، والعكوة مغرز الذنب ، والشوي الاطراف ، والحبال حبلا العاتق والظهر ، والجحفة من ذوات الحافر هي الشفة من الانسان ، والغرضان من الفرس ما انحدر من قصبه الأنف من جانبيها ، والزور الصدر ، والنسر في الحافر لحة يابسة في أسفله يشبهها الشعراء بالنوى ، والجبة التي فيها الحوشب والحوشب حشو الحافر ، والمجاية عظم في قوائم الفرس والبعير مركب فيه فصوص من عظام كأمثال الكعاب تكون عند الرسغ ، والحجاجان العظامان المطيفان بالعين ، والشظا عظم لاحق بالذراع ، والمتنان جانبا الظهر ، وسقط عنا تفسير الثلاث من نفس المقامة

أنجز حر ما وعد

قال الجاحظ قال أبو القاسم بن معن المسعودي لميسى بن موسى : أيها الأمير ما انتفعت بك منذ عرفتُك ، ولا الى خير وصلت منك منذ صحبتُك ، فقال ولم ؟ ألم أكلمك أمير المؤمنين في كذا وكذا ؟ قال بلى ! فهل استنجزت ما وعدت وعاودت ما ابتدأت ، فقال حالت دون ذلك أمور قاطعة ، وأحوال عاذرة ، قال أيها الأمير فما زدتنى على أن نهيت الهم من رقدته ، وأثرت الحزن من ربضته ، إن الوعد اذا لم يصحبه انجاز يحققه ، كان كلفظ لا معنى له ، وجسم لا روح فيه وكلم منصور بن زياد يحيى بن خالد في حاجة لرجل فقال عده قضاءها . قال فقلت أصلحك الله ، وما يدعوك الى العدة مع وجود القدرة ؟ فقال هذا قول

من لا يعرف موضع الصنائع من القلوب ، ان الحاجة اذا لم يتقدمها موعد ينتظر به
نجحها ، لم تتجاذب الا نفس سرورها ، ان الوعد تطعمهم والانجاز طعام ، وليس
من فاجأه طعام كن وجد راحته ، وتمطق به ، واطعمه ثم طعمه ، فدع الحاجة تختم
بالوعد ، ليكون بها عند المصطنع حسن موقع ، ولطف محل
ووعده المهدي عيسى بن دأب جارية ثم وهبها له فأنشده عبد الله بن مصعب
الزبيري معرضاً بقول مضر بن الاسدي

فلا تياسن من صالح أن تناله * وان كان قدماً بين أيدي تبادر
فضحك المهدي وقال : ادفعوا الى عبد الله فلانة ، لجارية أخرى ، فقال عبد الله

ابن مصعب

أنجز خير الناس قبل وعده * أراح من مظلٍ وطول كده
فقال ابن دأب ما قلت شيئاً ، هلاً قلت
حلاوة الفضل بوعده ينجز * لا خير في العرف كنهب ينهر
فقال المهدي

الوعد أحسن ما يكو * ن اذا تقدّمه ضمان

وقد قال أبو قابوس النضراني يمدح يحيى بن خالد
رأيت يحيى أنم الله نعمته * عليه يأنى الذي لم يأتِه أحد
ينسى الذي كان من معروفه أبداً * الى الرجال ولا ينسى الذي يعد
وقال أبو الطيب المتنبي

قوم بلوغ الغلام عندهم * طعن نحور السكاة لا الحلم
كانما يواد الندى معهم * لا صغر عاذر ولا هرم
اذا تواروا عداوة كشفوا * وان تولوا صنيعاً كتموا
تظن من فقدك اعتدادهم * أنهم أنعموا وما علوا
ودخل أبو علي البصير على الفضل بن يحيى فأنشده

وَصِفَ الصَّدُّ لِمَنْ أَهْوَى فَصْدُ * وَبَدَأَ يَمْزَحُ بِالْهَجْرِ فَجَدَّ
 مَالَهُ يَمْدُلُ غَنَى وَجْهَهُ * وَهُوَ لَا يَمْدُلُهُ عِنْدِي أَحَدٌ
 لَا تَرِيدُوا غَرَّةَ الْفَضْلِ وَمَنْ * يَطْلُبُ الْغَرَّةَ فِي خَيْسِ الْأَسَدِ^(١)
 مَلِكٌ تَدْفَعُ مَا نَخَشِي بِهِ * وَبِهِ أَصْلَحُ مِنَّا مَا فَسَدَ
 يَنْجِزُ النَّاسَ إِذَا مَا وَعَدُوا * وَإِذَا مَا أَتَجَزَّ الْفَضْلُ وَعَدَ

وقال ابن الرومي في هذا المعنى

له مواعدُ بالخيرات بادِرَةٌ * لكنها تسبق الميعاد بالصفد^(٢)
 يعطيك في اليوم حقَّ اليوم مبتدئًا * ولا يضيِّع بعد اليوم حقَّ غدٍ

المعرفة بقدر النعمة

خطب سليمان بن عبد الملك فقال: أيها الناس من لم يعلم أبواب مدخله في الكرامة
 وجهل طريقته أتى وقعت به على النعمة ، كان معرض رجوع إلى دار هوان ،
 وانقلاب بفادح خسران . فقام إليه أبو وائلة السدوسي وهو حاجبه فقال :
 يا أمير المؤمنين كنا كما قال الله تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم
 شيئاً مذكورا ، ثم صرنا كما قال زهير

يد الملك الجليل تناواتهم * باحسانٍ فليس لها مُزِيلُ
 لأنَّ الخبر أجمع في يديه * وربِّي بالجزاء له كَفِيلُ

فقال سليمان هذه والله المعرفة بقدر النعمة ، والعلم بما يجب للنعمة (وريء)
 يونس بن المختار في دار المأمون ومرتبته في أعلى مراتب بني العباس قاعدا على
 الأرض ، فقال الحاجب ارتفع يا أبا المعلى إلى مرتبتك ، قال قدر فغنى الله إليها بأمير
 المؤمنين وليس لي عمل يفي بها ، فلم لأكرمها عن القعود عنها إلى أن يتهين إلى الشكر
 عليها ؟ فبلغ الكلام المأمون فقال : هذا والله غاية الشكر ، وبمثلته تدر النعم

(١) خيس الأسد : عريته (٢) الصفد : المعطاء

وقال رجل للمعلّى بن أيوب وقد عرفه المعنصم الى مرتبة أهل بيته ، ما يزيدك التقريب
الا تباعدا ، فقال ياهذا انى أصون تقريبه اياى بتباعدى منه ، ائلا تفسد حرمتى
عنده بقلة الشكر على نعمته (ولما) استعان المنصور بالحارث بن حسان قال له ياحارث
انى قد مكنتك من حسن رأيي فيك ، فاحفظه بترك إغفال ما يجب عليك ، قال يا أمير
المؤمنين من أغفل سبب حلول النعمة ، ولها عن الحال التى أصارتها اليها ، استصحب
اليأس من نيل مثلها ، وانقطع رجاءه من الزيادة فيها ، فقال أبو جعفر من كانت
عنده هذه المعرفة دامت النعمة له ، وبقى الاحسان اليه (ولما) قال المأمون لعبد الله
ابن طاهر عند قدومه من مصر : ما سرنى الله منذ وليت الخلافة بشيء عظيم موقعه
عندى ، بعد جميل عافية الله ، هو أكثر من سرورى بقدومك ، فقال عبد الله
ائذن لى يا أمير المؤمنين فى تفريق أموالى من طارف وتالد ، قال ولم ؟ قال شكراً
على هذه الكلمة ، والأقصر بى الحياء عن النظر الى أمير المؤمنين ، فقال
المأمون لمن حضر من أهل بيته وقواده : ما شئ من الخلافة يبنى لعبد الله ببعض
شكره . وقال أبو نواس

قد قلت للعباس معتذراً * عن ضعف شكره ومعتزفاً
أنت امرؤ جلتنى نعماً * أو هت قوى شكرى فقد ضعفاً
فاليك منى اليوم تقدمة * تلقاك بالتصريح مكتشفاً
لاتسدين الى عارفة * حتى أقوم بشكر ما سلفاً

عارضه الناشئ واعترض معناه فقال

إن أنت لم تحدث الى بدءاً * حتى أقوم بشكر ما سلفاً
لم أحظ منك بنائل أبداً * ورجعت بالحرمان منصرفاً

وقال ابن الرومى

عاقنا أن نعود أنك أولي * تأموراً يضيق عنها الجزاء
غمرتنا منك الايادى اللواتى * ما لمعشارها لدينا كفاء

فما أنا عنك الحياء طويلاً * ثم قد ردنا إليك الحياء
ولما حق إن قربت التناي * ولما حق إن برزت الجفاء
غير أنا أنضاء شكر أريحت * وقد بما أريحت الأنضاء (١)

العجز عن الشكر

(ألقاظ لأهل العصر في العجز عن الشكر لتكاثر الانعام والبر) عندي من
بره ممالك الاعتذار بأزمته ، وقبض السنة أمراء الكلام وأئتمته ، عندي له مبار
أعجزني شكرها ، كما أعوزني حصرها ، شكره شأو بعيد لا تبلغه أشواطى ،
ولا أتلافى التفريط فى حقه بافراطى ، إحسانه يبيد العرب عجماء ، والفصحاء بكما ،
قد زحمتى من مكارمه ما يحصر عنه المبين ، ويصعبه العى وبئس القرين . وقال اعرابى
رهنت يدي بالعجز عن شكر بره * وما فوق شكرى للشكور مزيد
ولو كان شيئاً يستطيع استطعنه * ولكن ما لا يستطيع شديد
وقال يحيى بن أكنم : كنت عند المأمون فأتى برجل ترعد فرائضه ، فلما
مثل بين يديه قال المأمون : كفرت نعمتى ، ولم تشكر معروفى ، فقال يا أمير المؤمنين
وأين يقع شكرى فى جنب ما أنعم الله بك على ، فنظر الى المأمون وقال متمثلاً
ولو كان يستغنى عن الشكر ماجد * لرفعة قدر أو علو مكان
لما أمر الله العباد بشكره * فقال اشكروا لى أيها الثقلان
ثم التفت الى الرجل فقال : هلا قلت كما قال أصرم بن حميد
ملكك حمدى حتى أنى رجل * كلى بكل ثناء فىك مشغل
خوات شكرى لما خولت من نعم * فحز شكرى لما خولتني خول (٢)
وقال أبو الفتح البستى
أئن عجزت عن شكر برك قوتى * وأقوى الورى عن شكر برك عاجز

(١) الأنضاء : المهازيل (٢) خول : خادم

فان ثنائى واعتقادى وطاقتى * لأفلاك ما أو ليتنبها مرا كز
وقال أبو القاسم الزعفرانى

لى لسان كأنه لى معادى * ليس ينبى عن كنه ما فى فؤادى
حكم الله لى عليه فلو أذا * صف قلبى عرفت قدر ودادى

وقال اسماعيل بن القاسم أبو العتاهية يمدح عمر بن العلاء
إنى أمنت من الزمان وريبه * لما علقت من الأمير حبلا
لو يستطيع الناس من إجلاله * لحدوا له حرّ الوجوه نعالا
ما كان هذا الجود حتى كنت يا * عمرّ ولو يوماً تزول لزالا
إن المطايا تشتكك لأنها * قطعت إليك سبابها ورمالا
فاذا وردن بنا ووردن مخفّة * واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

وهى قصيدة سهلة الطبع ، سلسلة النظام ، قريبة المتناول . وروى ان عمر بن
العلاء وصله عليها بسبعين ألف درهم فحسده الشعراء ، وقالوا لنا بباب الأمير
أعوام نخدم الآمال ، ما وصلنا الى بعض هذا فاقصّل ذلك به فأمر باحضارهم فقال
بلغنى الذى قلتم وان أحدكم يأتى فيمدحنى بالقصيدة يشبب فيها فلا يصل الى
المدح حتى تذهب لذة حلاوته ، ورائق طلاوته ، وان أبا العتاهية أتى فشبب
بأبيات يسيرة ثم قال : ان المطايا تشتكك لأنها وأنشد الأبيات . وكان أبو العتاهية
لما مدحه بهذا الشعر تأخر عنه بره قليلا فكتب اليه يستبطئه

أصابت علينا جودك العين يا عمر * فنحن لها نبغى التأمم والنشر^(١)
أصابتك عين فى سخائك صلبة * ويارب عين صلبة تفلق الحجر
سرقيك بالأشعار حتى تملأها * فان لم تفق منها رقيناك بالشور
وقال

يا ابن العلاء ويا ابن القرم مرداس * إنى مدحتك فى صحفى وجلّاسى

أفنى تملك ولى حالً تكذبني * فيما أقول فأستحي من الناس
حتى إذا قيل ما أولاك من صفدٍ * طأطأت من سوء حالى عندها راسي
فأمر حاجبه أن يدفع إليه المال وقال لا تدخله على فاني أستحي منه

غرام أبي العتاهية

وذكر بعض الرواة أن المهدي خرج متصيداً فسمع رجلاً يتغنى من
القصيدة التي مرت منها الايات في عمر بن العلاء أنفاً

يا من تفرد بالجمال فما ترى * عيني على أحدٍ سواه جمالا
أكثر في قولي عليك من الرقي * وضربت في شعري لك الامثالا
فأيت إلا جفوةً وقطيعةً * وأيت إلا نخوةً ودلالا
بالله قولي إن سألتك واصدقي * أوجدت قتلي في الكتاب حلالا
أم لا فقيم جفوتي وظاهنتي * وجعلتني للعالمين نكالا
كم لأنم لو كنت أسمع قوله * قد لأمني ونهى وعدت وقالا

فقال المهدي على به. فجاء فقال لمن هذا الشعر؟ قال لاسماعيل بن القاسم أبي
العتاهية ، قال لمن يقوله ؟ قال لعتبة جارية المهدي ، قال كذبت لو كانت جاريتي
لوهبتها له ، وكانت عتبة لريطة بنت أبي العباس السفاح ، وكان أبو العتاهية قد
بلغ من أمرها كل مبلغ ، وكل ذلك فيما زعم الرواة تصنع ، وتخلق ، ليذكر بذلك
قال يزيد حوراء المغني كلني أبو العتاهية أن أكرم له المهدي في عتبة فقلت
إن الكلام لا يمكنني ، ولكن قل شعراً أغنيه لياه ، فقال

نفسى بشيء من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها
اني لأياس منها ثم يطمعني * فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فعملت فيه لحناً وغنيته المهدي ، فقال لمن هذا ؟ فأخبرته خبر أبي العتاهية
فقال ننظر في أمره ، فأخبرت بذلك أبا العتاهية ، فمكث أشهراً ثم أتاني فقال هل
حدث خبر ؟ فقلت لا ، فقال غنه بهذا الشعر

ليت شعري ما عندكم ليت شعري * انما آخر الجواب لأمر
ما جواب أولى بكل جميل * من جواب يرد من بعد شهر
قال يزيد فغنيت به المهدي فقال عليّ بعتبة فأحضرت ، فقال إن أبا العتاهية كلني
فيك وعندى لك وله ماتحبان ، فقالت له قد علم مولاي أمير المؤمنين ما أوجبه
من حق مولاتي ، فأريد أن أذكر لها ذلك ، قال فافعلي ، فأعلمت أبا العتاهية
بما جرى ومضت الايام ، فسأني معاودة المهدي ، فقالت له قد عرفت الطريق فقل
ما شئت حتى أغنيه ، فقال

أشربت قلبي من رجائك ما له * عنقك اليك ينجبني ورسم^(١)
وأملت نحو سماء صوبك ناظري * أرعى مخايل برقها وأشيم^(٢)
واقعد تنسّمت الرياح لحاجتي * واذا لها من راحتك نسيم^(٣)
ولربما استيأست ثم أقول لا * إن الذي ضمن النجاح كريم
فغنيت به الشعر فقال عليّ بعتبة فأنت ، فقال ما صنعت ؟ قالت ذكرت ذلك
لمولاتي فأبته وكرهته ، فليفعل أمير المؤمنين ما يريد ، فقال ما كنت لأفعل
شيئاً تكرهه ، فأعلمت أبا العتاهية بذلك فقال

قطعت منك حبائل الآمال * وأرحت من حل ومن نرحال
ما كان أشأم إذ رجاؤك قادني * وبنات وعدك يعتلجن بيالي
ولئن طمعت لرُبَّ برق خلَّب * مالت بنى طمع ولمعة آل^(٣)
وقد ثقلت هذه الحكاية على غير هذا الوجه والله أعلم بالحق في ذلك

نفى أبي العتاهية

وضرب المهدي أبا العتاهية مائة سوط لقوله
ألا إن ظبياً للخليفة صادني * ومالي على ظبي الخليفة من عدوى

(١) العنق والرسم من أنواع السير (٢) أشيم : أنظر (٣) البرق الخلب
ما لا مطر فيه ، والآل السراب

وقال: أبى يتمرّس ، ولحرمى يتعرّض ، وبنسائى يعبث ؟ ونفاه الى الكوفة
وفى ضربه يقول أبو دهمان

لولا الذى أحدث الخليفة للعشا * ق من ضربهم اذا عشقوا
لبحت باسم الذى أحب ولاكنى * امرؤ قد ثنائى الفرق
وكان أبو العتاهية بالكوفة لما نفى يذكر عتبة ، ويكنى باسمها ، فمن ذلك قوله
قل لمن لست أسمى * بأبى أنت وأمى
بأبى أنت لقد أصبح * ت من أكبر همى
ولقد قلت لأهلى * اذا ذاب الحب لحي
وأرادوا لى طيباً * فاكتفوا منى بعلمى
من يكن يجهل ما ألقى * فان الحب سقمى
إن روحى لبغدا * ذوقى الكوفة جسمى

وقوله

أمسى ببغداد ظبيّ لست أذكره * الا بكيت اذا ما ذكره خطرا
إن الحب اذا شطت منازلُهُ * عن الحبيب بكى أوحنّ أوذكرا
ياربّ ليل طويل بتّ أرقبه * حتى أضاء عمود الصبح فانفجرا
ما كنت أحسب إلا مذ عرفتكم * أن المضاجع مما ينبت الإبرا
والليل أطول من يوم الحساب على * عين الشجيّ اذا ما نومه نفرا
ولما قدمت عتبة ببغداد قدم معها أبو العتاهية وتلطّف حتى اتصل بالرشيد
فى خلافة أبيه المهديّ ، وتمكّن منه ، وبلغ المهديّ خبره فأحضره ، فقال يابأس
أنت مستقتل ، وسأله عن حاله فأنشده قصيدته التى يقول فيها

أنت المقابل والمدى بر فى المناسب والعديد
بين العمومة والخو لة والأبوة والجدود
فاذا انتميت الى أبى لك فأنت فى المجد المشيد

وإذا انتمى خالٌ فما * خال بأكرم من يزيد
يريد يزيد بن منصور ، وكانت أم المهدي أم موسى بنت منصور الحميري
وأشده

علم العالم أن المنايا * سامعات لك فيمن عصاكا
فاذا وجهتها نحو طاغ * رجعت ترعف منه فناكا
ولو ان الريح بارتك يوماً * في سماع قصرت عن نداكا
وأشده

أنته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الأله * ولم يك يصلح إلها
ولو رامها أحد غيره * لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطعمه بنات القلوب * لما قبل الله أعمالها

فقال له المهدي ان شئت أدبناك بضرب وجيع ، لاقدامك على ما نهيت
عنه ، وأعطيناك ثلاثين ألف درهم جائزة نلى مدحك لنا ، وان شئت عفونا عنك
فقط . فقال بل يضيف أمير المؤمنين الى كريم عفوه جميل معروفه ، ومكرمتان
أكثر من واحدة ، وأمير المؤمنين أولى من شفع نعمته ، وأنتم كرمه . فأمر له بثلاثين
ألف درهم وعفا عنه — ولما قدم الرشيد الرقة أظهر أبو العتاهية الزهد والتصوف
وترك الغزل فأمره الرشيد أن يتغزل فأبى فحبسه فغنى بقوله

خليلى مالى لا تزال مضرتى * تكون على الأقدار حتماً من الحتم
كفأك بحق الله ما قد ظلمتنى * فهذا مقام المستجير من الظلم
ألا فى سبيل الله جسمى وقوتى * ألا مسعدي حتى أنوح على جسمى

فأمر باحضاره وقال : بالأمس ينهك أمير المؤمنين المهدي عن الغزل فتأبى
الالجاجا ومحكا ، واليوم آمرك بالقول فتأبى جرأة على واقداما ، فقال يا أمير المؤمنين
ان الحسنات يذهبن السيئات ، كنت أقول الغزل ولى شباب وجدة ، وبى

حراك وقوة ، وأنا اليوم شيخ ضعيف لا يحسن بمثلي تصاب ، فردّه الى حبسه
فكتب اليه

أنا اليوم لى والحمد لله أشهر * بروح على الغم منك ويبكر
تذكر أمين الله حقى وحرمنى * وما كنت تولينى لعلك تذكر
ليالى تدنى منك بالقرب مجلسى * ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لى بالعين الى كنت مرة * الى بها من سالف الدهر تنظر
فبعث اليه: لا بأس عليك، فقال

كأن الخلق ركب فيه روح * له جسد وأنت عليه رأس
أمين الله إن الحبس بأس * وقد وقعت ليس عليك بأس
فأخرجه ، أخذ البيت الاول من هذين على بن جبلة وزاد فيه فقال لأبى
غانم الطوسى

دجلة تسقى وأبو غانم * يطعم من تسقى من الناس
والخلق جسم وامام الهدى * رأس وأنت العين فى الرأس

أوصاف الرجال

وكان عمر بن العلاء ممدّحاً، وفيه يقول بشار بن برد
إذا أيقظتك حروب العدى * فنبّه لها عمراً ثم نم
دعانى الى عمر جوده * وقول العشيرة بحر خضم
ولولا الذى ذكر والمأكن * لأمدح ربحانة قبل شم
فتى لا يبيت على دمنة * ولا يشرب الماء الا بدم
أخذ هذا البيت أبو سعيد الخزومى فقال

وما يريدون لولا الجبن من رجل * بالليل مشتمل بالجر مكتحل
لا يشرب الماء الا من قلب دم * ولا يبيت له جار على وجل^(١)

وقال أبو الطيب

نعمود أن لا تقضم الحب خيله * إذا الهام لم ترفع جنوب العلائق
ولا ترد الغربان الا وماؤه * من الدم كالريحان تحت الشقائق

وقال أبو القاسم بن هاني

من لم ير الميدان لم ير معركاً * أشباً ويوماً بالأسنة أكها (١)
وكتائباً نردى غواز بها العدى * وفوارسا تعدو صوالجها الظبا
لا يوردون الماء سنبك ساجح * أويكتسى بدم الفوارس طحلباً (٢)

قال وبلغ عمر بن العلاء ان أبا العتاهية عليه عتاب في هناة نالها منه في مجلس
وكان كثير الانقطاع اليه فتخلف عنه ، فساء ذلك عمر فكتب اليه : قد بلغني
الذي كان من تجنبك فيما استخفك به سوء الأدب عن علم حقيقة مني ، فصرت
مترددا من العمى في يلاميع الشبهة ، ولو كان معك من علمك داع الى لقائي لكشفت
لك مورد الأمر ومصدره لترجع الى الصلة ، فتقال أو تأبى الا الصريمة فتصرم
وقد قال الاول

ومستعتب أبدي على الظن عتبه * وأخرج منه المحفظات غليل
كشفت له عذرا فأبصر وجهه * فعاد الى الانصاف وهو ذليل

فأجابه أبو العتاهية لم أجز بعني الحقيقة الى الشبهة ، ولم أجد سعة مع عظيم
قدرتك الى حمل اللائم ، فقصر بي الخوف من سخطك ، على ترك معاتبتك ،
لأن المعاتبة لا تجنني الامن المساوي ، ولو رغبت عن الصلة الى القطعية لتقاضيته
ذلك عن طول الصحبة وسالف المدة ، وأنا أقول

رضيت ببعض الذل خوف جميعه * وليس لمثلي بالملوك يدان
وكننت أمراً أخشى العقاب واتقى * مغبة ما تجنى يدي ولساني

(١) أ كهب : مظم (٢) الطحلب : خضرة تعملو الماء الزمن

فهل من شفيع منك يضمن تونتي * فاني امرؤٌ أو في بكل ضمانٍ
 قتراجعا الى أحسن ما كانا عليه ، وإنما ألم أبو العتاهية في قوله ان المطايا
 تشنكيك وما يليه بقول أبي الحجناء نُصِيبُ الأَكْبَرُ
 ففاجوا فأتنوا بالذي أنت أهله * ولوسكنتوا أثنت عليك الحقائقُ
 وقال أبو الطيب في أبي العشائر الحمداني

تنشد أنوابنا مدائحهُ * بالسنٍ ما هن أفواهُ
 اذا مررنا على الأصم بها * أغنته عن مسمعيه عيناهُ
 وهذا المعنى من القضية الدالة بذاتها التي ذكرتها عن الجاحظ في أقسام البيان

شواهد الايمان

وقال بعض الخطباء أشهد أن في السموات والارض آيات ودلالات ، وشواهد
 قآلمات ، كل يؤدي عنك الحجة ، ويشهد لك بالربوبية ، ونظير هذا قول أبي
 العتاهية وروى أنه جلس في دكان ورّاق وأخذ كتابا فكتب على ظهره
 فواعجبا كيف يعصى المليك * أم كيف يجحده الحاجدُ
 والله في كل تحريكة * وتسكينة في الوري شاهدُ
 وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحدُ
 وانصرف فاجتاز أبو نواس بالموضع فرأى الأبيات فقال لمن هذا فلوددتها
 لي بجميع شعري ، فقبل لاسماعيل بن القاسم فوق تحتها

سبحان من خلق الخلق * ق من ضعيف مهين
 فصاغه من قرارٍ * الى قرار مكين
 يحول شيئا فشيئا * في الحجب دون العيون
 حتى بدت حركاته * مخلوقة من سكون
 وقال الفضل بن عيسى الرقاشي: سل الارض من غرس أشجارك ، وشق

أنهارك ، وجنى ثمارك ، فإن لم تجبك حوارا ، أجابتك اعتبارا ؛ وهذا شبيه بقول
عدي بن زيد وقد نزل النعمان بن المنذر تحت سرحة فقال أتدرى ما تقول هذه
السرحة أيها الملك ؟ قال وما تقول ؟ قال تقول

ربّ ركب قد أناخوا حولنا * يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم * وكذلك الدهر حالا بعد حال
ويروى عكف الدهر بهم فتكدر حال النعمان وما كان فيه من لذة

دلالة الحال

ألفاظ لأهل العصر في الشكر بدلالة الحال : لو سكت الشاكر ، لنطقت
المآثر ، لو صمت المخاطب ، لأنثت الحقائق ، وأشهد شواهد حاله ، على صدق
مقاله ، ان جمحت ما أولانيه ، وكفرت ما أعطانيه ، نطقت آثار أيديه على ،
ولمعت أعلام عوارفه لديّ (ولأبي الفضل الميكالي من رسالة) ورد فلان فتعاطى
من شكره على نعمه اتى أنبسه جمالها ، وأسحبه أذيالها ، ما لو لم يتحدث به ناشرا
ومثليا ، ومعيدا ومبيدا ، لأنثت به حاله ، وشهدت به رحاله ، حتى لقد امتلأت
بذكره المحافل ، وسارت بخبرد الركبان والقوافل ، وصارت الأسنة على الشكر
والثناء لسانا ، والجماعة على النشر والدعاء أنصارا وأعوانا ، على انه وان بالغ
في هذا الباب ، وجاوز حد الإكثار والاسهاب ، نهايته القصور دون واجبه ،
والسقوط عن أدنى درجاته ومراتبه — ومما يقتزن لهم بهذا المعنى من ذكر
الشكر ، قال أبو الفتح البستي : الحر تحمل الشكر ، ان أجناه المرء من خيره شكرا أجناه
من برّه شهدا (غيره) الشكر ترجمان النية ، ولسان الطوية ، وشاهد الاخلاص
وعنوان الاختصاص ، الشكر نسيم النعم ، وهو السبب الى الزيادة ، والطريق
الى السعادة ، الشكر قيد النعمة ، ومفتاح المزيد وثمن الجنة ، من شكر قليلا ،
استحق جزيلًا ؛ شكر المولى هو الاولى ، الشكر قيد النعم وشكالها ، وعيالها ،

وهو شبيه بالوحش التي لا تقبم مع الایحاش ، ولا تريم مع الایناس ، موقع الشكر من النعمة موقع القرى من الضيف ، ان وجده لم يرم ، وان فقهه لم يقم ، الشكر غرس إذا أودع سمع الكريم أثمر الزيادة ، وحفظ العادة ؛ الشكر تعرض للمزيد السائغ ، والنعيم السوابغ ، شكر شكر الأسير لمن أطلقه ، والمملوك لمن أعتقه ، أننى عليه ثناء الروض المحل ، على الفيث المسبل ، أننى عليه ثناء لسان الزهر على راحة المطر ، أننى عليه ثناء العطشان الوارد ، على الزلال البارد ، شكره شكر الارض للديم ، وزهير لهرم ، بسط لسان الثناء والدعاء ، وبلغ عنان الشكر عنان السماء ، شكره شكر ارتاح له المكارم ، وتهتزه المواسم ، لا شكره شكراً تشيع أنواعه ، وتنسبط أنواعه ، ويلذ ذكره وسماعه - شكر ملاً القلب واللسان كشكر حسان لآل غسان ، أطال عنان الشكر وفسح مجاله ، ورفع أعمده ، ومد أروقته ، شكر كأفاس الاحباب ، أو أنفاس الاسحار ، أو أنفاس الرياض غب القطار

شعر نصيب

رجع ما انقطع : كان سبب قول نصيب * فعاجوا فأتوا بالذى أنت أهله *
انه كان مع الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال سليمان بن عبد الملك يا فرزدق من أشعر الناس ؟ قال أنا يا أمير المؤمنين ، قال لماذا ؟ قال بقولى

وركب كأن الریح تطلب عندهم * لها ترة من جذبها بالمصائب
سروا وسرت فكباء وهى تلفهم * إلى شعب الاكوار ذات الحقايب
إذا آنسوا ناراً يقولون ليها * وقد خصرت أيديهم نار غالب

يريد أباه وهو غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع فأعرض عنه سليمان كالمغضب لانه انما أراد أن ينشده مدحاً فيه ففهم نصيب مراده فقال يا أمير المؤمنين قد قلت أبياتاً على هذا الروى ليست بدونها فقال هاتهما فأنشأ نصيب يقول

أقول لركب قافلین لقيتهم • قفا ذات أو شال ومولاك قارب

فقد أخبروني عن سليمان اني * لمعروفه من آل ودان طالب
 فعاوجوا فأننوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أننت عليك الحقائق
 فقالوا تركناه وفي كل ليلة * يطيف به من طالبي العرف راكب
 ولو كان فوق الناس حي فعاله * كفعلك أو للفعل منك يقارب
 لقلنا له شبه ولكن تعذرت * سواك عن المستشفعين المطالب
 هو البدر والناس الكواكب حوله * وهل تشبه البدر المنير الكواكب
 فقال سليمان أحسنت ، والتفت الى الفرزدق فقال كيف تسمع يا أبا فراس ؟
 قال هو أشعر أهل جلده ، قال وأهل جلده ، فخرج الفرزدق وهو يقول
 وخير الشعر أكرمه رجالاً * وشر الشعر ما قال العبيد
 قال أبو العباس محمد بن يزيد وهذا باب في المدح حسن متجاوز مبتدع لم
 يسبق اليه قول نصيب من أهل ودان (قال اسحاق بن ابراهيم) الموصلي ذكر
 محمد بن كناسة والزبيدي أن نصيبا من أهل ودان وكان عبدا لرجل من بني كنانة
 هو وأهل بيته ، وزعم أبو هذان أنه عبد لعبد العزيز بن مروان وكان نصيب شديدا
 السواد وهو القائل
 كسيت ولم أملك سواداً وتحتة * قبيص من اقوهي بيض نبائة
 فحاضر أنوابي سوادي وانني * لكالمسك لا يسلو عن المسك ذائقة
 وقال سحيم عبد بن الحساس
 أشعار عبد بن الحساس قن له * عند الفخار مقام الاصل والورق
 ان كنت عبداً فنفسي حرة كرما * أو أسود اللون اني أبيض الخلق
 وقال أبو الطيب المتنبي لكافور الاخشيدي
 انما الجلد ملبس وابيضاض الخلق * ق خير من ابيضاض القباء
 وقال نصيب لبعض ملوك بني أمية ان لي بنات نفضت عليهن من سوادي ، فقال
 ما أحسن ما تلطفن لهن ؛ وأمر له بصلة . وكان أبو تمام حبيب بن أوس لما مدح
 أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات بقصيدته التي أولها

لهان علينا أن نقول وتفعلنا * ونذكر بعض الفضل منك وتفضلا
وهي من أحسن شعره ، وقع له على ظهرها
رأيتك سمح البيع سهلاً وإنما * يغالى إذا ماض بالشئ بأئمة
فأما إذا هانت بضائع بيعه * فيوشك أن تبقى عليه بضائعه
هو الماء إن أجمته طاب وردّه * ويفسد منه أن تباح مشاعه
فأجابه بقصيدة طويلة واحتج عليه واعتذر اليه في مدحه لغيره فقال

في بعض ذلك

أما القوافى فقد حصنت غرتها * فما يصاب دم منها ولا سلب
منعت إلا من الا كفاء أيها * وكان منك عليها العطف والحدب
ولو عضلت عن الا كفاء أيها * ولم يكن لك في اظهارها أرب
كانت بنات نصيب حين ضن بها * على الموالى ولم تحفل بها العرب
وقد قيل ان أبا تمام أجابه بقوله

أبا جعفر ان كنت أصبحت شاعراً * أسامح في بيعي له من أبيات
فقد كنت قبلى شاعراً تاجراً به * تساهل من عادت عليك منافع
فصرت وزيراً والوزارة مكرع * يغص به بعد اللذاة كراع
وكم من وزير قد رأينا مُسلطاً * فعاد وقد سدت عليه مطالعه
ولله قوس لا تطيش سهامها * ولله سيف لا تنفل مقاطعه

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى ويقال إن هذه الأبيات منحولة لحبيب وليس
مثل أبي جعفر في جلالة قدره واصطناعه لحبيب يعامل بمثل هذا الجواب ولا
ينتهى جهل حبيب أن يقابل مأموله ومن يرتجى جليل الفائدة منه بهذه الابيات ،
وقد قيل بل قالها ولم ينشدها أحداً ، وإنما ظهرت بعد موته ، وكان ابن الزيات
كما قال شاعرا ومدح الحسن بن سهل في وزارته للآمنون وأعطاه عشرة آلاف
درهم فقال

لم أمتدحك رجاء المسال أطلبه * لكن لتلبسني التحجيل والغررا
 ما كان ذلك إلا أنى رجل * لأقرب الورد حتى أعرف الصدرا
 قال الصولى وكان السبب الذى أوجد أبا جعفر على أبي تمام حتى قال لقد رأيتك
 سهل البيع الابيات قول أبي تمام قصيدته المشهورة فى ابن أبي دؤاد التى أولها
 سقى عهد الحى سيل العهاد * وروى حاضراً منه وباد
 نزحت به ركنى الدمع لما * رأيت الدمع من خير العباد
 يقول فيها فى مدحه

همُ عظم الانافى من نزار * وأهل الهضب منها والنجاد
 معرّس كل معضلة وخطب * ومنبت كل مكرمة وآد
 إذا حدث القبايل ساجلوهم * فأنهم بنو المجد التلاد
 يفرّج عنهم الغمرات بيض * جلاد تحت قسطله الجلال
 وحشو حوادث الايام منهم * معاقل مطرد وبنو طراد
 لهم جهل السباع إذا المنايا * نمت فى الوغى وحلوم عاد
 لقد أنست سلوى كل دهر * محاسن أحمد بن أبي دؤاد
 متى تحلل به تحلل جنابا * رضيعا للسوارى والفوادى
 وما اشتبهت سهيل المجد الا * هداك لقبلة المعروف هاد
 وما سافرت فى الآفاق إلا * ومن جدواك راحلى وزادى
 مقيم الظن عندك والأمانى * وإن قلقت ركابى فى البلاد
 وهذه النكت التى أحقت أبا جعفر ، وأعتبته على أبي تمام ، وفى هذه

القصيدة يقول معتذراً اليه فى الذى قرب به عنده من هجاء مضر
 أنأتى عابر الأنباء تسرى * عقاربى بداهية نآد (١)
 ثنا خير كأن القلب منه * يُجرّبه على شوك القتاد

بأني نلت من مضرٍ وخبَّتْ * اليك شكيتي خَبَبَ الجواد
ومارِج القطيعة لي بربع * ولأنادي الأذى مني بنادٍ
وأين يجور عن قصد لسانى * وقلبي رانح برضاك غاد
ومما كانت الحكماء قالت * لسان المرء من خَدَم الفؤاد
وقدماً كنت معسول القوافى * ومأدوم المعانى بالسَّداد

ابن أبي دؤاد

وكان ابن أبي دؤاد غالباً في التعصب لإياد ، والحاقها بنزار ، على مذهب
نُساب العدنانيين . قال وكل من بالعراق من إياد دخلوا في النخع واليهم ينسبون
ومن كان بالشام فلم على نسبهم في نزار ، وابن أبي دؤاد يرمى بالدعوة ، والتكثير
من أخباره يخرج الى ما أخافه من تطويل التصرف ، في مملول التكلف
وكان ابن أبي دؤاد عالماً بضروب العلم والأدب ، متصرفاً في صناعة الجدل ،
على مذهب أهل الاعتزال ، وكانت العداوة بينه وبين ابن الزيات بينة ، والنفاسة
في الرياسة بينهما متمكنة ، وقال له بعض الشعراء

أكل أبي دؤاد من أيادٍ * فكل أبي ذؤيب من هذيلٍ
قال مسلم : ماتاه الاوضاع ، ولا فاخر الاسقيط ، ولا نعصب الادخيل . وقال
مدني لرجل ممن أنت ؟ فقال من قریش والحمد لله ، قال بأبي أنت ، التعميد
هاهنا ريبة ! واسم أبي دؤاد دعى ، قال أبو اليقظان : وهم من قبيلة يقال لها
بنو زهرة اخوة بني جدان ، وقد ذكره الطائي في قوله

والغيث من زهر سحابة رافقة * والركن من شيبان طود حديدٍ
ذكر شيبان لأن خالد بن يزيد الشيباني شفع له عند ابن دؤاد فيما ينساق
الحديث اليه من موجدته عليه

قال محمود الوراق: كنت جالسا بطرف الجسر مع أصحاب لي فمر بنا أبو تمام فجلس إلينا فقال له رجل منا: يا أبا تمام أي رجل أنت لو لم تكن من اليمن ! قال ما أحب أني بغير الموضع الذي اختاره الله لي ، فمن تحب أن أكون ؟ قال من مضر . قال إنما شرفت مضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولولا ذلك ما قيسوا بملوكنا وأذوائنا ، وفينا كذا ومنا كذا ، يفخر ، وذكر أشياء عاب بها مضر ، ونهي الخبر إلى ابن أبي دؤاد وزيد فيه ، فقال ما أحب أن يدخل عليّ ، فقال يعتذر إليه بقصيدة أولها

سَعِدْتُ غَرَبَةَ النُّوَى بِسَعَادٍ * فِي طُلُوعِ الْإِتِّهَامِ وَالْإِنِّجَادِ
يقول فيها

بعد أن أَصْلَتِ الوِشَاةُ سَيْوَفًا * قَطَعْتَ فِيَّ وَهِيَ غَيْرُ حِدَادِ
فَنَفَى عَنْكَ زَخْرَفَ الْقَوْلِ سَمْعٌ * لَمْ يَكُنْ فَرَضُهُ لَغَيْرِ السَّدَادِ
ضَرْبَ الْحِلْمِ وَالْوَقَارِ عَلَيْهِ * دُونَ عَوْدِ الْكَلَامِ بِالْأَسْدَادِ
مَلَأَتْكَ الْأَحْسَابُ أَيَّ حَيَاةٍ * وَحَيَاةٍ أَزْمَةٌ وَحَيَاةٍ وَادِ
عَاتِقٌ مَعْتَقٌ مِنَ الرِّقِّ إِلَّا * مِنْ مِقَاسَةِ مَغْرَمٍ أَوْ نَجَادِ
لِلْحِمَالَاتِ وَالْحَمَائِلِ فِيهِ * كَلْحَوْبِ الْمَوَارِدِ الْأَعْدَادِ
فمأرضى عنه حتى تشفع إليه بخالد بن يزيد بن مزيد الشيباني فقال في قصيدة
أَسْرَى طَرِيدًا لِلْحَيَاءِ مِنْ أَلَى * زَعَمُوا وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ بِطَرِيدِ
كَنْتُ الرَّبِيعَ أَمَامَهُ وَوَرَاءَهُ * قَمَرُ الْقَبَائِلِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدِ
وَعَدَا تَبَيَّنَ مَا بَرَاءَةٌ سَاحَتِي * لَوْ قَدْ نَفَضْتَ تَهَامِي وَنَجُودِي
لَهُ دَرَكٌ أَيْ بَابُ مُلَمَةٍ * لَمْ يَرَمْ فِيهِ إِلَيْكَ بِالْأَقْلِيدِ
لَمَّا أَظْلَمْتَنِي غَمَامُكَ أَصْبَحْتَ * تِلْكَ الشُّهُودُ عَلَيَّ وَهِيَ شُهُودِي
مِنْ بَعْدِ مَا ظَنُّوا بِأَنْ سَيَكُونُ لِي * يَوْمٌ بِزَعْمِهِمْ كَيْدٌ عَبِيدِ

يريد عبید بن الابرص الأسدی وكان النعمان بن المنذر لقيه يوم يؤسه
فقتله — وكان ابن أبي دؤاد كريما فصيحا جزلا (قل أبو العيناء) كنا عند ابن أبي
دؤاد ومعنا محمود الوراق وجماعة من أهل الادب والعلم ، فجاءه رسول ايتاخ فقال
ان الحاجب أبا منصور يقرأ على القاضي السلام ويقول : القاضي يتعنى ويحى
في الأوقات ، وقد تفاقم الأمر بينه وبين كاتب أمير المؤمنين ، يريد ابن الزيات
فصار يضربنا عنده قصد القاضي ، وما أحب أن يتعنى الى لهذا السبب ، إذ كنت
لا أصل الى مكافأته ، فقال أجيبوه عن رسالته ، فلم ندر ما نقول ، ونظر بعضنا
الى بعض ، فقال أما عندكم جواب ! قلنا القاضي أعزه الله أعلم بجوابه منا ، فقال
للرسول اقرأ عليه السلام ، وقل له ما أتيتك متكررا بك من قلة ، ولا متمعزا
بك من ذلة ، ولا طالبا منك رتبة ، ولا شاكيا اليك كربة ، ولكنك رجل
ساعدك زمان ، وحركك سلطان ، ولا علم يؤلف ، ولا أصل يعرف ، فان جئتك
فبسلطانك ، وان تركتك فلنفسك ! فعجبنا من جوابه

خالد القسرى

صعد خالد بن عبد الله القسرى المنبر يوم الجمعة فخطب وهو إذ ذاك أمير
على مكة فذكر الحجاج فأحمد طاعته وأثنى عليه خيرا ، فلما كان في الجمعة الثانية
ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشتم الحجاج وذكر عيوبه واظهار
البراءة منه ، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان ابليس كان ملكا من
الملائكة ، وكان يظهر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له بذلك فضلا ، وكان
الله تعالى قد علم من غشه ما خفي عن الملائكة ، فلما أراد الله فضيحه ابتلاه بالسجود
لأدم فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم فلعنوه ، وان الحجاج كان يظهر من طاعة أمير
المؤمنين ما كنا نرى له بذلك فضلا وكان الله عز وجل أطلع أمير المؤمنين من غله وخبئه على
ما خفي عنا فلما أراد الله فضيحه أجرى ذلك على أيدي أمير المؤمنين فالعنوه لعنة الله ثم نزل

الافشين التركي

وكان أبو تمام قد مدح الافشين التركي واسمه حيدر بن كلوس وكان من أجل قواد المعتصم وأبلى في أمر بابك الخرمي بلاء حمده له ، فلما سخط المعتصم عليه لما نسب اليه من سوء السيرة ، وقبح السريرة ، وانه يخطب درجة بابك ، ويريد التحصن بموضع يخلع فيه يده عن الطاعة ، وأظهر القاضي أحمد بن أبي داود عليه أنه على غير الاسلام ، قال أبو تمام معتذرا للمعتصم من تقديمه واجتبائه ، ولنفسه من مدحه واطرائه

ما كان لولا فخش غدره حيدر * ليكون في الاسلام عام فجار
هذا الرسول وكان صفوة ربه * من خير باد في الأنام وقار
قد خص من أهل النفاق عصابة * وهم أشد أذى من الكفار
واختار من سعد لقيس بن أبي * سرح لعمر الله غير خيار
حتى استضاء بشعلة السور التي * رفعت له سترا من الاستار
ثم ذكر في هذه القصيدة ان قتل الافشين لبابك لم يكن بصدق بصيرة ، ولا لصحة سريرة ، فقال

والهاشمون المستقلة ظعنهم * عن كر بلاء بأثقل الأوزار
فشفاهم المختار منه ولم يكن * في دينه المختار بالمختار

المنافقون

أما من ذكر من أهل النفاق ، فقد كانوا يظهرون غير ما يسرون ، حتى أطلع الله نبيه عليه السلام على أخبارهم ، ونشر له مطوى أسرارهم ، وأما ابن أبي سرح فهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحسام بن الحارث بن حبيب بن خزيمة ابن نصر بن مالك بن عامر بن لؤي ، أسلم قبل الفتح واستكتبه النبي عليه السلام

فكان يكتب موضع الغفور لرحيم العزيز الحكيم وأشهاد ذلك ، فأطلع الله عليه النبي عليه السلام فهرب الى مكة مرتداً ، وأنزل فيه ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دمه فهرب من مكة فاستأمن له عثمان رضى الله عنه فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أخو عثمان من الرضاعة ، وأسلم فحسن اسلامه ، وولى مصر سنة أربع وعشرين فأقام عليها الى أن حصر عثمان ومات بقيسارية الشام ولم يدخل في شئ من الفتن الحجازية في ذلك الوقت ، وأما المختار الذى ذكره فهو المختار بن أبى عبيد بن مسعود بن عمرو ابن عمير بن عوف بن عفدة بن عروة بن عوف بن قصى وهو ثقيف وكانت لأبيه في الاسلام آثار جميلة ، وأخت المختار صفية بنت أبى عبيد زوج ابن عمر ، والمختار هو كذاب ثقيف الذى جاء فيه الحديث وكان يزعم أنه يوحى اليه في قتلة الحسين فقتلهم بكل موضع ، وقتل عبيد الله ابن زياد ، وله أسجاع يصنعها ، وألفاظ يبتدعها ، ويزعم أنها تنزل عليه ، وتوحى اليه ، وقيل للأحنف بن قيس ان المختار يزعم أنه يوحى اليه فقال صدق ، وتلا : وان الشياطين ليوحى بعضهم الى بعض ، وأخباره كثيرة ليس هذا موضعها

كلمات مختارة

لما هزم أمية ابن خالد بن أسيد لم يدر الناس كيف يقولون له فدخل عبد الله ابن الأهم عليه فقال الحمد لله الذى نظر لنا أبها الأمير عليك ، ولم ينظر لك علينا ، فقد تعرضت للشهادة بجهدك ، إلا ان الله علم حاجة أهل الاسلام اليك فأبقاك لهم بخيلاق من معك . فصدر الناس عن كلامه (ويتعلق بهذه المقامة فصل في غرائب التكاثر) كتب حمدون بن نهرافى الى عامل عزل عن عمله : بلغنى أعزك الله انصرفك عن عملك ، ورجوعك الى منزلك ، فسررت بذلك ولم استفظعه وأجزع له ، لعلى بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرفعك عمل تتولاه ،

أو يضعك عزل عنه ، ووالله لو لم تختار الانصراف ، وترد الاعتزال ، لكان في لطف تدبيرك ، وثقوب رويتك ، وحسن تأتيك ، ما تزيل به السبب الداعي الى عزلك ، والباعث على صرفك ، ونحن الى أن نهنيك بهذه الحال أولى بنا من أن نعزيك ، إذ أردت الانصراف فأوثيقته ، وأحببت الاعتزال فأعطيته ، فبارك الله لك في منقلبك ، وهناك النعم بدوامها ، ورزقك الشكر الموجب لها الزائد فيها (وكتب ابن مكرم الى نصراني أسلم) أما بعد فالحمد لله الذي وفقك لشكره ، وعرفك هدايته ، وظهر من الارتياح قلبك ، وما زالت مخايلك ممثلة لنا حقيقة ما وهب الله فيك ، حتى كأنك لم تزل بالاسلام موسوماً ، وإن كنت على غيره مقبلاً ، وكنا مؤملين لما صرت اليه ، مشفقين مما كنت عليه ، حتى إذا كاد اشفاقنا أن يستعلى رجاءنا ، أتت السعادة بما لم تزل الانفس تعد منك ، فأسأل الله الذي أضاء لك سبيل رشدك ، أن يوفقك لصالح العمل ، وأن يؤتيك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، ويقيك عذاب النار

غرائب الاذواق

قال بعض الكتاب: من الحق ما يستحسن تركه ، ويستهجى عمله ، وقد يقع من ذلك فيما يحله الشرع ، ويكرهه الأدباء ، وكثير ممن يغلب على طبعه هذا المعنى يراه سموً نفس ، وعلوً همة ، حتى رأينا من لا يحضر تزويج كريمته ويولى أمرها غير نفسه ، ورأينا من يجاوز ذلك إلى أن لا ينكح مستنكحاً ، وزاد به العلو إلى ترك ما ذكره أولى ، وكنا عرفنا حال انسان تزوجت أمه فعظم لذلك همه ، وانفرد عن أودائه ، وتوارى عن اصفياه ، حياء من لقاءهم ، وكرها اتهميتهم له أو عزائهم ، واضطرته الوحشة إلى قصد من ظن به منهم المسكة في تحامي خطابه فيما اجتنب لأجله خللته ، وفارق لسببه اخوانه ، وتخيّل ذلك المقصود انه انما لجأ اليه ليسليه ، فأفاض معه فيما قدر أنه قصد له من المعنى الذي جعله وحيداً خوف

المفاوضة ، ثم مضت الأليم واختلاف الحال ، ورجع إلى العشرة وأبناء المودة ، فكان
عنده من لم يخاطبه أحظى ، وفي نفسه أوفى ، وعلى قلبه أخف ، وفي نفسه أشف
ونقم على ذلك الصديق وعتب ، اذ لكل من الناس إلا من طاب محتده ،
وطال سؤدده ، حال من الإيف والرغبة تحسن المساوى ، ثم حال من الملل
والزهادة تقبح المحاسن ، واعتذر المتكلف من التسلية بما لم يلزمه ، ولم يرده صفيه
فانه فعل ما أوجبه الاخوة ، وحقوق الخلطة ، وأسباب العشرة ، وانبساط المفاوضة
ودبت عقارب الظنون والوشاية ، الى أن خرجا بالملاحاة إلى المعاداة ، فلما وقع
بعض الناس بينهما من معاودة الحسنى ، ومراجعة الأولى ، جاهر هذا الماقت بقرع
سن الأسف ، على تخيل النهى والوقار من الممقوت ، وظاهر الممقوت بتقريع
الماقت ، بتزويج أمه الذى تجشم من كلامه فيه فضلاً ، وتكلف من خطابه عليه
مامن حسرة خلا ، فأفضى الأمر بينهما إلى الأوتار ، وطلب الثار ، فان اضطر الى
القول فى هذا المعنى أحد بأمر قاهر من السلطان ، أحوادث الازمان ، أو تطارح
الاخوان ، فليقل وليكتب ما مثلنا إن لم يجد منه بداً : أنت بفضل الله عليك ،
واحسان تبصيره اياك ، من أهل الدين ، وخلوص اليقين ، فكما لا تتبع الشهوة
فى محذور تبذره ، فكذا لا تتبع الأنفة فى مباح تحظره ، وقد انفصل بنا ما اختاره
الله والقضاء لذات الحق عليك ، المنسوبة بعد نسبك اليها اليك ، مما كرهه
لباؤك الدنيوى لك ولها ، ورضيه الحلال الدينى له ولها ، فنحن نعزيزك عن فائت
محبوبك ، ونهنيك فى الخيرة فى اختيار القدر لك ، ونسأل الله أن يجعلها أبداً
معك فيما رضيت وكرهت ، وأيت وأيت . فهذا ونحوه أصوب وأسلم ، ان
اضطرت اليه ، وتركه أحسن وأحرز : ان ملكك رأيك فيه ، والتلطف
للكتابة عما يستهجن ولا يستحسن التواجه به من أحسن الأشياء وأسدّها

جدع الحلال أنف الغيرة

كتب أبو الفضل بن العميد في باب: الحمد لله الذي كشف عنا ستر الخيرة
وهذان ستر العورة ، وجدع بما شرع من الحلال أنف الغيرة ، ومتع من عضل
الامهات ، كما متع من وأد البنات ، استنزأ للنفوس الأبية ، عن حمية الجاهلية
ثم عرض للجزيل من الاجر ، من استسلم لمواقع قضائه ، وعوض جزيل الثواب
من صبر على نازل بلائه ، وهناك الله الذي شرح للتقوى صدرك ، ووسع في البلوى
صبرك ، ما ألهمك من التسليم بشيئته ، والرضى بقضيته ، ووفقك له من قضاء
الواجب في أحد أبويك ، ومن عظم حقه عليك ، وجعل الله تعالى حده مانجرحته
من أنف ، وكظمته من أسف ، معدودا يعظم الله عليه أجرك ، ويجزل به
ذخرك ، وقرن بالحاضر من امتعاضك لفعلها ، المنتظر من ارتماضك لدفعها ،
وعوضك من أسرة فرشها ، أعواد نعشها ، وجعل ما ينعم به عليك من بعدها
من نعمة ، معرّى من نقمة ، وما يولييك بعد قبصها من منحة مبرا من محنة

التهاني بالبنات

الفاظ لاهل العصر في التهاني بالبنات : هنا الله سيدي ورّد الكريمة عليه ،
وثر بها أعداد النسل الطيب لديه ، وجعلها مؤذنة باخوة بررة ، يعمرن أندية
الفضل ، وينغرون بقية الدهر ، اتصل بي خبر المولودة كرم الله غرتها وأنبتها
نباتاً حسناً ، وما كان من تغيرك بعد اتضاح الخبر ، وانكارك ما اختاره الله لك
في سابق القدر ، وقد علمت انهن أقرب من القلوب ، وأن الله تعالى بدأ بين
في الترتيب ، فقال جل من قائل يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ، وما
سماه هبة فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أخرى ، أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء ،
وأم الابناء ، وجالبة الاصرار ، وأولاد الاطهار ، والمبشرة باخوة يتناسقون ، ونجباء
يتلاحقون

فلو كان النساء كمثل هذى * لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيت لاسم الشمس عيب * ولا التذكير نحر للهِلال
والله يعرفك البركة في مظهرها ، والسعادة في موقعها ، قادرع اغتباطا ،
واستأنف نشاطا ، الدنيا مؤنثة ، والرجل يخدمونها ، والنار مؤنثة ، والدكور
يعبدونها ، والارض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسماء
مؤنثة ، وقد حليت بالكواكب ، وزينت بالنجوم الثواقب ، والنفوس مؤنثة ،
وهي قوام الابدان ، وملاك الحيوان ، والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تنصرف الاجسام
ولا عرفت الانام ، والجنة مؤنثة ، وبها وعد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون ، فهناك
الله ما أوليت ، وأوزعك شكر ما أعطيت ، وأطال الله بقاءك ما عرف النسل والولد
وما بقي العصر والابد ، انه فعال لما يشاء

أوصاف النساء

والنصرف في النساء ضيق النطاق ، شديد الخناق ، وأكثر ما يمدح به الرجال
ذم لهن ، ووصم عليهن ، قال الرومي
ما بالحسان مسيئات بنا ولنا * الى المسيئات طول الدهر تحنان
فان يبحن بمهد قلن معذرة * انا نسينا وفي النسوان نسيان
لا نلزم الذكر انالم نسم به * ولا منحناه بل للذكر ذكران
فضل الرجال علينا أن شيمتهم * جود وبأس وأحلام وأذهان
وان منهم وفاء لا تقوم له * وهل يكون مع النقصان رجحان
وقال أبو الطيب المتنبي

بنفس الخيال الزائر بعد هجمته * وقواته لي بعدنا الغمض تطعم
سلام قلولا البخل والخوف عنده * اقلنا أبو حفص علينا المسلم
ألا نرى أن الجود ، والوفاء بالمهود ، والشجاعة والفظن ، وما جرى في هذا

السنن ، من فضائل الرجال ، لو مدح النساء به لكان نقصاً عليهن ، وذمألهن ؟
ولمدح النساء أبواب تفرقت في الكتاب . أنشد رجل زبيدة بنت جعفر بن
أبي جعفر المنصور

أزبيدة ابنة جعفر * طوبى لزاارك المئاب

تعطين من رجليك ما * تعطى الا كف من الرغاب

فوثب اليه الخدم بضربونه فمنعتهم من ذلك ، وقالت أراد خيراً وأخطأ ،
وهو أحب اليها ممن أراد شراً فأصاب ، سمع قولهم شمالك أندى من يمين غيرك
فظن أنه اذا قال هكذا كان أبلغ ، أعطوه ما أمل ، وعرفوه ما جهل . وقال كثير

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح

وشدت على حذب المطايا رحالنا * ولا يعلم الغادى الذى هو راح

أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح

نقعنا قلوباً بالأحاديث واشتفت * بذاك صدور منضجات قراح

ولم نخش ريب الدهر فى كل حالة * ولا راعنا منه سنيح وبارح

وقال

تفرق آلاف الحبيج على منى * وشتهم شحط النوى مشى أربع

فريقان منهم سالك بطن نخلة * وآخر منهم جازع ظهر تصرع

فلم أر داراً مثلها دار غبطة * ولهو اذا التف الحبيج بمجمع

أقل مقبلاً راضياً بمكانه * وأكثر جاراً ظاعناً لم يودع

فأصبح لا تلقى خباء عهدته * بمضربه أوتاده لم تنزع

فشاقوك لما وجهوا كل وجهة * فبانوا وخلوا عن منازل بلقع

ودخل كثير على عزة يوماً فقالت ما ينبغي أن نأذن لك فى الجلوس ، فقال ولم
ذلك ؟ قالت لأنى رأيت الاحوص ألين جانباً عند الغواني منك فى شعره ،
وأضرع خدا للنساء ، وانه الذى يقول

يا أيها اللأيمى فيها لأصرمها * أكرت لو كان يغنى عنك إكثار
أكثر فلست مطاعاً أذوشيت بها * لا القلب سال ولا فى حبها عار
ويعجبني قوله

أدور ولولا أن أرى أم جعفر * بأبياتكم مادرت حيث أدور
وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى * إذا لم يُزر لابد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر * واني الى معروفها لفقير
ويعجبني قوله

كم من دنى لها قد كنت أتبعه * ولوصحا القلب عنها كان لى تبعها
لا أستطيع نزوعاً عن محبتها * أو يصنع الحب بى فوق الذى صنعها
أدعو الى هجرها قلبى فيتبعنى * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا
وزادنى رغبة فى الحب أن منعت * أشهى الى المرء من دنياه ما منعا
وقوله

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجراً من يابس الصخر جليدا
وما العيش الا ما نلته وتشتهى * وان لام فيه ذو الشنان وفندا
واني لأهواها وأهوى لقاءها * كما يشتهى الصادى الشراب المبردا
علاقة حب لجّ فى سنن الصبا * فأبلى وما يزداد الا تجردا
هذان البيتان ألحقهما العتبى وغيره بشعر الأحوص وأنشدها أبو بكر بن دريد

لأعرابى، فقال كثير قد والله أجاد، فما استقبحت من قولى؟ قالت قولك

وكنت اذا ماجئت أجلان بجلسى * وأظهرن منى هيبة لا تجهما
يحاذرن منى غيرة قد عرقها * قديماً فلا يضحكن الا تبسما
تراهن إلا أن يخالسن نظرة * بمؤخر عين أو يقلبن معصما
كواظم لا ينطقن إلا محورة * رجيمة قول بعد أن تمفها
وكن اذا ما قلن شيئاً يسره * أسر الرضى فى نفسه وتحرما

وقولك

وددت وبيت الله انك بكرة * هيجان واني مصعب ثم نهرب
كلانا به عرت فمن يرنا يقل * على حسنهما جرباء تعدى وأجرب
نكون لدى مال كثير مغفل * فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
اذا ماوردنا منهلا صاح أهله * علينا فما تنفك تؤذى ونضرب
ويحك لقد أردت بي الشقاء ، أفما وجدت أمنية أو طأ من هذه ؟ فخرج خجلا

غرائب الآمال

وقد تمنى بمثل هذه الأمنية الفرزدق . وأغرب من هذا قول أبي صخر الهذلي
تمنيت من حبي علية انسا * على رمث في البحر ليس لنا وفر
على دائم لا يعبر الفلك موجه * ومن دوننا الاهوال واللجج الخضر
فندقى هم النفس في غير رقية * ويفرق من نخشى نعيمته البحر
وقيل : الأمل رفيق مؤنس ، إن لم يُبلغك فقد أهلك

وقال مسلم بن الوليد

وأكثر أفعال الليالي إساءة * وأكثر ما تلقى الأمانى كواذبا

وقال آخر

منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والآن فقد عشنا بها زمنا رغدا
أمانى من ليلي حسان كأنما * سقتنى بها ليلي على ظمأ بردا

وقال آخر

رفعت عن الدنيا المنى غير حبها * فلا أسأل الدنيا ولا أستزيدها
وقيل لا عرابى ما أمتع لذات الدنيا ؟ فقال مزارحة الحب ، ومحادثة الصديق ،
وأمانى تقطع بها أيامك ، وأنشد

علاني بوعدي * وامطلى ما حييت به
ودعيني أفوز من * لك بنجوى تطلبه
فمسي بعثر الزمان * ن بحظى فينتبه

أخبار كثير عزة

وكان كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الخزاعي ، ويعرف بعزة ، على حدة خاطره ، وجودة شعره ، أحق الناس — دخل عليه نفر من قریش وهو غليل يهزئون به ، قل بعضهم فقلت له كيف تجدك ؟ قال بخير ، هل سمعتم الناس يقولون شيئا ؟ فقلت نعم سمعتم يقولون انك الدجال ، فقال والله لن قلت ذلك انى لأجد فى عيني اليمن ضعفا منذ أيام ، وكان رافضيا يدين بالرجعة ، ويقول بامامة محمد ابن الحنفية ، والروافض يزعمون أنه دخل فى شعب باليمن فى أربعين من أصحابه ، ولا بد من ظهوره وفى ذلك يقول

ألا إن اللأمة من قریش * ولالة الحق أربعة سواه
على والثلاثة من بنيهِ * هم الأسباط ليس بهم خلفاء
فسبط سبط إيمان وبرٍ * وسبط غيبته ككر بلاه
وسبط لا يذوق الموت حتى * يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيّب لا يرى عنهم زمانا * برضوى عنده عسل وماء

وكان خلفاء بنى أمية يعلمون ذلك منه ، ويلبسونه عليه ، دخل يوما على عبد الملك ابن مروان فقال : نشدتك بحق على بن أبى طالب هل رأيت أعشق منك ؟ فقال يا أمير المؤمنين لو سألتني بحقك لأخبرتكَ ، نعم يلنا أنا أسير فى بعض القلوات اذا أنا برجل قد نصب حبائله فقلت له ما أجلسك ها هنا ؟ قال أهلكنى وأهلى الجوع ، فنصبت حبائلى لأصيب لهم ولنفسى ما يكفينى سحابة يومنا ، قلت أرأيت ان أقمت معك فأصبتنا صيدا ، أتجعل لى منه جزأ ؟ قال نعم ، فبينما نحن كذلك إذ وقعت ظبية ، فخرجنا مبتدرين فأمرع اليها فخلها وأطلقتها فقلت ما حملك على هذا ، قال دخلتنى لها رقة لشبهها بليلى ، وأنشأ يقول

أيا شبه ليلى لا تُراعى فانى * لك اليوم من وحشية لصديق

أقول وقد أطلقها من وثاقها * لأنت لليلي ما حيتِ طليقُ

وروى السكابي وابن دأب أنه لما حلها قال

أذهبي في كلاءة الرحمن * أنت مني في ذمة وأمان

لا تخافي بأن نهاجي بسوء * ما تغني الحمام في الأغصان

ترهيبني والجيد منك لليلي * والحشا والبغام والعينان

وقال قيس بن الملوّح

راحوا بصيدون الظباء وانني * لأرى نصيئتها على حراما

أشبهن منك محاجرًا وسوالفًا * فأرى على لها بذاك ذماما

اعزّز على بأن أروع شبيها * أو أن يذقن على يديّ حراما

ومن جيد شعر كثير

وكانت لقطع الحبل بيني وبينها * كنا ذرة نذراً فأوفت وحلت

فقلت لها يا عزّ كل مصيبة * اذا وطئت يوماً لها النفس ذلت

ولم يلق انسان من الحب ميعّة * نغمٌ ولا غناء إلاّ تجلّت

أباحث حتى لم يرعه الناس قبلها * وحلت تلاءاً لم تكن قبل حلت

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر * اعزة من أعراضنا ما استحلت

أسئتي بنا أو أحسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية إن تقلت

ووالله ما قاربت الا تباعدت * بهجر ولا استكثرت الا أقلت

وما مرّ من يوم على كيومها * وان عظمت أيام أخرى وجلّت

فيا عجباً للقلب كيف اعترافه * وللنفس لما وطئت كيف ذلت

واني وتبيامي بعزة بعدما * تخلّيت مما بيننا وتخلّت

لكل منجى ظل الغمامة كلها * تبوأ منها المقيّل اضمحلت

وكان كثير قصيرا دميّا ولذلك قال

فإن أكُ معروق العظام فاني * اذا ما وزنت القوم بالقوم وازن

ودخل كثير على عبد الملك بن مروان في أول خلافته فقال : أنت كثير ؟ فقال نعم ، فافتحه وقال : تسمع بلمعدي لا أن تراه ! فقال يا أمير المؤمنين كل إنسان عند محله رجب الفناء ، شامخ البناء ، على السناء ، وأنشد يقول

تري الرجل التحيف فتزدريه * وفي أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطير اذا تراه * فيخلف ظنك الرجل الطير
بغات الطير أطولها رقاباً * ولم تطل البزاة ولا الصقور
خشاش الطير أكثرها فراخاً * وأم الباز مقلات نزور
ضعاف الاسد أكثرها زئيراً * وأصرمها اللوائى لا تزيرو
وقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالمعظم البعير
ينوخ ثم يضرب بالهراوى * فلا عرف لديه ولا نكير
يقوده الصبي بكل أرض * وبصره على الجنب الصغير
فما عظم الرجال لهم بزين * ولكن زينهم حسب وخير
فقال قائله الله ! ما أطول لسانه ، وأمد عنانه ، وأوسع جناحه ، أنى لا أحسبه

كما وصف نفسه ، وأنشد احمد بن عبيد الله لشاعر قديم

وعاذلة هبت بليل تلومنى * ولم يغتمرنى قبل ذاك عدول
تقول اتئد لا يدعك الناس مملقاً * وتزرى بمن يا ابن الكرام تعول
فقلت أبت نفس على كريمة * وطارق ليل عند ذاك يقول
ألم تعلمي يا عمرك الله أنى * كريم على حين الكرام قليل
وأنى لا أخزى اذا قيل مملق * سخي وأخزى أن يقال بخيل
فلا تتبعى النفس الغوية وانظري * الى عنصر الأحساب كيف يؤل
ولا تذهبن عيناك فى كل شرمخ * له قصب جوف العظام أسيل
عسى أن تمتى عرسه أنى لها * به حين يشتد الزمان بديل
اذا كنت فى القوم الطوال فطلتهم * بعارفة حتى يقال طويل

ولا خير في حسن الجسوم وطولها * اذا لم تزن حسن الجسوم عقول
فكأن رأينا من فروع طويلة * تموت اذا لم تحيين اصول
فلا يكن جسمي طويلاً قاني * له بالفعال الصالحات وصول
ولم أر كالمعروف أمماً مذاقه * فخلو وأما وجهه فجميل
وقال ابن الرومي

وانصيف من الرجال نحيف * راجح الوزن عند وزن الرجال
في أناس أوتوا حلوم العصافير فلم تغنهم جسوم البغال
أخذه من قول حسان بن ثابت وقال له بنو الديان الحارثيون قد كنا ونحن
نطول بأجسامنا على العرب حتى قلت
دعوا التجاجؤ وامشوا مشية سجعاً * ان الرجال ذوو قدٍ وتذكير
لابأس بالقوم من طولٍ ومن عظمٍ * جسم البغال وأحلام العصافير
فتركنا لا نرى أجسامنا شيئاً ، والعرب تمدح الطول ، وتثني عليه ، وقال
عنترة بن شداد

بطل كأن نياحه في سرحة * يحذى نعام السبت ليس بتوأم
قوله ليس بتوأم يريد ليس ممن زوحم في الرحم فضعف ، كما قال الشعبي وقد
دخل على عبد الملك بن مروان فحمل ينظر اليه ، وكان الشعبي قد ولد توأمًا مع
أخيه ، فكان نحيفاً ، فقال يأمر المؤمنين إلى زوحت في الرحم ، وقال :
ولما التقى الصفاان واختلف القنا * نهالاً وأسباب المنايا نهالها
تبيين لي أن القماء ذلة * وأن أعزاء الرجال طوالها
وقال أبو نواس

وكنا اذا ما الخائن الجدة غرة * سنى برقي غادر أو ضجيج رعاد
تردئى له الفضل بن يحيى بن خالد * بماضى الطيبي بزهاه طول نجاد
أمام خميس أرجوان كأنه * قميص محوّل من قنا وجياد
ومن هذا البيت أخذ أبو الطيب المتنبي قوله

وملهومة زردٌ ثوبها * ولكنّه بانقنا مغلٌ

ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان وهو غليل ، وأهله يتمنون أن يتبسم ، فقال : لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسقم لدعوت الله أن يصرف مابك إلى ، ولكنى أسأل الله أيها الأمير العافية لك ولى فى كنفك ، فضحك وأمر له بمال ، فخرج وهو يقول

ونعود سيدنا وسيد غيرنا * لئيت التشكى كان بالعوادِ

لو كان تقبل فدية لفديته * بالمصطفى من طارفى وتلاذى

قال محمد بن سلام الجمحى قال أبى ذا كرت مروان بن أبى حفصة شعر جرير والفرزدق وكثير فذهب الى تقديم كثير ، وجعل بطريه ويقول : هو أمدحهم للخلفاء ، فقلت أمن جودة مدحه للخلفاء قوله لعبد الملك بن مروان

ترى ابن أبى العاصى وقد صُفّ دونه * ثمانون ألفاً قد توافت كُولها

يقلب عيني حية بمفازة * اذا أمكنه شدة لا يُقبلها

فقال هذا للخليفة ودونه ثمانون ألفاً وجعله يقلب عيني حية ، وقوله

وان أمير المؤمنين هو الذى * غزا كائنات الود منى فناها

زعم أن أمير المؤمنين استعطفه حتى غزا كائنات صدره ، وقوله لعبد العزيز

ابن مروان

وما زالت رُقاك تسُل ضغنى * وتخرج من مكائنها ضبابى

ويرقىنى لك الحاؤون حتى * أجابك حية تحت الحجاب

زعم أن عبد العزيز تزكاه واحتال له ورقاه ، حتى أجابه ، أ كذا تمدح

الملوك ؟ فأسكته

كلمات مأثورة

فصول قصار — من كان له من نفسه واعظ ، كان من الله عليه حافظ —
العبد حر اذا قنع ، والحر عبد اذا طمع — الأمانى تخدعك ، وعند الحقائق
تدعك — اذا كان الطمع هلاكا ، كان اليأس ادراكا — ليس يعد حكما
من لم يكن لنفسه خصيما — تعز عن الشيء اذا منعه ، لقلة ما يصحبك اذا منحت
— تخرج مضض الصبر ، تطفى نار الضر — الحكمة حفظ ما كلفت ، وترك
ما كفيت — الصبر عن محارم الله ، أيسر من الصبر على عذاب الله
شذور لأهل العصر في معان شتى — قطعة من كلام الأمير قابوس بن وشمكير
شمس المعالي في أثناء رسائله : يزند الشفيع توري نار النجاح ، ومن كف المفيض
ينتظر فور القداح ، الوسائل أقدام ذوى الحاجات ، والشفاعات مفاتيح الطلبات
العفو عن المجرم من موجبات الكرم وقبول العذرة من محاسن الشيم ، وبالقوادم
والخوافى قوة النجاح ، وبالأسنة والعوالى عمل الرماح ، الدنيا دار تغرير
وخداع ، وملتقى ساعة لوداع ، والناس متصرفون بين كل ورد وصدار ، وصائرون
خبيرا بعد أثر ، غاية كل متحرك إلى سكون ، ونهاية كل متكون أن لا يكون ، وآخر
الاحياء فناء ، والجزع على الاموات غناء ، واذا كان ذلك كذلك فلم التهالك على
الهالك — حشو الدهر أحزان وهموم ، وصفوه من غير كدر معدوم ، إذا سمع الدهر
بالحباء ، فابشر بوشك الانقضاء ، وإذا أعار ، فاحسبه قد أعار ، الدهر طعمان حلو
ومر ، والايام ضربان عسر ويسر ، لكل شئ غاية ومنتهى ، وانقطاع وان بلغ
المدى ، ترك الجواب داعية الارتياب ، والحاجة الى الاقتضاء ، كسوف في وجه
الرجاء ، هم المنتظر للجواب ثقل ، والمدى فيه وان كان قصيرا طويل ، التجيب اذا
جرى لم يشق غباره ، واذا مرى لم تلحق آثاره ، ومن أين للضباب صوب السحاب

وللفراغ هوى العقاب ، وهيهات أن تكتسب الأرض لطافة الهواء ، وبصير البدر
كالشمس في الضياء

شمس المعالي

وقد ترجم عن شمس المعالي أبو منصور الثعالبي في كتاب ألفه له .
قال في أوله : أما على أثر حمد الله الذي هو أول كتابه ، وآخر دعوى ساكني
دار ثوابه ، والصلاة على خيرته ، من بريته ، وعلى الصغو من ذريته ، فإن خير
الكلام ما شغل بخدمة من جمع الله له عزة الملك الى بسطة العلم ، ونور الحكمة الى
نفوذ الحكم . وجعله مميزاً على ملوك العصر ، ومدبري الأرض وولاة الأمر ،
بخصائص من العدل ، وجلال من الفضل ، ودقائق من الكرم المحض ، لا يدخل
أيسرها تحت العادات ، ولا يدرك أفلها بالعبارات ، ومحاسن الأيام ، تحرسها
أسنة الأقاليم ، وتدرسها أسنة الليالي والأيام ، وهذه صفة تغني عن تشبيه الموصوف
لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه إياها ، واستثنائه على جميع الملوك بها ، ولعلم
سامعها ببديهة السماع أنها للأمر شمس المعالي خالصة ، وعليه مقصورة ، وبه
لائقة ، وعن غيره نافرة ، اذ هو بمعاينة الآثار ، وشهادة الاخيار ، واجماع
الاولياء ، واتفاق الاعداء ، كافل المجد ، وكافي الخلق ، وواحد الدهر ، وغرة
الدنيا ، ومفزع الوري ، وحسنة العالم ، ونكتة الفلك الدائر ، قبلغه الله أقصى
نهاية العمر ، كما بلغه أقصى غاية الفخر ، وملكه أزمة الأمر ، كما ملكه أعنة
الفضل ، وأدام حسن النظر للعباد والبلاد ، بادامة أيامه التي هي أعياد الدهر ،
ومواسم اليمن والأمن ، ومطالع الخير والسعد ، وزاد دولته شباباً ونمواً ، كما
زاده في الشرف علواً ، حتى تكون السعادات وفد بابه ، والبشائر قرى سمعه ،
والمسار غداء نفسه ، ويتراى به الاقبال الى حيث لا يبلغه أمل ، ولا يقطعه أجل

نحافى قوله وهذه صفة تغنى عن الموصوف الى قول أبى الطيب يرئى أخت
سيف الدولة

يا أخت خير أخ يابنت خير أب * كناية بهما عن أشرف النسب
أجل قدرك أن تسمى مؤنثة * ومن دعاك فقد سماك للعرب
وفى شمس المعالى يقول الأمير أبو الفضل الميكالى

لا تعصين شمس المعلى قابوسا * فمن عصى قابوس لاقى بُوسا
وله يقول بديع الزمان فى قصيدة نظمها فى تضاعيف رسالة موشحة
إن من كنت من مُناه برأى * وتعداك سبى الاقتراح
بين بشر برد غائض جاهى * وقبول يعيد ريش جناحى
وبساط وردت مشرعة الأوس * به وادّعت بُرد النجاح
فاقض أوطار التفت والمعالى * فى نظام من النهى ونضاح
ملك دونه تقطع أبصا * راللىالى يوماندى وكفاح
ملك لو يشاء مد على النج * هم وواقا ورد وفد الرياح
تارة فى خشونة الدهر تلقا * هُوطورا فى حسن ذات الوشاح
ملك كلما بدا تقف الافلا * لك عجباً به وفرط ارتباح
هكذا هكذا تكون المعالى * طرُق الجد غير طرق المزاح
وهى طويلة كتبته على طريق الاختيار

رسائل البديع

رقعة لبديع الزمان الى شمس المعالى وقد ورد حضرته: لم تزل الامال — أطال
الله بقاء الأمير السيد شمس المعالى وأدام سلطانه — تعدنى هذا اليوم ، والأيام
تمطلنى بالسنة صروفها ، على اختلاف صنوفها ، بين حلو واسترقى ، ومر استخفى ،
وشر صار إلى ، وخير ما صرت اليه ، وأنا فى خلال هذه الأحوال أذرع الآفاق ،

فأكون طوراً مشرقاً للمشرق ، وطوراً مغرباً للمغرب ، ولا مطمح إلا حضرة
الرفيعة ، وسُدته المريعة ، ولا وسيلة إلا المتزع الشاسع ، والأمل الواسع ، وقد
صرت أطلال الله بقاء الأمير بين أنياب النوائب ، وتجشمت هول الموارد ،
وركبت أكتاف المسكاره ، ورضعت أخلاف العوائق ، ومسحت أطراف
المراحل ، حتى حضرت الحضرة البهية ، أوكدت ، وبلغت الأمنية ، أوزدت ،
والأمير السيد في الاصغاء الى المجد ، والبسط من عنان الفضل ، بتمكين خادمه من
المجلس يلقاه بقدمه ، والبساط يلثمه بغمه ، تفضله ، فله الرأي العالي ان شاء الله

وله الى بعض الرؤساء وقد وعد بحضور مجلسه بالغداة وأمره أن يزف اليه
ما أنشأ فبعث به وكتب اليه .

مرحباً بسلام الشيخ سيدي ومولاي أطلال الله بقاء ، ولا كالمرحب بطلعته .
وقد وصلت تحيته ، فشكرتها ، وعِدته الجميلة بالحضور غدا ، فانتظرتها .
ودعوت الله أن يطوى ساعات النهار ، ويزج الشمس في المغار ، ويقرب
مسافة الفلاك الدوّار ، ويرفع البركة من سيره ، ويجهز الحركة إلى دوره ،
ويسرني بوفد الظلام وقد نزل ، ثم لم يلبث الا ريثما رحل ، وقد بعثت بما
طلب سمعاً لأمره وطاعة ، والنسخة أسقم من أجفان الغضبان ، والشيخ سيدي
أدام الله عزه يركض قلمه في اصلاحهما ، وحبذا هو في غد ، وقد طلع كالصبح
إذا سطع ، والبرق إذا لمع

يا مرحباً بغد ويا أهلاً به * ان كان للمام الأجابة في غد

(وله الى أبي الطيب سهل بن محمد يسأله أن يصله بأبي ابراهيم اسماعيل بن احمد)
لو كان للكرم عن جناب الشيخ منصرف لا نصرفت ، أو للأمل منحرف
الى سواه لا انحرفت ، أو للنجح باب سواه لو لجت ، أو للفضل خاطب غيره
لزوّجت ، ولكن أبي الله أن يعقد الا عليه الخنصر ، أو يتحلى الا بفواضله الدهر ،
ولا يزال كذا يتسم المجد بسميته ، ويجذب العلاء بهمته ، ويسعد الدين بنظره ،

والدنيا بجماله ، وغلामه أنالو استعار الدهر لسانا ، وأنخذ الريح ترجانا ، ليشيع انعامه
حق الاشاعة لقصرت به يد الاستطاعة ، فليس الا أن يلبس مكارمه ضافية سابعة ،
ويرد مشارعه صافية سائغة ، ويحيل الجزاء على يد قُصور ، والشكر على لسان قصير ،
ثم ان حاجاتي اذا لم يعر من قلائد المجد نحرها ، ولم يعطل من حلى المجد صدرها
كبر مهرها ، وعز كفؤها ، ولم أجد لها الا واحدا أخضر الجلدة في بيت العرب ،
أو ماجدا يملأ الدلو الى عقد السكر^(١) ، وهذه حاجة أنا أرفها الى الشيخ الامام
حرس الله مهجته ، وأسوقها منظومة من الصدر الى العجز ، كما يساق الماء
الى الارض الجرز^(٢) ، وأنا من مفتتح اليوم الى مختتمه ، ومن قرن النهار الى قدمه
قاعد كالكركي ، والديك الهندي ، في هذا الأدح^(٣) ، يمر بي أولو الحل والحلل ،
ويجتاز ذو الخليل والخلول ، وما أنا والنظر الى مالا يليني ، والسؤال عما لا يعنيني
واليوم لما افتضضنا عُذرة الصباح ، ملأت جفوني من منظر ما أحوجه إلى عيب
يصرف عين كاله ، عن جماله ، فقلت لمن حضر من هذا ؟ فأخذوا يحركون الرؤس
استنظروا لحالي ، ويتغامزون تعجبا من سؤالي ، وقالوا هذا الشيخ الفاضل أبو ابراهيم
اسماعيل بن أحمد ، فقلت حرس الله مهجته ، وأدام غبطته ، فكيف الوصول الى
خدمته ، وأنى مآنى معرفته ، قالوا ان الشيخ الامام أدام الله تأييده يضرب في مودته
بالقدح المعلق ، ويأخذ في معرفته بالخط الاعلى ، فان رأى الشيخ أطال الله بقاءه أن
تجمل عنايته حرف الصلة وتفضله لام المعرفة ، فعمل ، ان شاء الله

جعفر بن يحيى

قال الرشيد ليحيى بن خالد : يا أبت انى أردت أن أجعل الخاتم الذى يد فى
الفضل الى جعفر وقد احتشمت منه فا كفنيه ، فكتب اليه يحيى : قد أمر أمير
المؤمنين أعلى الله أمره أن يحول الخاتم من يمينك الى شمالك ، فأجاب الفضل : قد

(١) السكر ، بفتحين ، الحبل بلى الماء (٢) الجرز ، بضمين ، الارض
لا تنبت شيئا (٣) الأدحى : بيض النعام

سمعت ما قاله أمير المؤمنين في أخى ، وقد اطلعت على أمره ، وما انقلبت عنى
نعمة صارت اليه ، ولا عزبت عنى رتبة طلعت عليه ، فقال جعفر : لله أخى ما أنفس
نفسه ، وأبين دلائل الفضل عليه ، وأقوى منة العقل فيه ، وأوسع في البلاغة
ذرعه ، وأرحب بها جناحه ، يوجب على نفسه ما يجب له ، ويحمل بكرمه فوق
طاقته . وذكر جعفر بن يحيى في مجلس ثمامة بن أشرس فقال : ما رأيت أحداً من
خلق الله كان أبسط لساناً ، ولا ألحن بحجة ، ولا أقدر على كلام بنظم حسن ،
وألفاظ عذبة ، ومنطق فصيح ، من جعفر بن يحيى ، كان لا يتوقف ، ولا يتعبس
ولا يصل كلامه بحشو من الكلام ، ولا يعيد لفظاً ولا معنى ، ولا يخرج من فن
إلى غيره حتى يبلغ آخر ما فيه ، وكان لا يرى شيئاً إلا حكاها ، ولا يحكى شيئاً
إلا كان أكثر منه ، ولا يمر بذهنه شيء إلا حفظه ، وكان إذا شاء أضحك
الشكلى ، وأذهل الزاهد ، وخشن قلب العابد . قلت فكيف كانت معرفته ؟ قال
كان من أعلم الناس بالخبر الباهر ، والشعر النادر ، والمثل السائر ، والفصاحة
النامية ، واللسان البسيط .

قال سهل بن هارون وذكر يحيى بن خالد وابنه جعفراً فقال : لو كان الكلام
متصوراً درا ويلقيه المنطق جوهراً ، لكان كلامهما ، والمنطق من الفاظهما .
ولقد غبرت معهما ، وأدركت طبقة المتكلمين في أيامهما ، وهم يرون البلاغة لم
تستكمل إلا فيهما ، ولم تكن مقصورة إلا عليهما ، ولا انتقادت إلا لهما ، وانهما
للأبواب الكرم ، عتق منظر ، وجودة مخبر ، وسهولة لفظ ، وجزالة منطق ، ونزاهة
نفس ، وكل خصال ، حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهما ، والمأنور من خصائصهما
جميع أيام من سواهما من لدن آدم إلى أن ينفخ في الصور ، ويبعث أهل القبور ،
حاشا أنبياء الله الكرام ، وسلف عباده الصالحين ، لما باهت الا بهما ، ولا عولت
في الفخر الا عليهما ، ولقد كانا مع تهذيب أخلاقهما ، وممسول مذاقهما ، وسنا اشراقهما ،
وكل خصال الخير فيهما ، في محاسن المأمون كالنقطة في البحر ، والخردلة في القفر

ووقع جعفر بن يحيى لرجل اعتذر عنده من ذنب : قد قدّمت طاعتك ،
وظهرت نصيحتك ، ولا تغلب سيئة حسنتين * ووقع وقد قرأ كتاباً فاستحسن
خطه : الخط خيط الحكمة ، ينظم فيه منشورها ، ويفصل فيه شذورها — واختصم
رجلان بحضرته فقال لأحدهما أنت خلى ، وهذا شجى ، فكلامك يجرى على
برد العافية ، وجوابه يجرى على حر المصيبة — ودخل مروان بن أبى حفصة على
جعفر بن يحيى فأنشده

أبرّ فما ترجو الجياد لحاقه * أبو الفضل سباق الاضاميم جعفر
وزير إذا ناب الخلافة حادث * أشار بما عنه الخلافة تصدر

فقال جعفر أنشدنى مرثيتك فى معن بن زائدة فأنشده

أقنا باليامة أو نسينا * مقاماً ما نريد به زوالا
وقلنا أين نذهب بعد معن * وقد ذهب النوال فلا نوالا
وكان الناس كلهم لمعن * إلى أن زار حفرته عيالا

حتى فرغ من القصيدة ، وجعفر يرسل دموعه على خديه ، فقال : هل أنابك
على هذه المراثية أحد من أهل بيته وولده ؟ قال لا ، قال فلو كان معن حياً ثم سمعها
منك كم كان يثيبك عليها ؟ قال أربعمائة دينار ، قال فانا كنّا نظن أنه لا يرضى لك
بذلك ، وقد أمرنا لك عن معن رحمه الله بالضعف مما ظننته ، وزدناك مثل ذلك ،
فأقبض من الخازن ألفاً وستمائة دينار ، قبل أن تخرج ، فقال مروان يذكر جعفرأ
وما سمح به عن معن

نفحت مكافئاً عن جود معن * لنا فيما نجود به سجالا
فعتجلت العطية يا ابن يحيى * لناديه ولم ترد المطالا
فكافأ عن صدى معن جواد * بأجود راحة بذلت نوالا
بنى لك خالد وأبوك يحيى * بناءً فى المكارم لن ينالا
كأن البرمكى لكل مال * تجود به يدها يفيد مالا (١)

أخذ هذا من قول زهير

تراه اذا ماجثته متهللاً * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وهذا البيت لزهير من قصيدة يقول فيها

وذى نعمةٍ تمتها وشكرتها * وخصم يكاد يغلب الحق باطله

دفعت بمعروفٍ من الحق صائبٍ * إذا ما أضلّ القائلين معاضله

وذى خطلٍ فى القول بحسب أنه * مصيب فما يلحم به فهو قائله

عبأت له حلما وأكرمت غيره * وأعرضت عنه وهو بادٍ مقاتله

وأبيض فياض يده غمامة * على معتفيه ماتعب نوافله

غدوت عليه غدوةً فرأيتُه * قعوداً لديه بالصريم عواذله

يفدّينه طوراً وطوراً يلتمه * وأعيا فما يدرين أين مخاتله

فأعرض عنه عن كريم مدرأٍ * جموح عن الأمر الذى هو فاعله

أخى ثقة لا يذهب الخير ماله * ولكنّه قد يذهب المال نائله

شئ من النقد

قال أبو الفرج قدامة بن جعفر فى معنى أبيات زهير الاولى : لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس ، لامن طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ، على ما عليه أهل الالاباب من الاتفاق فى ذلك ، انما هى العقل والعفة والعدل والشجاعة ، كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيبا وبما سواها مخطئاً . وقد قال زهير :

أخى ثقة لا يتلف الخمر ماله * ولكنّه قد يهلك المال نائله

فوصفه بالعفة لقلّة امعانه فى اللذات ، وانه لا ينفذ فيها ماله ، وبالسخاء لاهلاك

ماله فى النوال ، وانحرافه إلى غير ذلك من اللذات ، وذلك هو العدل ، ثم قال

تراه اذا ماجثته متهللاً * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

فزاد في وصف السخاء بأنه يهش ولا يلحقه مضض ولا تكرر له فعله، ثم قال :
 فذلك حصن في الحروب ومثله * لانكار ضم أو لأمر يحاوله
 فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل ، ، فاستوفى ضروب
 المدح الأربعة التي هي فضائل الانسان على الحقيقة ، وزاد الوفاء وان كان
 داخلاً في الأربعة ، فكثير من الناس لا يعلم وجه دخوله فيها حيث قال أخى
 ثقة فوصفه بالوفاء ، والوفاء داخل في هذه الفضائل التي قدمناها ، وقد يتفنن
 الشعراء فيعدون أنواع الفضائل الأربع وأقسامها ، وكل ذلك داخل في جملتها
 مثل أن يذكروا نقابة المعرفة ، والحياء ، والبيان ، والسياسة ، والصدع بالحجة ،
 والعلم ، والحلم عن سفاهة الجهلة ، وغير ذلك مما يجري هذا المجرى ، وهو من أقسام
 العقل ، وكذكروهم القناعة ، وقلة الشره ، وطهارة الإزار ، وغير ذلك أيضاً
 من أقسام العفة ، وكذكروهم الحماية ، والأخذ بالثأر ، والدفاع ، والنكابة ، والمهابة
 وقتل الأقران ، والسير في المهامة والقفار ، وما يشاكل ذلك وهو من أقسام
 الشجاعة ، وكذكروهم السماحة ، والتغابن ، والانظام ، والتبرع بالنائل ، واجابة
 السائل ، وقرى الأضياف ، وما جالس هذه الاشياء ، وهو من أقسام العدل ،
 فأما تركيب بعضها على بعض فتحدث منها ستة أقسام: يحدث من تركيب العقل مع
 الشجاعة الصبر على الملمات ، ونوازل الخطوب ، والوفاء بالوعود ، وعن تركيب
 العقل مع السخاء انجاز الوعد ، وما أشبه ذلك ، وعن تركيب العقل مع العفة
 التزهد ، والرغبة عن المسألة ، والاقتصار على أدنى معيشة ، وما أشبه ذلك . وعن
 تركيب الشجاعة مع السخاء الاخلاف ، والاتلاف ، وما أشبه ذلك ، وعن تركيب
 الشجاعة مع العفة إنكار الفواحش ، والتغيرة على الحرم ، ومن السخاء مع العفة
 الاسعاف بالقوت ، والايثار على النفس ، وما شاكل ذلك . وكل واحدة من هذه
 الفضائل الأربع وسط بين طرفين مذمومين^(١)

وقد قال أبو جعفر محمد بن منذر لما حج الرشيد مع البرامكة

(١) راجع الباب السابع من كتاب « الأخلاق عند الغزالي » لتفهم هذا البحث

أَتَانَا بَنُو الْأَمَلَاكِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ * فَيَا طَيْبَ أَخْبَارٍ وَيَا حُسْنَ مَنْظَرٍ
لَهُمْ رِحْلَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ إِلَى الْعِدَى * وَأُخْرَى إِلَى الْبَيْتِ الْعَنِيْقِ الْمَشْهُرِ
فَتُظَلَّمُ بَغْدَادٌ وَيَجْلُو لَنَا الدَّجَا * بِمَكَّةَ مَا حَجَّوْا ثَلَاثَةَ أَقْمَرِ
إِذَا نَزَلُوا بِطَحَاءِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ * بِبَحْيٍ وَبِالْفَضْلِ بْنِ بَحْيٍ وَجَعْفَرِ
فَمَا خُلِقَتْ إِلَّا لِلْجُودِ أَكْفَهُمْ * وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادِ مِنْبَرِ
إِذَا رَاضَ بِبَحْيٍ الْأَمْرَ ذَاتَ صَعَابِهِ * وَحَسْبُكَ مِنْ رَاعٍ لَهُ وَمُدَبِّرِ
تَرَى النَّاسَ إِجْلَالاً لَهُ وَكَأَنَّهُمْ * غُرَانِيْقُ مَاءٍ تَحْتَ بَارِزٍ مُصْرَصِرِ ^(١)

شعر الميكَالِي

قطعة من شعر الأمير أبي الفضل الميكَالِي في طرف آخذ بطرف من التجنيس
مستطرف في ضروب من الغزل. قال

لَقَدْ رَاعَنِي بِدَرِ الدَّجَا بِصُدُودِهِ * وَوَكَّلَ أَجْفَانِي بِرَعَى كَوَاكِبِهِ
فِيَا جَزْعِي مَهْلًا عَسَاهُ يَمُودُ لِي * وَيَا كَبْدِي صَبْرًا عَلَى مَا كَوَاكِبُهُ
وَقَالَ مَوَاعِدِي فِي الْفَضْلِ أَحْلَامُ نَائِمٍ * أَشْبَهَهَا بِالْقَفْرِ أَوْ بِسَرَابِهِ
فَمَنْ لِي بِوَجْهِهِ لَوْ تَحْيِرُ فِي الدَّجَا * أَخُو سَفَرٍ فِي لَيْلٍ غَيْمٍ سَرَى بِهِ
وَقَالَ صَلِّ مَحَبًّا أَعْيَاهُ وَصَفِّ مَوَاهِدَهُ * فَضْنَاهُ يَنْوُبُ عَنْ تَرْجُمَانِهِ
كَمَا رَاقَهُ سِوَاكَ تَصَدَّتْ * مَقْلَتَاهُ بِدَمْعِهِ تَرْجُمَانِهِ
وَقَالَ يَا ذَا الَّذِي أَرْسَلَ مِنْ طَرَفِهِ * عَلَى سَيْفًا قَدَنِي لَوْ فَرَا
شَفَاءَ نَفْسِي مِنْكَ تَخْمِيشُهُ * تَغْرِسُ مِنْ خَدِّكَ نِيلَ فَرَا
وَقَالَ يَا مَبْتَلَى بَضْنَاهُ يَرْجُو رَحْمَةً * مِنْ مَالِكٍ يَشْفِيهِ مِنْ أَرْصَابِهِ
اصْبِرْ عَلَى مَضْضِ الْهَوَى فَلَربَّمَا * تَحْلُو مَرَارَةً صَبْرُهُ أَوْ صَابِهِ
وَقَالَ كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَسْتَهْدِي وَصَالًا * فَعَلَانِي بِوَعْدٍ فِي الْجَوَابِ
أَلَا لَيْتَ الْجَوَابَ يَكُونُ خَيْرًا * فَيُطْفِئُ مَا أَحَاطَ مِنَ الْجَوَى بِبِي

(١) الغرانيق : جمع غرنوق ، وهو طائر مائي أسود ، والبازي : الصقر

وقال إن كنت نانس بالحبيب وقربه * فاصبر على حكم الرقيب وداره
إن الرقيب اذا صبرت لحكمه * بوالك في مثنوى الحبيب وداره

وقال

شكوت اليه ما ألاق فقال لي * رويداً فني حكم الهوى أنت مؤتلي
فلو كان حقاً ما ادّعت من الهوى * لقل بما تلقى اذاً أن تموت لي
وقال نوى لي بعد اكثار السؤال * حبيباً أن يسامح بالنوال
فلما رمت انجازاً لوعدي * عليه أبي الوفاء بما نوى لي

وكان القرب منه شفاء نفسي * فقد قضت النوائب بالنوى لي
وقال سقياً لدهر مضى والوصل يجمعنا * ونحن نحكي عننا شكل تنوين
فصرت إذ علقت كفي حبائلكم * فسهم هجر ك ترمي ثم تنويني
وقال صدف الحبيب بوصله * فجفا رقادى إذ صدف

ونثرت الوألو أدمع * أضحي لها جفتي صدف
وقال يا من يقول الشعر غير مهذب * ويسومني التعذيب في تهذيبه
لو أن كل الناس فيك مساعدي * لعجزت عن تهذيب ما تهدي به
وقال أراد أن يخفي هواه وقد * نتم بما تخفي أسارىره
وكيف يخفي دأبه مدنف * قد ذاب من فرط الأسى ريره^(١)

وقال ومهفوف تهفو به * ب المرء منه شمائل
فالردف دِعص هائل * والقد غصن مائل
والحد نور شقائق * تنشق عنه خمائل
والعرف نشر حقائق * تمت بين شمائل
والطرف سيف ماله * الا العذار خمائل

ولأبي الفتح البستي في هذا المذهب

إن لي في الهوى لساناً كنوماً * وجناناً يخفي حريق جواه

(١) الرير : الدم، أو ذائب المخ

غير أنى أخاف دمعى عليه * ستراه يفشى الذى ستراه
ولأبى الفتح البستى فى مذهب هذا البيت الأخير

ناظراه فيما جنى ناظراه * أودعاني أمت بما أودعاني
وله خذ العفو وأمر بعرف كما * أمرت وأعرض عن الجاهلين
ولن فى الكلام لكل الانام * فمستحسن من ذوى الجاهلين

وله الى حتفى سعى قدمى * أرى قدمى أراق دمي

فما أنفك من ندمى * وليس بنافعى ندمى
وله إن هز أقلامه يوماً ليعملها * أنساك كل كفى هز عاملة
وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق ككتاب الأنام له
وقال لمن استدعاه الى مودته

فديتك قلّ الصديق الصدوق * وقلّ الخليل الحفى الوفى
ولى راغب فيك إما وفيت * فهل راغب أنت فى أن تفى
والأمير أبى الفضل

أهلاً بظي حواه قصر * كجنة قد حوت نعيما
طرقته لا أهاب سوا * أبا حنى حبه الحرما
فجاد من فيه لى براح * تنفى حريقاً به قديماً
أفدى حريقاً أباح ريقاً * لابل حرماً أباح ريماً

وله

من لى بشمل المنى والأنس أجمعه * بشادن حلّ فيه الحسن أجمعه
ما زال يعرض عن وصلى وأخذه * فالآن قد لان بعد الصداخدة^(١)
وقال

بأبى غزال نام عن وصي به * ومراق دمعى للنوى وصيبه
يأليته يرئى على ولهى به * لغرام قلبى فى الهوى ولهيته

(١) الاخدع : عرق ، وهو شعبة من الوريد

وله في هذا الباب من غير هذا النمط يصف غلاماً مخموراً خمش وجهه
 هبه تغير حائلاً عن عهده * ورمى فؤادى بالصدود فأزعجا
 ما بال نرجسِهِ تحوّل وردة * والورد في خديه عاد بنفسجا
 وله في هذا المعنى

وريم على السكر خمشته * بقرصٍ بعارضه أثرا
 فأصبح نرجسه وردة * ووردة خديه نيلوفرًا

وقال في وصف العذار
 ظبي كسارأس الشباب بعارضٍ * نَمَّ العِذارُ بحافتيه فلاحا
 فكأنما أهدى لعارض خدّه * شعري ظلاماً واستعاض صباحا
 وقال في غلام افتصد

ومُهْنَفٍ غرس الجما لَ بخده روضاً مريعا
 فصد الطيب ذراعهُ * فجري له دمعي ذريعا
 وأمستى وقع الحدي * يدبرقه الماءُ وجيعاً
 فأريته من عبرتي * ما سال من دمه نجيعا

أوصاف العلماء

فَقَرَّ في ذكر العلم والعلماء — العلماء ورثة الانبياء ، العلماء أعلام الاسلام ،
 العلماء في الأرض كالنجوم في السماء (ابن المعتز) العلماء غرباء ، لكثرة
 الجهال — وله : العلم جمال لا يخفى ، ونسب لا يخفى — وله : زلة العالم كأنكسار
 سفينة تفرق ويغرق معها خلق كثير — غيره اذا زل العالم زل بزلة عالم —
 غيره : الملوك يحكم على الناس ، والعلماء يحكم على الملوك — من لم يحتمل ذل
 التعلم ساعة ، بقى في ذل الجهل أبداً — ما صين العلم بمثل بذله لأهله — من كنتم علما
 فكأنه جاهله — العلم يمنع أهله أن يمنعوه أهله — أبو الفتح كشاجم

لا تمنع العلم امرأً والعلم يمنع جانبه
أما الغبي فليس يفهم لطفه وغرائبه
وتكون حاضرة الفوا ثم عند كالفائيه
وأخو الحصافة — متحقق أن ينال مطالبه
فبحقه أعطيته * من فضل علمك واجبه

ومن رق وجهه عند السؤال ، رق علمه عند الرجال — علم بلا عمل ،
كشجرة بلا ثمر — كما لا ينبت المطر الكثير الصخر ، كذلك لا ينفع البليد
كثرة التعلم — من ترفع بعلمه ، وضعه الله بعمله — الجاهل صغير وإن كان
كبيراً ، والعالم كبير وإن كان صغيراً — من أكثر مذاكرة العلماء ، لم ينس
علم ما ، واستفاد ما لم يعلم (ابن المعتز) المتواضع في طلاب العلم أكثرهم علماً ، كما
إن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء — إذا علمت فلا تذكر من دونك من
الجهال ، وإذا ذكر من فوقك من العلماء — النار لا ينقصها ما أخذ منها ، ولكن
ينقصها ألا تجد حطباً ، كذلك العلم لا يفنيه الاقتباس منه ، وفقد الحاملين له
سبب عدمه — مات خزنة الأموال وهم أحياء ، وعاش خزان العلم وهم أموات
مثل علم لا ينفع ككنز لا ينفق منه — أزهّد الناس في عالم جيرانه

وقيل للصلت بن عطاء وكان مقدماً عند البرامكة : كيف غلبت عليهم وعندهم
من هو أدب منك؟ قال ليس للقرباء ، ظرافة الغرباء ، وكنت امرأاً بعيد الدار ،
نأى المزار ، غريب الاسم ، قليل الجرم ، كثير الاتواء ، شحيحاً بالأملاء ،
فرغبهم في رغبتي عنهم ، وزهدني فيهم رغبتهم في — علم لا يعبر معك الوادي ،
لا يعمر بك النادي — لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف * إذا ازدحم الجواب خفي
الصواب — الغلط تحت الغلط — خرق الاجماع خرق — المحجوج بكل شيء ينطق

استعارات فقهية

(استعارات فقهية تليق بهذا المكان) دخل أبو تمام الطائي على أحمد بن أبي
دؤاد في مجلس حكمه وأنشده أبيانا يستمطر نائله ، وينشر فضائله ، فقال سيأتيك
نوابها يا أبا تمام ، ثم اشتغل بتوقيعات في يده ، فأحفظ ذلك أبا تمام ، فقال : احضر
أيديك الله فانك غائب ، واجتمع فانك مفترق ، ثم أنشده

ان حراماً قبول مدحتنا * وترك ما نرتجى من الصفة

كما الدنانير والدرهم في الصر * ف حرامٌ الا يداً بيد

فأمر بتوفير حباته ، وتمجيل عطائه - ولما ولي طاهر بن عبد الله بن طاهر

خراسان دخل الشعراء يهنونه ، وفيهم تمام بن أبي تمام فأنشده

هناك رب الناس هنا * ما من جزيل الملك أعطا

قرت بما أعطيت يا ذا الحجبى * والبأس والانعام عينا

أشرفت الارض بما نلت * وأورق العود بجودا

فاستضعف الجماعة شعره ، وقالوا : يا أبا تمام ما بينه وبين أبيه : فقال طاهر لبعض

الشعراء أجبه فقال

حيالك رب الناس حيا * ان الذي أملت أخطا

فقلت قولا فيه مازاه * ولو رأى مدحا لواسا

فهاك ان شئت بها مدحة * مثل الذي أعطيت أعطا

فقال تمام : أعز الله الأمير ، ان الشعر بالشعر ربا ، فأجعل بينهما صنجا من

الدرهم ، حتى يحل لي ولك ! فضحك وقال : إلا يكن معه شعر أبيه ، فمعه ظرف

أبيه ، أعطود ثلاثة آلاف درهم ! فقال عبد الله بن اسحاق لولم يعط الا لقول أبيه

في الامير أبي العباس رحمه الله يريد عبد الله بن طاهر

يقول في قومسٍ صجبي وقد أخذت * منا السرى وخطا المهرية القود

أطلع الشمس تبغى أن تؤمّ بنا * فقلت كلا ولنكن مطلع الجود
فقال ويعطى بهذا ثلاثة آلاف— وكان سبب ولاية طاهر خراسان بعد أبيه
ما حدث به أبو العيناء قال: كنا عند أحمد بن أبي دؤاد فجاء الخبر أن الكتب وردت
على الواثق من خراسان بوفاة عبد الله بن طاهر ، وأن الواثق يعزى عنه ، وأنه
قد ولى مكانه خراسان اسحاق بن ابراهيم ، وكان عدوانه لأنخراطه فى سلك ابن
الزيات ، فلبس ثيابه ومضى ، وقل لا يبرحوا حتى أعود اليكم ، فلبث قليلا ثم
عاد إلينا فحدثنا أنه دخل على الواثق فعزاه عن عبد الله وجلس ، قال فقال لى
الواثق قد ولينا اسحاق خراسان ، فما عندك ؟ قلت وفق الله أمير المؤمنين
ولا نذمه ، قال قل ما عندك فى هذا ، قلت أمر قد أمضى فما عسيت أن أقول فيه
قال لتفعلن ، فقلت يا أمير المؤمنين خراسان منذ ثلاثين سنة فى يد طاهر وابنه ،
وكل من بها صنائعهم ، وقد خلف عبد الله عشر بنين أكثرهم رجال ، وجميع
جيش خراسان لهم عبيد أو موالى أو صنائع ، وسيقولون أما كان فينا مصطنع ،
وكان يجب أن يجربنا أمير المؤمنين ، فإن وفينا بما كان يبنى به أبونا وجدنا
والاستبدل منا بعد عذر فينا ، ويقدم خراسان اسحاق وهو رجل غريب فينا فسه
هؤلاء ، ويتعصب أهلها لهم ، فينتقض ما أبرم ، ويفسد ما أصالح ، قال صدقت
يا أبا عبد الله والرأى ما قلت ، اكتبوا به طاهر بن عبد الله على خراسان ،
فكتبته كتب طاهر ، وحرقت كتب اسحاق ، فخرجت الزنج تطير بها ثم لقينى
اسحاق داخلا فقلت يا أبا الحسن لا عدمت عداوة رجل أزال عنك ولاية خراسان
بكلمة— ومدح ابن الرومى أبا العباس بن ثوابة ، فعارضه أخود أبو الحسن
بقصيدة بمدح أخاه بها فقال ابن الرومى

أليس القوافى بنات القى * إذا صورة الحق لم تمسح

فلا تقبلن أماد يحه * حرام نكاح بنات الأخ

ولما أنشد أنشد أبو تمام قصيدته فى المعتصم : السيف أصدق أنباء من الكتب

قال له لقد جلوت عروسك يا أبا تمام فأحسنيت جلاها ، قال يا أمير المؤمنين والله لو كانت من الخور العين لكان حسن اصغائك اليها من أوفى مهورها .

وقال الامير أبو الفضل الميكالى

أقول لشادن في الحسن أضحى * يصيد بلحظه قلب الكمي
ملك الحسن أجمع في قوام * فأد زكاة منظره البهي
وذلك أن تجود لمستهام * بريق من مقبلك الشهي
فقال أبو حنيفة لى إمام * فعندى لازكاة على الصبي
وربما أنشد هذه الأبيات على قافية أخرى فقال

أقول لشادن في الحسن فرد * يصيد بلحظه قلب الجليد
ملك الحسن أجمع في قوام * فلا تمنع وجوباً عن وجود
وذلك أن تجود لمستهام * برشف رضاك العذب البرود
فقال أبو حنيفة لى إمام * فعندى لازكاة على الوليد

وقال

بنفسى غزال صار للحسن قبلة * يُحج من البيت العتيق ويقصد
دعائى الهوى فيه فليت طاماً * وأحرمت بالاخلاص والسعى يشهد
فطرفى بالتسهد والدمع قارن * وقلبي عليه بالصباة مفرد
وقال أبو الفتح كشاجم

فديت زائرة فى العيد واصلة * والهجر فى غفلة من ذلك الخبر
فلم يزل خدّها ركناً أطوف به * والخال فى خدّها يغنى عن الحجر

رسالة لبديع الزمان

وينضاف الى هذا النظم قطعة من رسالة طويلة كتبها بديع الزمان الى
أبى نصر بن المرزبان : كتابى أطل الله بقاء الشيخ وأنامتألم ، والحمد لله رب العالمين

كيف تقلب الشيخ في درع العافية ، وأحواله بتلك الناحية ، فاني ببعده مُنقَص
 شرعة العيش ، مقصوص أجنحة الأُنس ، ورد كتابه المشتعل من خبر سلامته ،
 على ما رغبت الى الله في إدامته ، وسكنت اليه بعد النزاعجي لتأخره ، وقد كان
 رسم أن أعرفه سبب خروجي من جرجان ، ووقوعي بخراسان ، وسبب غضب
 السلطان ، وقد كانت القصة أني لما وردت من ذلك السلطان حضرته التي هي
 كعبة المحتاج ، لا كعبة الحجاج ، ومستقر الكرم ، لا مشمر الحرم ، وقبلة
 الصلّات ، لا قبلة الصلاة ، ومُنَى الضيف ، لا مَنَى الخيف ، وجدت بها ندماء
 من نبات العام ^(١) ، اجتمعوا قبيضة كلب ^(٢) على تلفيق خطب ، أزعجني عن ذلك
 الفناء ، وأشرف بي على الفناء ، لولا ما تدارك الله بجميل صنعه ، وحسن دفعه ،
 ولا أعلم كيف احتملوا ، ولا ما الذي قلوا ، وبالجملة غير واراى السلطان ،
 فأشار على إخواني ، بمفارقة مكاني ، وبقيت لا أعلم أيمنةً أضرب أم شامة ،
 ونجدا أقصد أم تهامة

ولو كنت في سلمى أجأوشعابها * لكان الحجاج على دليل

وقد علم الشيخ ان ذلك السلطان ساءا اذا نعيم لم يرج صحوه ، وما اذا تغير
 لم يشرب صفوه ، وملك اذا سخط لم ينتظر عفوه ، وايس بين رضاه والسخط
 عُرْجة ، كما ليس بين غضبه والسيوف فرجة ، وايس من وراء سخطه مجاز ، كما
 ليس بين الحياة والموت معه حِجَاز ، فهو سيد يغضبه الجرم الخفي ، ولا يرضيه
 العذر الجلي ، وتكفيه الجناية وهي إرجاف ، ثم لا تشفيه العقوبة وهي إجحاف ،
 حتى انه ليرى الذنب وهو أضيق من ظل الرمح ، ويعنى عن العذر وهو أبين من
 عمود الصبح ، وهو ذو أذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ، ويحجب عن هذه
 العذر وله برهان ، وذو يدين يسط أحدهما الى السفك ، والسفح ،

(١) من نبات العام : يريد أنهم حديثو العهد (٢) قبيضة كلب : القبيضة
 بالسكسر هي العظم ، والمراد تحقيرهم بوصفهم بمظالم السكلب

ويقبض الأخرى عن العفو والصفح ، وذوعين يفتح أحدهما إلى الجرم ، ويفمض الأخرى عن الحليم ، فزحه بين القدّ والقطع ، وجده بين السيف والنتع ، ومراده بين الظهور والكمون ، وأمره بين الكاف والنون . ثم لا يعرف من العقاب ، غير ضرب الرقاب ، ولا يهتدى من التأنيب إلا لإزالة النعم ، ولا يعلم من التأديب غير إراقة الدم ، ولا يحتمل الهنة على حجم الذرة ، ودقة الشعرة ، ولا يحلم عن الهفوة ، كوزن الهبوة ، ولا يفضى عن السقطة ، كجرم النقطة ، ثم إن النعم بين لفظه وقلمه ، والأرض تحت يده وقدمه ، لا يلتقي الولي إلا بغمّة ، ولا العدو إلا بدّمة ، والأرواح بين حبسه وإطلاقه ، كما إن الأجسام بين حله ووثاقه ، فنظرت فإذا أنا بين جودين : إما أن أجود بباسي ، وإما أن أجود براسي وركو بين : إما المفازة ، وإما الجنّازة ، وبين طريقين : إما الغربة ، وإما التربة ، وبين فراقين : إما أن أفارق أرضي ، أو أفارق عرضي ، وبين راحلتين : إما ظهور الجلال ، وإما أعناق الرجال ، فاخترت السماح بالوطن ، على السماح بالبدن ، وأنشدت إذا لم يكن إلا المنية مركب * فلا رأي للمحمول إلا ركوبها

ولّد ما ذكر من كعبة الحجاج ، من قول أبي تمام

بيتان حجهما الانام فهذه * حج الغنى وتلكم للمعدم

أبو علي بن جعفر البصير

وشتم بعض الطالبين أبا علي الفضل بن جعفر البصير فقال أبو علي : والله ما نعيّا عن جوابك ، ولا نعجز عن مسألتك ، ولكننا نكون خيراً لنسبك منك ونحفظ منه ما أضمت ، فاشكر توفيرنا ما وفرنا منك ، ولا يغرنك بالجهل علينا حلمنا عنك — وسأل أبو علي البصير بعض الرؤساء حاجة وتقيه فاعتذر إليه من تأخرها فقال أبو علي : في شكر ما تقدم من إحسانك ، شاغل عن استبطاء ما تأخر منه وأبو علي أحد من جمع له حظ البلاغة في الموزون والمنثور ، وهو القائل

ألمت بنا يوم الرحيل اختلاصة * فأضرم نيران الهوى النظر الخلس
تأبّت قليلا وهي تُرعد خيفة * كما تنأى حين تعمد الشمس
نخاطبها صمتي بما أنا مضمّر * وأنبت حتى ليس يسمع لي حس
ووات كما ولي الشباب إطية * طوت دونها كشحا على بأسها النفس
وقال يصف بلاغة الفتح بن خاقان وشعره

سمعنا بأشعار الملوك فكلها * اذا عض متنيه الثقاف تأودوا
سوى مارأينا لامرئ القيس اننا * نراه متى لم يشعر الفتح أوحدا
أقام زمانا يسمع القول صامتا * ونحسبه إن رام كدّى وأصلا
والفتح بن خاقان يقول

وانى وإياها لكالحز والفتى * متى يستطع منها الزيادة يزد
اذا ازدت منها زاد وجدى بقربها * فكيف احتراسى من هوئى متجدد

كتابه الى عميد الله بن يحيى

وكتب الى أبى الحسن عبيد الله بن يحيى : وان أمير المؤمنين لما استخلصك
نفسه ، واثمنتك على رعيته ، فنطق بلسانك ، وأخذ وأعطى بيدك ، وأورد
وأصدر عن رأيك ، وكان تفويضه اليك بعد امتحانه إليك ، وتسليطه الحق على
الهوى فيك ، وبعد أن مثل بينك وبين الذين سمو المرتبتك ، وجروا الى غايتك ،
فأسقطهم مضائوك ، وخفوا في ميزانك ، ولم يزدك اكرامك الله رفعة وتشريفا ،
الا ازددت له هيبة وتعظيما ، ولا تسليطا وتمكينا ، الا زدتك نفسك عن الدنيا
عزواً وتنزيها ، ولا تقريبا واختصاصا ، الا ازددت بالعامّة رافة وعلوها حبا ،
لا يخرجك فرط النصيح ، عن النظر لرعيته ، ولا إيثار حقه عن الأخذ بحقه عنده ،
ولا القيام بما هو له عن تضمين ما هو عليه ، ولا تشغلك معاناة كبار الأمور عن
تفقد صفارها ، ولا الجد في صلاح ما يصلح منها عن النظر في عواقبها ، تمضى

ما كان الرشد في إمضائه ، وترجى ما كان الحزم في إرجائه ، وتبذل ما كان الفضل في بذله ، وتمنع ما كانت المصلحة في منعه ، وتلين في غير تكبر ، وتخص في غير ميل ، وتعم في غير تصنع ، لا يشقى بك الحق وإن كان عدوا ، ولا يسعد بك المبطل وإن كان وليا ، فالسلطان يعتد لك من الغناء والكفاية ، والذب والحياطة ، والنصح والأمانة ، والعفة والنزاهة ، والنصب فيما أدى الى الراحة ، بما يراك معه حيث انتهى احسانه اليك مستوجبا للزيادة ، وكافة الرعاية الا من غمط منهم النعمة مثنون عليك بحسن السيرة ، ويمن النقيبة ، ويعمدون من ما ترك انك لم تدحض لأحد حجة ، ولم تدفع حقا لشبهة ، وهذا يسير من كثير لو قصدنا تفصيله ، لأنفدنا الزمان قبل تحصيله ، ثم كان قصدنا الوقوف دون الغاية منه

(وله الى عبيد الله بن يحيى) يقطعني عن الأخذ بحظي من لقائك ، وتعريفك ما أنا عليه من شكر انعامك ، وافرادى إياك بالتأمل دون غيرك ، تخلفني عن منزلة الخاصة ، ورغبني عن الحلول محل العامة ، وإنى استمعتاداً للخدمة ولا الملازمة ولا قويا على المغادرة والمراوحة ، فلا يمنعك ارتفاع قدرك ، وعلو أمرك ، وما تعانيه من جلائل الأحوال الشاغلة ، من أن تتطول بتجديد ذكرى ، والاصغاء الى من يحضك على وصلى وبرى ، ويرغبك في إسداء حسن الصنيعة عندي (وله اليه آخر فصل من كتاب) وأنا أسأل الله الذي رحم العباد بك ، على حين افتقار منهم اليك ، أن يعيدهم من فقدك ، ولا يعيدهم الى المسكاره التي استنقذهم منها بيدك

نفثة مصدور

ولقي رجل رجلا خارجا من مصر يريد المغرب ، فقال: يا أخى ! أتتبع القطر ، وتدع مجرى السيول ؟ فقال : أخرجني من مصر حق مضاع ، وشح مطاع ، وإقتار الكريم ، وحركة اللثيم ، وتغير الصديق ، بين السعة والضيق ، والهرب الى التزر بالعز ، خير من طلب الوفرة بذل العجز

آداب المسافر

وأوصى بعض الحكماء صديقاً له وقد أراد سفراً فقال : إنك تدخل بلداً لا تعرفه ولا يعرفك أهله ، فتمسك بوصيتي تنفق بها فيه ، عليك بحسن الشماثل فانها تدل على الحرية ، ونقاء الاطراف فانها تشهد بالملوكية ، ونظافة البرة ، فانها تنبئ عن النش في النعمة ، وطيب الرائحة ، فانها تظهر المروءة ، والأدب الجميل ، فانه يكسب المحبة . وليكن عقلك دون دينك ، وقولك دون فعلك ، ولباسك دون قدرك ، والزم الحياء والأذنة ، فانك ان استحييت من الغضاضة ، اجتنبت الخساسة ، وان أنفت عن الغلبة لم يتقدمك نظير في مرتبة (قال الأصمعي) سمعت أعرابياً يوصي آخر أراد سفراً فقال : آثر بعمالك معادك ، ولا تدع لشهوتك قيادك ، وليكن عقلك وزيرك الذي يدعوك الى الهدى ، ويحنبك من الردى ، واحبس هواك عن الفواحش ، وأطلقه في المكارم ، فانك تير بذلك سلفك ، وتشيد به شرفك

وأوصت أعرابية ابنها في سفر فقالت : يا بني انك تجاور الغرباء ، وترحل عن الاصدقاء ، ولعمرك لا تلقى غير الاعداء ، فحافظ الناس بجميل البشر ، واتق الله في العلانية والسر

وقال بعض الملوك لحكيم وقد أراد سفراً : قفنى على أشياء من حكمتك أعمل بها في سفرى ، فقال : اجعل تأنيك أمام عجلتك ، وحلمك رسول شدتك ، وعفوك مالك قدرتك ، وأنا ضامن لك قلوب رعيتك ، مالم تخرجهم بالشدة عليهم ، أو تبطروهم بالاحسان اليهم * وقال أبان بن تغلب شهدت اعرابية توصي ولدا لها أراد سفراً وهي تقول : أى بنى : اجلس أمنيحك وصيتى ، وبالله نوفيئك ، قال أبان فوقفت مستمعاً لكلامها ، مستحسنها لوصيتها ، فاذا هي تقول : أى بنى ! إياك والخيمة ، فانها تزرع الضغينة ، وتفرق بين المحبين ، وإياك والتعرض للعيوب

فتتخذ غرضاً ، وخلق أن لا يثبت الغرض على كثرة السهام ، وقلما اعتورت
السهم غرضاً الا كلمته ، حتى يهي ما اشتد من قوته ، وإياك والجود بدينك ،
والبخل بمالك ، وإذا هزرت قاهرز كريماً ، يلن لهزتك ، ولا تهزز اللثيم فانه
صخرة لا ينفجر ماؤها ، ومثل بنفسك مثال غيرك ، فما استحسنت من غيرك فاعمل
به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فان المرء لا يرى عيب نفسه ، ومن كانت
مودته بشره ، وخالف منه ذلك فعله ، كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها .
ثم أمسكت فدنوت منها فقلت لها بالله يا عرابية ، ألا تهازدته في الوصية ، قالت :
أو قد أعجبك كلام العرب يا حضري ؟ قلت نعم ! قالت : العذر أقبح ما تعامل به
الناس بينهم ، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الخلقة ربطها وسر بها

مدح السفر

(فقر مدح السفر) أبو القاسم بن عباد الصاحب : في الخبر المنقول أن
المقبوض غريباً شهيد . وفي الحديث سافروا تغنموا — السفر أحد أسباب
العيش التي بها قوامه ، وعليها نظامه ، إن الله لم يجمع منافع الدنيا في الأرض ، بل
فرقها وأحوج بعضها الى بعض — المسافر يسمع العجائب ، ويكسب التجارب ،
ويجلب المكاسب — الأسفار مما تزيدك علماً بقدرة الله وحكمته ، وتدعوك الى
شكر نعمته — ليس بينك وبين بلد نسب ، فخير البلاد ما حملك — السفر يسفر
عن أخلاق الرجال — أوحش أهلك ، إذا كان في إيجاشهم أنسك ، واهجر وطنك
إذا ثبت عنه نفسك — ربما أسفر السفر ، عن الظفر ، وتعذر في الوطن قضاء الوطر وأنشد

ليس ارتحالك ترّتاد الغنى سفرًا * بل المقام على خسف هو السفر

وهذا كقول الطائي

وما القفر بالبيد الفضاء بل التي * نيت بي وفيها ساكنوها هي القفر
أخذه المتنبي فقال

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * أن لا تفارقهم فالراجلون هم

ذم السفر والغربة

(تقيض ذلك في ذم السفر والغربة) في الحديث : إن المسافر وماله لعلی ، قلت إلا ما وقى الله ، أى على هلاك * شيآن لا يعرفهما إلا من ابتلى بهما : السفر الشاسع ، والبناء الواسع = السفر والسقم والقتال : ثلاث متقاربة ، فالسفر سفينة الأذى ، والسقم حريق الجسد ، والقتال منبت المنایا — اذا كنت في غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل — الغربة كربة — النقلة مثلة — الغريب كالغرس الذى زایل أرضه ، وفقد شربه ، فهو ذاو لا يشعر ، وذابل لا ينضر — الغريب كالوحش النائم عن وطنه ، فهو لـكل سبع فريسة ، ولـكل رام رمية ، وأنشد

لَقَرَّبُ الدارِ فِي الإِقْتَارِ خَيْرٌ * مِنْ العِيشِ المَوْسَعِ فِي اغْتِرَابِ

وقال أبو الفتح البستي

لا يَعدَمُ المرءُ شيئاً يَستعينُ بِهِ * وَمُتعةٌ بَينَ أَهْلِيهِ وَأَصْحَابِهِ
وَمَنْ نَأَى عَنْهُمْ قَلَّتْ مَهَابَتُهُ * كَاللَّيْثِ يَحْقِرُ لَمَّا غَابَ عَنْ غَايِهِ

أبو عبيد الله

كتب أبو عبيد الله الى المهدي بعد عزله إياه عن الدواوين : لم ينكر أمير المؤمنين حالى في قرب المؤانسة وخصوص الخلطة من حالى عنده قبل ذلك في قيامي بواجب خدمته ، التى أدلتنى من نعمته ، فلم لا أبذل أعز الله أمير المؤمنين حال التبعية ، وأقرب في محل الإقصاء ، وما يعلم الله مني فيما قلت إلا ما علمه أمير المؤمنين ، فان رأى أكرم الله أن يعارض قولى بعلمه بدءاً وعاقبةً فعل ان شاء الله . فلما قرأ كتابه شهد بتصديقه قلبه فقال : ظلمنا أبا عبيد الله فليرد الى حاله ويعلم ما تجدد له من حسن رأيي فيه

الفضل بن الربيع

ولما أمر المأمون أن يحجب عنه الفضل بن الربيع لسبب تألم قلبه منه كتب إليه:
يا أمير المؤمنين! لم ينسني النقيب ، حالي أيام التبعيد ، ولا أغفلني المؤانسة
عن شكر الابتداء ، فملى أي الحالين أبعد من أمير المؤمنين ، ويلحقني ذم التقصير
في واجب خدمته ؟ وأمير المؤمنين أعدل شهودي على الصدق فيما وصفت ، فإن
رأى أمير المؤمنين أن لا يكتم شهادتي فعل إن شاء الله

أبو حنبل

وقال أبو جعفر المنصور لأبي مسلم حين أزمع قتله هل كنت قبل قيامك
بدولتنا جائز الأمر على عبيدنا ؟ قال لا يا أمير المؤمنين ، قال فلم لم تعرض حالي
عسرتك ومهانتك على أيامنا ، وتعرف لنا ما يعرف غيرك من اجلالنا وإعظامنا
حتى لا ينازعك الحين عنان الطمأنينة ؟ قال قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن
الزمان وإساءته قلبا ما كان من حسن صنيعي ، قال : فلا مرغوب فيك ، ولا مأسوف
عليك ، وفي الله خلفٌ منك ! وأمر بقتله ^(١)

(١) انظر واحيات الملوك في كتاب « الأخلاق عند الغزالي »

شعر كشاجم

١

أجزاء القرآن

جملة من شعر أبي الفتح كشاجم في الأوصاف: قال يصف أجزاء من القرآن

من يتب خشيّة العقاب فأنى * تبت أنساب هذه الأجزاء
بعمتنى على القراءة والند * لك وما خلّيتنى من القراء
حين جاءت تروقى باعتدال * من قدود وصيفة واستواء
سبعة أشبهت لى السبعة الأنج * م ذات الانوار والاضواء
كسيت من أديها الخالك اللو * ن غشاء أحب به من غشاء
مشبهات صبغ الشباب ولما * ت العذارى وابسة الخطباء
ورأت أنها تحسن بالضد * فتاهت بحلية بيضاء
فهي مسودة الظهور وفيها * نور حق يجلو دجى الظلماء
مطبقات على صحائف كالر * ط تخيرن من مسوك الأطباء
وكان الخطوط فيها رياض * شاكرات صنعة الأنواء
وكان البياض والنقط السو * دعبير رششته فى ملاء
وكان المشور والذهب السا * طع فيها كواكب فى سماء
وهى مشكولة بعدة أشكا * ل ومقروءة على أنحاء
فاذا شئت كان حمزة فيها * واذا شئت كان فيها الكسانى
خضرة فى خلال حمرو صفر * بين تلك الاضعاف والأثناء
مثل مائثر الديب من الدر * على جلد بضعة عذراء
ضممت محكم الكتاب كتاب الله ذى المكرمات والآلاء
فحقيق على أن أتلو القرآ * ن فبين مصبى ومسانى

٢

وصف تخت

وقال يصف التخت الذي يضرب عليه حساب الهند
وقلم مِدَادُهُ ترابٌ * في صُحُفٍ سَطُورُهَا حسابٌ
يكثر فيها المحو والاضرابُ * من غير أن يسوّد الكتابُ
حتى يبين الحق والصواب * وليس إعجامٌ ولا إعرابُ
فيه ولا شكٌ ولا ارتيابُ

٣

وصف بركار

وقال يصف بركارا استهداه
جدلى بيركارك الذى صنعت * فيه يدا قينه الأعاجيبا
ملتئم الشعبتين معتدل * ماشين من جانب ولا عيبا
شخصان فى شكل واحد قدرا * وركبا بالعقول تركيبا
أشبه شيئين فى اشتكاهما * بصاحب لا يزال مصحوبا
أوثق مساره وغيب عن * نواظر الناقدين تغيبا
فمين من يجتليه بحسبه * فى قالب الاعتدال مصبوبا
قد ضم قطريه محكما لهما * ضم محب اليه محبوبا
يزداد حرصا عليه مُبصره * مازاده بالبنان تقريبا
ذو مقلة بصرتة منسية * لم ناله رقة وتهديا

ينظر فيها الى الصواب فما * بها يزال الصواب مظلوما
لولا ما صح خط دائرة * ولا وجدنا الحساب تقريبا
لوعين إقليدس به بَصُرْتُ * خَرَّ له بالسجود مكبوا
فابعثه واجنبه لى بمسطرة * تلف الهوى بالثناء مجنوبا



وصف بيكات

وقال يصف بيكاتا

روح من الماء في جسم من الصفر * موآء بلطيف الحسن والنظر
مستعبر لم يغب عن طرفه سكن * ولم يبت من ذوى ضغن على حذر
له على الظهر أجفان محجرة * ومقلة دمعها جار على قدر
ينشئ له حركات من أسافله * كأنها حركات الماء في الشجر
وفي أعاليه حسابان يفصله * للناظرين بلاذهن ولا فكر
إذا بكى دار في أحشائه فلك * جافى المسير وإن لم يبك لم يدر
مترجم عن مواقيت يخبرنا * بها فيوجد فيها صادق الخبر
تقضى به الخس في وقت الوجوب وإن * غطى على الشمس ستر الغيم والمطر
وإن سهرت لأوقات تورقي * عرفت مقدار ما ألقى من السهر
مجدد كل ميقات تخيره * ذوو التخيّر للأسفار والحضر
ومخرج لك بالأجزاء أطفها * من النهار وقوس الليل والسحر
نتيجة العلم والتفكير صورته * يا حبذا أبداع الافكار في الصور

وصف اسطرلاب

وقال يصف اسطرلابا

ومستدير كجرم البدر مسطوح * عن كل رافعة الأشكال مصفوح
نُصَب يدار على قطب يشبهُ * تمثال طرف بشكر الخندق مكبوح
ملء البنان وقد أوفت صفائحهُ * على الأقاليم من أقطارها الفيح^(١)
تلقى به السبعة الافلاك محدقة * بالماء والنار والارضين والريح
تنبيك عن طامح الابراج هيئته * بالشمس طورا وطورا بالمصاييح
وان مضت ساعة أو بعض ثانية * عرفت ذاك بعلم فيه مشروح
وان تعرض في وقتٍ يقدرهُ * لك التشكك جلاهُ بتصحيح
مميز في قياسات الضلوع به * بين المشائم منها والمناجيح
له على الظهر عينا حكمة بهما * يحوى الضيا وتجنّيه من اللوح
وفي الدواوين من أشكاله حكم * تنقح العقل فيها أى تنقيح
لا يستقل لما فيه بمعرفة * الا الحصيف اللطيف الحس والروح
حتى ترى الغيب فيه وهو منغلق الا * بواب عن من سواه جده مفتوح
نتيجة الذهن والتفكير صورهُ * ذوو العقول الصحيحات المراجيح

أبو اسحاق الصابى

وكان أبو شجاع فنا خسرو عضد الدولة قد نكب أبا اسحاق الصابى ، على
تقدمه فى الكتابة ، ومكانه فى البلاغة ، واستصفى أمواله من غير ايقاع به فى نفسه ،
فأهدى اليه فى يوم مهرجان اسطرلابا فى دور الدرهم وكتب اليه

(١) الفيح : الواسعة ، جمع أفيح أو فيحاء

أهدى إليك بنو الحاجات واحتشدوا * في مهرجانٍ عظيم أنت تعلية
لكنَّ عبدك إبراهيم حين رأى * سموَّ قدرك عن شئٍ يساميه
لم يرض بالأرض بهديها إليك فقد * أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

وصف الهن

وقول أبي الفتح ملء البنان البيت، نظير قول علي بن العباس الرومي يصف
هَنَ امرأة (١)

يسع السبعة الأقاليم طراً * وهو في أصبعين من إقليم
كضمير الفؤاد يلتمهم الدهر * يا ونحوه دفناً حيزوم
وإنما أخذه ابن الرومي من قول بعض الشعراء يذكر كاتباً
في كفه أخرسُ ذو منطقٍ * بقافٍ واللام والميم
شبر إذا قيس ولكنهُ * في فعله مثل الأقاليم
محدف الرأس ومسودُّه * كإبرة الرقيق من الريم (٢)

وهذا البيت الأخير مقلوب من قول عدى بن الرقاع العاملي وقد وصف قرن
ريم وشبهه بقلم عليه مداد وذكر ظبية

ترجى أغنَّ كأن إبرة روقٍ * قلم أصاب من الدواة مدادها
وقلب المعنى إذا تمكن الشاعر من إخفائه لا يجري مجرى السرقة

أوراك العذارى

وقد نرى تكثير الشعراء من تشبيه أوراك النسوان بالرمل والكشبان ،

قال الشاعر

وبيض نضيرات الوجود كأنما * تأزرن دون الأزرِ رمالات عالج

(١) الهن . الفرج (٢) روق الريم . قرن الطي

خِذَالُ الشَّوَى لَا تَحْتَشَى غَيْرَ خَلْقِهَا * إِذَا الرُّسُحُ لَمْ يَصْبِرْنَ دُونَ الْمَنَافِجِ (١)
يَذَرْنَ مَرْوِطَ الْخَزِّ مَلَأَى كَأَنَّهَا * قَصَارٌ وَإِنْ طَالَتْ بِأَيْدِي النَّوَاسِجِ
وَهَذَا الْمَعْنَى مَتَنَاوِلٌ مُتَنَاقِلٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، فَأَغْرَبَ ذُو الرِّمَّةِ فِي قَلْبِهِ
وَأَحْسَنَ ، فَقَالَ يَصِفُ رَمَلًا

وَرَمَلٌ كَأُورَاكِ الْعِذَارَى قَطْمَتُهُ * وَقَدْ جَلَّتْهُ الْمَظْلَمَاتُ الْخَنَادِسُ
وَكَذَلِكَ مَدْحُهُمْ ضَمُورَ الْكَشْحِ ، وَجَوْلَانِ الْوَشْحِ ، وَصُمُوتِ الْقُلُوبِ وَالْخَلِخَالِ
وَامْتِنَاعِ الْخُدَامِ مِنَ الْجَمَالِ ، قَالَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَذَكَرَ رَمْلَةَ بِنْتَ الزُّبَيْرِ
ابْنِ الْعَوَامِ

تَجُولُ خِلَافَ الْنِسَاءِ وَلَا أَرَى * لَرَمْلَةَ خَلِخَالًا يَجُولُ وَلَا قُلْبًا (٢)
أَحَبُّ بَنَى الْعَوَامِ طَرًّا لِحَبِّهَا * وَمَنْ أَجْلَهَا أَحْبَبْتَ أَخَوَالَهَا كَلْبًا
وَقَالَ النَّابِغَةُ

عَلَى أَنْ حَجَلِيهَا وَإِنْ قُلْتُ أَوْسَعَا * صُمُوتَانِ مِنْ مَلٍّ وَقَلَّةِ مَنْطِقِ
وَقَالَ الطَّائِي

مَهَى الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَانَا أَوْانِسُ * قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَكَ ذَوَابِلُ
مَنْ الْهَيْفَ لَوْ أَنَّ الْخِلَافَ خَبِلَ صَيَّرْتُ * لَهَاوُشُحًا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخِلَافُ (٣)
وَقَالَ ابْنُ أَبِي زُرْعَةَ الدَّمَشَقِيُّ

اسْتَمَكَّتْ خِلَافُهَا وَمَشَتْ * تَحْتَ الظَّلَامِ بِهِ فَمَا نَطَقَا
حَتَّى إِذَا رِيحُ الصَّبَا نَسَمَتْ * مَلَأَ الْعَبِيرُ بِسِيرِهَا الطَّرَقَا

(١) خِذَالُ الشَّوَى : مَمْتَلِئَةُ الْأَطْرَافِ ، وَالرُّسُحُ جَمْعُ رَسْحَاءٍ وَهِيَ قَلِيلَةُ لَحْمِ الْعَجِزِ
وَالْفَخْذَيْنِ ، وَالْمَنَافِجُ حَشَايَا تَوْضَعُ فَوْقَ الْأَرْدَافِ (٢) الْقَلْبُ بِالضَّمِّ السَّوَارِ
(٣) الْوَشْحُ بضمين جمع وشاح

قلب المعانى

وقال المتنبي

وخصرٍ تثبت الأَبصار فيه * كأنَّ عليه من حدقٍ نطاقاً
قلب هذا كله أبو عثمان الناجم فقال يهجو قينة

مسلوثة الكل غير بطنٍ * مثقلٍ فهي عنكبوتُ
حُجَّولها الدهر في اصطخابٍ * ووُشَّحها كُظْمٌ صُوتُ

وقال أبو عثمان يمدح قينة

محسنة في كل أُلحانها * لا كالتى تحسن في النُدَّره

ثم قلبه في هجاء فقال

عجبت منها ويحها كيف لا * نخطئُ بالاحسان في النُدَّره

وهذا مأخوذ من قول محمد بن مناذر يهجو خالد بن طليق ، وكان قد تقلد قضاء
البصرة

ياعجبا من خالدٍ كيف لا * يخطئُ فينا مرةً بالصوابِ

كان قضاة الناس فيما مضى * من رحمة الله وهذا عذاب

وهذا أيضاً من قلب المهجاء مديحاً ، والمديح هجاء ، كما قال مسلم بن الوليد

يهجو قوما

قبُحَّت مناظرهم فحين خبرتهم * حُسُنَّت مناظرهم بقبح الخبرِ

قلبه أبو الطيب المتنبي فقال

وأستكبر الأخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبرُ الخبرُ

وقال أبو تمام

عباً الكمين له فضلٌ حينه * وكمينه الخفى عليه كمينُ

قلبه البحتري فقال

لا ييأس المرء أن ينجيه * ما يحسب الناس أنه عطبه

وقال أبو تمام

وحشية ترمى القلوب اذا غدت * وسنن فتصعدا دغير النصيد

قلبه البحتري فقال

على أنى أخشى على دار أمنها * فوارس يصطاد الفوارس صيدها

وقال أبو تمام

يشنأ الغيث وهو جِدُّ حبيب * رب حزم فى بغضة الموموق

قلبه البحتري فقال

يسرنى الشيء قد يسوءكم * نوه يوماً بجاملٍ لَقَبه

قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر: المعنى فى المصراع الاول أيين منه

فى الثانى ، ألا ترى أنه لو قال: انه ليسوءك الشيء قد يسر ، كان مثل ذلك المعنى

مستويا ، إلا أنه قلبه لحاجته ، قال ابن الرومى يهجو مغنية

قينة ملعونة من أجلها * رفض اللهم معاً من رفضه

فاذا غنت ترى فى حلقها * كل عرق مثل بيت الأرضه

فقلبها ابن المعتز فقال يصف أرضه أكلت له كتابا

تنثى أنايب لها فيها سبل * مثل العروق لا ترى فيها خلل

وهذا كثير يكتفى منه باليسير

ومن المعاني ما لا ينقلب: ألا ترى أنك تقول نام القوم حتى كأنهم موتى ، ولا يحسن

أن تقول ماتوا حتى كأنهم نيام ، وقد أخذ على أبى نواس قوله يصف داراً وقف بها

كأنها إذ خرست جارم * بين يدي تفنيد مطرق

قالوا إنما يجب أن يشبه الجارم اذا غدلوه فسكت وانقطعت حجته بالدار

الخالية التى لا نجيب ، وأخذوا عليه قوله

كأن نيراننا فى جنب حصنهم * معصفرات على أرسان قصار

وقد تبعه أبو تمام الطائي فقال فى الافشين لما أحرق

ما زال سر الكافرين ضلوعه * حتى اصطفى سر الزناد الوارى

نارُهُ يساور جسمه من حرها * لُهبٌ كما عصفت شق إزار
طارَتْ له شعلٌ يهدم نفحها * أركانهُ هدماً بغير غبار
فصّلن منه كل مجمع مفصل * وفعلن فاقرةً بكل فقار
صلى لها حياً وكان وقودها * ميتاً ويدخلها مع الكفار
وكذلك أهل النار في الدنياء * يوم القيامة جُلُّ أهل النار

أردت البيت الثاني ، قلوا وإنما تشبه الثياب المعصفرة بالنار ، فهذا وما أشبهه
لا يتوازن انعكاسه ، وتنضاد قضاياه ، وإنما يصح القلب فيما يتحقق تضاده أو يتقارب

ذكر النجوم

قطعة من شعر أهل العصر في ذكر النجوم قال أبو الفتح البستي
قد غصّ من أملٍ أني أرى عملي * أقوى من المشتري في أول الحمل
وأني راحلٌ عما أحاولهُ * كأني أستدرُّ الحظ من زحل
وقال : إذا غدا ملكٌ باللهو مشغلاً * فاحكم على ملكه بالويل والحرب
ألم تر الشمس في الميزان هابطةً * لما غدا برج نجم اللهو والطرب
وقال : وقد تدنى الملك لدى رضاها * وتبعد حين تحقّد احتقادا
كما المريح في التمثيلث يعطى * وفي التربع يسلب ما أفادا
وقال : ألا فتقوا بي فاني كما * تمدّحت فليمتحن من يُحب
فما كوكبي راجعاً في الوفاء * ولا برحُ قلبي بالمنقلب
وقال : ائن كسفونا بلا علةٍ * وفازت قداحهم بالظفر
فقد يكسف المرء من دونه * كما يكسف الشمس جرم القمر
وقال : شرف الوغد بوغد مثله * مثل ما فيه بزيغ وخال
ودليل الصدق فيما قلته * شرف المريح في بيت زحل
(٧ - في)

وقال: قل للذي غرته عزّة ملكه * حتى أخل بطاعة النصحاء
شرف الملوك بعلمهم وبرأيهم * وكذلك أوج الشمس في الجوزاء
وقال: وقد يفسد المرء بعد الصلاح * فساداً أما كن والشرُّ يعدى
كما السعد يقبل طبع النحوس * إذا كان في موضع غير سعد
وقال: ما أنس ظان بهاء بارد * من بعد طول العهد بالموارد
إلا كأنسى بكتاب وارد * من سيد محض النجار ماجد
كأنما استملاه من عطارد

وقال: يا معشر الكتاب لا تنعروا * لرياسة وتصاغروا وتخاذلوا
إن الكواكب كن في أشرافها * إلا عطارد حين صور آدم
وقال: دعاني إلى بيته سيد * له الخلق الأشرف الأطراف
فلا زمت بيتي ولا طفته * بعذر هو الأطراف الأطراف
عطارد نجى ولا شك أن * عطارد في بيته أشرف
وقال: لن تنقلت من دار إلى دار * وصرت بعد ثواء رهن أسفار
فالحر حرّ عزيز النفس حيث نوى * والشمس في كل برج ذات أنوار
وقال: لن صدع الدهر المشتت شملنا * وللدهر حكم للجميع صدوع
فلانجم من بعد الرجوع استقامة * والشمس من بعد الغروب طلوع
وقال لمحبوس

حبست ومن بعد الكسوف تبليج * نضى به الآفاق للبدر والشمس
فلا تعتقد للحبس غماً ووحشة * فأول كون المرء في أضيق الحبس
وقال أيضاً

يا من تولى المشتري تدبيره * حاشاك أن تنقاد للمريخ
وقال: لا تفزعن من كل شيء مفزع * ما كل تدبير البروج بضائر

وقال يرثي أبا القاسم صاحب
فقد نأه لما نهم وأغمى بالعلی * كذلك كسوف البدر عند تمامه
وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن درست لأبي الفضل الميكلي
إذا ما غاب وجه البدر عنا * فوجهك عندنا البدر المقيم
فإن رجعت نجوم السعد يوماً * فوجهك نجم سعدٍ مستقيم
وقال مسكويه الخالدي

لا بعجبناك حسن القصر تنزلهُ * فضيلة الشمس ليست في منازلها
لو زيدت الشمس في أبراجها مائة * ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها
وقال أبو بكر الخوارزمي

رأيتك إن أيسرت خيمت عندنا * إلزاماً وإن أعسرت زدت لمأماً
فما أنت إلا البدر إن قل ضوءهُ * أغب وان زاد الضياء أقاماً
وهذا كقول إبراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيت
أسدٌ ضارٍ إذا مانعته * وأبٌ برٌّ إذا ما قدرا
يعرف الأبعد إن أنرى ولا * يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

وقال ابن المعتز
إذا ما أراد الحاسدون الهدامة * بناءً إليه غالبُ العز قاهرهُ
وما إذا يريد الحاسدون من أمرٍ * تزيينهمُ أخلاقهُ وما نثرهُ
إذا ما هو استغنى اهتدى لافتقارهم * ولا تهتدى يوماً اليهم مفارقهُ
وكانوا كرامٍ كوكباً ببصاقهِ * فرد عليهم وبله ومواطرهُ
وهذا البيت كما قال بعض العرب في إحدى الروايات

رمانى بأمرٍ كنت منه ووالدي * بريئاً ومن جال الطوى رمانى
الجول والجال الناحية ، والطوى : البئر ، يريد رمانى بما عاد عليه ، والرواية
المشهورة ومن أجل الطوى ، فعلى هذا تسقط المناسبة بينه وبين قول ابن المعتز

الأصمعي وبعض الأعراب

قال بعض الرواة كنا مع أبي نصر راوية الأصمعي في رياض من المذاكرة
نجنني ثمارها ، ونجتنلي أنوارها ، الى أن أفضنا في ذكر أبي سعيد عبد الملك
ابن قريب الأصمعي فقال : رحم الله الأصمعي انه لمعدن حكم ، وبجر علم ، غير
أنه لم يرقط مثل اعرابي وقف بنا فسلم فقال أيكم الأصمعي ؟ فقال أنا ذاك . فقال
أتأذنون بالجلوس ؟ فأذنا له ، وعجبنا من حسن أدبه ، مع جفاء أدب الأعراب .
قال يا أصمعي أنت الذي يزعم هؤلاء النفر أنك أتقهم معرفة بالشعر والعربية ،
وحكايات الأعراب ؟ قال الأصمعي : فيهم من هو أعلم مني ، ومن هو دوني . قال
أفلا تنشدوني من بعض شعر أهل الحضرة ، حتى أقيسه على شعر أصحابنا
فأنشده شعرا للرجل امتدح به مسامة بن عبد الملك

أمسلم أنت البحرُ إن جاء وارداً * وليث إذا ما الحرب طار عقابها
وأنت كسيف الهندواني أن غدت * حوادث من حرب يعب عباها
وما خلقتا كرومة في امرئ له * ولا غاية الا اليك ما بها
كأنك دبّان عليها موكل * بها وعلى كفّيك يجرى حسابها
اليك رحلنا العيس إذ لم نجد لها * أخا ثقة يرجى لديه ثوابها

قال فتبسّم الأعرابي ، وهزّ رأسه ، فظننا ان ذلك لاستحسانه الشعر ، ثم قال
يا أصمعي هذا شعر مهلهل خلق النسيج ، خطؤه أكثر من صوابه ، يغطي عيوبه حسن
الروي ، ورواية المُنشد ، يشبهون الملك إذا امتدح بالأسد ، والأسد أبخر شتيم المنظر (١)
وربما طرده شرذمة من إمائنا ، وتلاعب به صبياننا ، ويشبهونه بالبحر ، والبحر صعب
على من ركبه ، مرثى على من شر به ، وبالسيف ور بما خان في الحقيقة ، ونبا عند الضريبة ،
ألا أنشدني كما قال صبي من حيننا : قال الأصمعي وماذا قال صاحبكم ؟ فأنشده

إذا سألت الورى عن كل مكرمة * لم يُعزَلْ كرامها الا الى الهول
فنى جوادٌ أذاب المال ذائلاً * فالتيل يشكر منه كثرة التيل
الموت يكره أن يلتقى منيته * فى كرهٍ عند لف الخيل بالخيل
لوزاحم الشمس أبقي الشمس كالسفة * أو زاحم الصم أجاها الى الميل
أمضى من النجم أن نابته نائبة * وعند أعدائه أجرى من السيل
لا يستريح الى الدنيا وزينتها * ولا تراه اليها صاحب الذيل
يقصر المجد عنه فى مكارمها * كما يقصر عن أفاله قولى

قال أبو نصر فأبهتنا والله ما سمعنا من قوله ، قال فتأنى الاعرابي ثم قال
الأصمى : ألا تنشدنى شعرا تراح اليه النفس ويسكن اليه القلب ؟ فأنشده
لابن الرقاع العاملى

وناعمة تجلو بعود أراك * مؤشرة يسبى المعاق طيها
كأن بها خيراً بماء غمامة * اذا ارتشفت بعد الرقاد غروبها
أراك الى نجد تحن وانما * منى كل نفس حيث كان حبيبها

فتبسم الاعرابي وقال : يا أصمى ما هذا بدون الأول ، ولا فوقه ، ألا أنشدنى
كما قلت ؟ قال الأصمى وما قلت جعلت فداك ، فأنشده

تعلقتها بكراً وعُلمت حبها * فقلبي عن كل الورى فارغ بكر
اذا احتجبت لم يكتمك البدر ضوءها * وتكفيك ضوء البدران حجب البدر
وما الصبر عنها ان صبرت وجدته * جميلاً وهل فى مثلها يحسن الصبر
ولو أن جلد الذر لأمس جلدنا * لكان لمس الذر فى جلدنا أثر
ولو لم يكن للبدر ضداً جمالها * وتفضل فى حسننا اصفا البدر

قال أبو نصر قال لنا الأصمى اكتبوا ما سمعتم ولو بأطراف المدى فى رقق
الا كباد ! قال وأقام عندنا شهراً فجمع له الأصمى خمسمائة دينار ، وكان يتعاهدنا
فى الحين بعد الحين ، حتى مات الأصمى وتفرق أصحابنا

كلام الاعراب

(فقر من كلام الاعراب في ضروب مختلفة) قال الجاحظ : ليس في الارض كلام هو أمتع ، ولا أنفع ، ولا آتق ، ولا ألد في الاسماع ، ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة ، ولا أفنق للسان ، ولا أجود تقويما للبيان ، من طول استماع حديث الاعراب العقلاء الفصحاء .

قال ابن المقفع وقد جرى ذكر الشعر وفضيلته : أى حكمة تكون أبلغ ، أو أحسن ، أو أغرب ، أو أعجب ، من غلام بدوى لم ير ريفا ، ولم يشبع من طعام ، يستوحش من الكلام ، ويفزع من البشر ، ويأوى الى القفر ، واليرابيع ، والظباء ، وقد خالط الغيلان ، وأنس بالجان ، فاذا قال الشعر وصف ما لم يره ، ولم يفد به ، ولم يعرفه ، ثم يذكر محاسن الاخلاق ومساوئها ، ويمدح ، ويهجو ، ويندم ، ويعاتب ، ويشبب ، ويقول ما يكتب عنه ، وبرى له ، ويبقى عليه وقال بعض الاعراب

وانى لأهدى بالوانس كالدمى * وانى بأطراف القنا للعوب
وانى على ما كان من عنجهي * وأوثى أعرابى لأديب (١)
كان الأدب غريب من الاعراب ، ففتخر بما عنده منه . وقال الطائي في فطنتهم يستعطف مالك بن طوق على قومه بنى تغلب

لا رقة الحضر اللطيف غدتهم * وتباعدوا عن فطنة الاعراب
فاذا كشفهم وجدت لديهم * كرم النفوس وقلة الآداب
ووصف اعرابي رجلا فقال : هو أظهر من الماء ، وأرق طباعا من الهواء ، وأمضى من السيل ، وأهدى من النجم . ووصف اعرابي رجلا فقال : ذاك والله من ينفع سلمه ، ويتواصف حلمه ، ولا يستمرأ ظلمه . وقال اعرابي : جلست الى قوم

(١) المنجبهة واللثة : الكبر والحماق

من أهل بغداد فما رأيت أرجح من أحلامهم ، ولا أطيش من أفلامهم . وذكر
اعرابي من بني كلاب رجلا فقال : كان والله الفهم منه ذا أذنين ، والجواب ذا لسانين
ولم أر أحدا أرتق نخل رأى ، ولا أبعد مسافة روية ، ومراد طرف منه ، إنما
كان يرمى بهمنه حيث أشار اليه الكرم ، وما زال يتحسنى مرارة أخلاق الاخوان ،
ويسقيهم عنوبة أخلاقه * وذكر اعرابي رجلا فقال : والله لكأن القلوب ،
والأسن ، رِيضت له ، فما تعقد الا على وده ، ولا تنطق الا بحمده . وقال اعرابي :
أقبح أعمال المقتدرين الانتقام ، وما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا اكتسبت
البغضاء بمثل الكبر . قال الأصمعي : وخطبنا اعرابي بالبادية فقال : أيها الناس
ان الدنيا دار مفر ، والآخرة دار مقر ، فخذوا من مفركم لمقركم ، ولا تهتكوا
أستاركم ، عند من لا تخفى عليه أسراركم . قال المعافر بن نعيم : وقفت أنا ومعبد
ابن طوق العنبري على مجلس ابني العنبري وأنا على ناقة وهو على حمار ، فقاموا
فبدؤني فساموا علي ، ثم انكفؤا على معبد فقبض بده عنهم ، وقال : لا ولا كرامة!
بدأتم بالصغير قبل الكبير ، وبالمولى قبل العربي ، وبالمفحم قبل الشاعر . فأسكت
القوم فانبرى اليه غلام فقال : بدأنا بالكاتب ، قبل الأُمي ، وبالمهاجر قبل الاعرابي
وبرا كب الراحلة قبل راكب الحمار ! ووصف اعرابي قومه فقال : ليوث حرب
وغيوث جذب ، إن قاتلوا أبلوا ، وإن بذلوا أغنوا : ووصف اعرابي قوما فقال :
إذا اصطفوا سفرت بينهم السهام ، وإذا تصالحوا بالسيوف ففر فمه الحمام * وسئل
اعرابي عن صديق له فقال : صفرت عياب الود بيني وبينه بعد امتلائها ^(١)
واكفهرت وجوه كانت بمائها . وقال الأصمعي وسمعت اعرابيا يقول : ان
الآمال قطعت أعناق الرجال ، كالسراب غر من رآه ، وأخلف من رجاء ، ومن
كان الليل والنهار مظيته ، أسرعا السير والبلوغ به

والمرء يفرح بالأيام يقطعها * وكل يوم مضى يدني من الاجل

وذكر اعرابي مصيبة نالته فقال : انما والله مصيبة جعلت سود الرؤوس
بيضا ، وبيض الوجوه سودا ، وهونت المصائب ، وشيبت الذوائب .

وهذا كقول عبد الله بن الزبير الاسدي

رمى الخدنان نسوة آل حرب * بمقدار سمدن له سمودا^(١)
فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا
ولأنك لو رأيت بكاء هندي * ورملة اذ تصكأن الخدودا
بكيت بكاء مموله حزين * أصاب الدهر واحدها الفقيدا
ونظير هذا التطابق بين السواد والبياض وان لم يكن من هذا المعنى قول

ابن الرومي

يابياض المشيب سودت وجهي * عند بيض الوجوه سود القرون
فلمعمرى لأخفينك جهدي * عن عياني وعن عيان العيون
والعمرى لأمنعك أن تضحك في رأس آسف محزون
بسواد فيه ابيضاض لوجهي * وسواد لوجهك الملعون
سأل اعرابيان رجلا فخرهما فقال أحدهما لصاحبه : نزلت والله بواد غير
م مطور ، وانيت رجلا بك غير مسرور ، فلم تدرك ما سألت ، ولا نلت ما أملت
فارتحل بنادم ، أو أقم على عدم . قال الاصمعي وسمعت اعرابيا يقول : غفلنا
ولم يغفل الدهر عنا ، فلم نتعظ بغيرنا ، حتى وعظ غيرنا بنا ، فقد ادركت السعادة
من تنبه ، وأدركت الشقاوة من غفل ، وكفى بالتجربة واعظا — وقال اعرابي لرجل :
اشكر للمنعم عليك ، وأنعم على الشاكر لك ، نستوجب من ربك زيادته ، ومن
أخيك مناصحته . ومدح اعرابي رجلا فقال : ذلك والله فسيح الادب ، مستحکم
السبب ، من أي أقطاره أثبتته ، تثني عليه بكرم فعال ، وحسن مقال * وذم اعرابي
رجلا فقال : أفسد آخرته بصلاح ديناه ، ففارق ما أصلح غير راجع اليه ، وقدم

(١) سمدن له : تلوت له رؤوسهن

على ما أفسد غير منتقل عنه ، ولو صدق رجل نفسه ما كذبه ، ولو ألقى زمامه
أوطاه راحلته . وقال اعرابي : خرجت حين فحدرت أيدي النجوم ، وشالت
أرجلها ، فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر . وقال اعرابي
وقد تعاللت ذميل العنسر * بالسوط في ديمومة كالترس

اذ عرج الليل بروج الشمس

ومن مליح الاستعارة في نحو هذا قول الحسن بن وهب : شربت البارحة على
وجه الجوزاء ، فلما اتتبه الفجر نمت ، فما عقلت حتى لحقني قميص الشمس * وقال
اعرابي لصاحبه في شيء ذكره : قل ان شاء الله ، فانها ترضى الرب ، وتسخط
الشیطان ، وتذهب الحنث ، وتقضى الحاجة . وروى العتبي عن أبيه قال سمعت
اعرابياً يقول لأخيه في معاتبة جرت بينهما : أما والله لرب يوم كنتنور الطاهي ،
رقاص بالحمامة ، قد رميت نفسي في أجيج سمومه ، أحتمل منه ما أكره لما
أحب — قال أبو العباس محمد بن يزيد وأحسب العتبي صنع هذا الكلام وأخذه
من قول بشار

ويوم كنتنور الاماء سجرته * وأوقدن فيه الجوزل حتى تضر ما
رميت بنفسى في أجيج سمومه * وبالعباس حتى بض منخرها دما
أخذ هذا المعنى بعض أصحاب أبي العباس ثعلب فقال يهجو المبرد
ويوم كنتنور الطاهية سجرته * على انه منه أحر وأوقد
ظلات به عند المبرد جالسا * فما زلت في ألفاظه أنبرد

✧ أحزان الثواكل

قل الاصمعي حجت أعرابية ومعه ابن لها فأصديت به فلما دفن قامت على قبره
وهي موجهة فقالت : والله يا بني لقد غدتك رضيعاً ، وفقدتك سريماً ، وكأنه لم
يكن بين الخالين مدة ألتد بعيشك فيها ، فاصبحت بعد النضارة والغضارة ،

ورونق الحياة والتنسم في طيب روائحها ، تحت أطباق الثرى جسداً هامداً ، ورفاتا سحيقا . وصعيدا جرّزا ، أى بنى ! لقد سحبت الدنيا عليك أذيال الفناء ، وأسكنتك دار البلى ، ودمتني بمدك نكبة الردى ، أى بنى ! لقد أسفر لي وجه الدنيا عن صباح داج ظلامه . ثم قالت : أى رب ومنك العدل ، ومن خلقك الجور ، وهبته لي قرة عين ، فلم تتمعني به كثيراً ، بل سلمتني وشيكاً ، ثم أمرتني بالصبر ، ووعدتني عليه الأجر ، فصدقت وعدك ، ورضيت قضاءك ، فرحم الله من ترحم على من استودعته الردم ، ووسدته الثرى ، اللهم ارحم غربته ، وآنس وحشته ، واستر عورته ، يوم تكشف الهنات والسوات . فلما أرادت الرجوع إلى أهلها وقفت على قبره فقالت : أى بنى ! انى قد تزودت لسفري ، فليت شعري ما زادك لبعدي طريقك ، ويوم معادك ، اللهم انى أسألك له الرضى برضائى عنه . ثم قالت : استودعتك من استودعنيك فى أحشائى جنيئاً ، وأكسلك الوالدات : ما أمض حارة قلوبهن ، وأقلق مضاجعهن . وأطول ليالهن ، وأقصر نهارهن ، وأقل أنسهن ، وأشد وحشتهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن من الأحزان ! فلم تزل تقول هذا ونحوه حتى أبكت كل من سمعها ، وحمدت الله عز وجل واسترجعت وصلت ركعات عند قبره وانطلقت |

وأشد المفضل الضبي لامرأة من العرب ترى ابناً لها

يا عمرو مالى عنك من صبر * يا عمرو يا أسفى على عمرو
 لله يا عمرو وأى فنى * كفنت يوم وضعت فى القبر
 أحشو التراب على مفارقة * وعلى غضارة وجهه النضر^(١)
 حين استوى وعلا الشباب به * وبدا منير الوجه كالبدر
 ورجا أقاربه منافه * ورأوا شمائل سيد غمر^(٢)
 وأمه همى فساوره * وغدا مع الغادين فى السفر

(١) المفارق : مواضع فرق الشعر من الرأس (٢) غمر : جزيل العطاء

تعدو به شقراء سامية * مرطى الجراء شديدة الأسر^(١)
 ثبت الجنان به ويقدمها * فليج يقلب مقلنى صقر^(٢)
 ربيت به دهرأ أفيتة * فى اليسر أغنودو فى العسر
 حتى اذا التأميل أمكنى * فيه قبيل تلاحق الثغر
 وجملت من شغفى أنقله * فى الارض بين تنائف غبر^(٣)
 أدع المزارع والخصون به * وأحلله فى المهمة القفر
 ما زلت أصعده وأحدره * من قتر ومائة الى قتر^(٤)
 هرباً به والموت يطلبه * حيث انتويت به ولا أدرى^(٥)
 حتى دفعت به لمصرعه * سوق المميز تساق للعتر^(٦)
 ما كان إلا أن هجعت له * ورمى فأغفى مطلع الفجر
 ورمى الكرى رأسى ومال به * رمس يساور منه كالسكر
 اذ راعى صوت هيبته به * وذعرت منه أيتما دعر
 واذا منيته تساوره * قد كدحت فى الوجه والنحر
 واذا له علق وحشرجة * مما يحيش به من الصدر
 والموت يقبضه ويبسطه * كاثوب عند الطى والنشر
 فدعا لأنصره وكنت له * من قبل ذلك حاضر النصر
 فمجزت عنه وهى زاهقة * بين الوريد ومدفع السحر
 ففضى وأى فتى فجعت به * جلت مصيبتة عن القدر
 لو قيل تفديه بذلت له * مالى وما جمعت من وفر
 أو كنت مقتدرأ على عمرى * آثرته بالشطر من عمرى

- (١) مرطى : سريعة . والأسر القوة (٢) فليج : حليف النصر (٣) التنائف : جمع تنوفة وهى الصحراء (٤) القتر بالضم الجانب (٥) انتويت : قصدت (٦) العتر : اسم نبات أو شجر صغير

قد كنت ذا فقر له فمدا * ورمى على وقد رأى فقرى
لو شاء ربى كان متعنى * باني وشدة بأزره أزدى
بنيت عليك بنى أحوج ما * كنا اليك صفائح الصخر
لا يبعدك الله يا عمرى * إنا مضيت فتحن بالأثر
هذى سبيل الناس كلهم * لا بد سالكها على سفر
أولا تراهم فى ديارهم * يتوقعون وهم على دعر
والموت يوردهم مواردهم * قسراً فقد ذلوا على القسر

وصف رجل

وقال اعرابي يمدح رجلاً
يمدح نجاد السيف حتى كأنه * بأعلى سنهاى دالج يتطوَّحُ
ويُدْجُ فى حاجات من هو نائم * ويورى كريمات النوى حين يقدحُ
إذا اعتم بالبرد العمانى حسبه * هلالاً بدا فى جانب الأفق يلمحُ
يزيد على فضل الرجال فضيلة * ويقصر عنه مدح من يتمدح

بكاء الحمام *

وأنشد ابن أبى طاهر لأعرابي
وقبلى أبكى كل من كان ذاهوئى * هتوف البواكى والديار البلاقعُ
وهن على الاطلال من كل جانب * نوائح ما تخضل منها المدامع
مزرجة الأعناق نمر ظهورها * مخطمة بالدُّر خضر روائع
ترى طرزا بين الخوافى كأنها * حواشى برد زينتها الوشائعُ
ومن قطع الياقوت صيغت عيونها * خواضب بالحناء منها الأصابع

* انظر نوح الحمام فى كتاب (مدامع العشاق)

ومن جيد ما قيل في الحمام قول ابن الرومي
وقفت بطراب العشيات والضُّحى * فَظَلْتُ أُسْحُ الدَّمْعَ مِنِّي وَأُسْجِمُ
حليقة شجورٍ هاج مابى وما بها * تباريح شوق يشتكيها المتيم
فباح به فوها وأخفته عينها * وباحت به عيني وكتمه الفم

اسماعيل بن صبيح

ودخل أعرابي على الرشيد فأنشده أرجوزة مدحه بها واسماعيل بن صبيح
يكتب كتابا بين يديه ، وكان من أحسن الناس خطا ، وأسرعهم يدا ، فقال
الرشيد للأعرابي صف الكاتب فقال

رقيقُ حواشي العلم حين تبورُ * يريك الهوينا والأُمور تطيرُ
له قَلَمًا بؤسٍ ونعمى كلاهما * صحابته في الخاليتين درُورُ
بناجيك عما في ضميرك خطهُ * ويفتح باب النُجج وهو عسيرُ

فقال الرشيد : قد وجب لك يا اعرابي عليه حق ، كما وجب لك علينا. يا غلام
ادفع له دية الحر ، فقال اسماعيل وعلى عبدك دية العبد

رقة الحنين

قال أعرابي من بني عقيل

أحنُّ إلى أرض الحجاز وحاجتي * خيامٌ بنجد دونها الطرف يقصُرُ
وما نظري نحو الحجاز بنافعي * فنيلاً ولكني على ذاك أنظرُ
أفنى كل يوم نظرةً ثم عبدةً * لعينيك يجري ماؤها ينحدَرُ
متى يستريح القلب إما مجاورُ * حزينٌ وإما نازحٌ يتذكر

دعوة الله

وقال اعرابي

وانى لأغضى مقاتليَّ على القدى * وألبس ثوب الصبر أبيضاً بلجا
وانى لأدعو الله والامر ضيق * علىَّ فما ينفك أن يتفرجاً
وكم من فتى ضاقت عليه وجوهه * أصاب لها في دعوة الله مخرجا

ذكرى الحبيب

وقال آخر

ذكرتك ذكرى هائم بك تنتهى * اليك أمانيه وان لم يكن وصل
وايست بذكري ساعة بعد ساعة * ولكنها موصولة ما لها فصل

وقال آخر

أريتك ان شطت بك العام نية * وغالك مصطفى الحمى ومراعاة
أترعين ما استودعت أم أنت كالذى * اذا ما نأى هانت عليك وداعة
ألا إن حسياً دونه قلة الحمى * منى النفس لو كانت تنال شرائعه (١)

بر المرء بقومه

أخذت أزد العتيك شاعرا من قيس بن ثعلبة اسمه المعدل في دم فأتته البيهس
ابن ربيعة فحمله ، وأمره أن ينجو بنفسه ، وأسلم نفسه مكانه ، فقال له المعدل
أخيرك بين أن أمدحك أو أمدح قومك ، فاختر مدح قومه فقال

جزى الله فتيان العتيك وان نأت * بى الدار عنهم خير ما كان جازيا
هم خلطوني بالنفوس وأحسنوا الص * حابة لما حُمَّ ما كان آتيا
متاعهم فوضى قضا في رحا لهم * ولا يحسنون الشر إلا تباديا
كأن دنبراً على قسائمهم * اذا الموت في الابطال كان تحاميا

(١) الحسى : سهل فيه ماء ، ويجمع على أحساء ، والشرائع الموارد

وذكرت الرواة أن المهلب بن أبي صفرة عرض جنده بخراسان فعرض جيش بكر ابن وائل فمر به المعدل فقال : هذا المعدل الفيسى الذى يقول : وأنشد الأبيات ، فقالوا أيها الأمير : احسبه علينا ، فانطلق مائة منهم ، فجوأ بمائة وصيف ووصيفة ، فقالوا أعطه هذا وليعذرنا * قوله كأن دنانيرا على قسماهم نظير قول أبي العباس الاعمى

ليت شعرى من أين رأتحة المسك لك وما إن اخل بالخيف إنسى
حين غابت بنو أمية عنه * والبه ايل من بنى عبد شمس
خطباء على المنابر فرسا ن عليها وقالة غير خرُس
فى حلوم اذا الحلوم استفرزت * ووجوه مثل الدنانير ملس

ماثم أبى نواس

ولما خلع النامون أخاه محمد بن زبيدة ووجه بطاهر بن الحسين لمحاربتة ، كان يعمل كتباً بعيوب أخيه تقرأ على المنابر بخراسان ، فكان مما عابه به أن قال : انه استخلص رجلاً شاعراً ماجناً كافراً يقال له الحسن بن هانى واستخلصه ليشرب معه الخمر ويرتكب المآثم ، ويهتك المحارم ، وهو الذى يقول

ألا فاسقنى خمرأً وقل لى هى الخمر * ولا تسقى سرأً اذا أمكن الجهر
وبُخ باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر
ويذكر أهل العراق فيقول : أهل فسوق ، وخمور ، وما خور ، وفجور ،
ويقوم رجل بين يديه فينشد أشعار أبى نواس فى المجون ، فاتصل ذلك بابن زبيدة
فنهى الحسن عن الخمر ، وحبسه ابن أبى الفضل بن الربيع ، ثم كلفه فيه الفضل
فأخرجه ، بعد أن أخذ عليه أن لا يشرب خمرأً ، ولا يقول فيها شعراً ، فقال

مامن يدى فى الناس واحدة * كيد أبو العباس مولاها
قام الثقات على مضاجعهم * وسرى الى نفسى فأحياها
قد كنت خفتك ثم آمنى * من أن أخافك خوفك الله

فَعَفَوْتُ عَنِ عَفْوِ مُقْتَدِرٍ * وَجَبَتْ لَكَ نَقَمٌ فَأَنَاها
وَمَنْ قَوْلُهُ فِي تَرْكِ الشَّرَابِ

أَيُّهَا الرَّائِحَانُ بِاللَّوْمِ أَوْبَا * لَا أَذُوقُ الْمَدَامَ إِلَّا شَبِيهَا
نَالِي بِالْمَلَامِ فِيهَا إِمَامٌ * لَا أَرَى لِي خِلَافَهُ مُسْتَقْبَا
فَاصْرِفَاها إِلَى سِوَايَ فَإِنِّي * لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمَا
جَلَّ حَظِّي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ * أَنْ أَرَاهَا وَأَنْ أَشْمَّ النَّسِيمَا
فَكَأَنِّي وَمَا أَزَيْنُ مِنْهَا * قَعْدِيَّ يَزِينُ التَّحْكِيمَا

القعدية : فرقة من الخوارج ، يأمرون بالخروج ولا يخرجون ، وزعم المبرد أنه
لم يسبق إلى هذا المعنى ، وقال

عَيْنُ الْخُلَيْفَةِ بِي مُوَكَّلَةٌ * عَقْدُ الْحِذَارِ بِطَرْفِهَا طَرْفِي
صَحَّتْ عَلَانِيَتِي لَهُ وَأَرَى * دِينَ الضَّمِيرِ لَهُ عَلَى حَرْفِ
وَأَنْ وَعْدَتِكَ تَرْكُهَا عِدَةٌ * أَنِي عَلَيْكَ خَائِفٌ خُلْفِي
سَلَبُوا قِنَاعَ الدَّنِّ عَنْ رَمَقِي * حَتَّى الْحَيَاةُ مُشَارِفُ الْحَنْفِ
فَتَنَفَّسْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْهُرُجَتْ * كَتَنَفَسَ الرِّيحَانُ فِي الْأَنْفِ

أَخَذَ قَوْلُهُ (وَأَنْ وَعْدَتِكَ تَرْكُهَا عِدَةٌ) الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ وَكَيْعٍ فَقَالَ
مَتَى وَعْدَتِكَ فِي تَرْكِ الصَّبَا عِدَةٌ * فَاشْهَدْ عَلَيَّ عَدَّتِي بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ
أَمَّا تَرَى اللَّيْلَ قَدْ وَلَتْ عَسَا كَرَهُ * وَأَقْبَلَ الصَّبِيحُ فِي جَيْشٍ لَهُ لُجْبِ
وَجَدْتُ فِي أَثَرِ الْجُوزَاءِ بِطَالِبِهَا * فِي الْجَوْ رَكْضًا هَلَالُ دَائِمِ الطَّلَبِ
كَصُورِ الْجَانِ لُجَيْنٍ فِي يَدَيَّ مُلْكٍ * أَدْنَاهُ مِنْ كُرَّةٍ صَيَغَتْ مِنَ الذَّهَبِ
فَقَمِ بِنَا نَصْطَبِجُ صَفَرَاءَ صَافِيَةٍ * كَالنَّارِ لَكُنْهَا نَارٌ بِلَا لَهَبِ
عُرُوسُ كَرَمٍ أَنْتِ تَخْتَالُ فِي حُلَلٍ * صَفَرٌ عَلَى رَأْسِهَا تَجُّ مِنْ الْحَبَبِ
وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ الْمَيْكَلِيُّ فِي اقْتِرَانِ الْهَلَالِ بِالزُّهْرَةِ

أَمَّا تَرَى الزُّهْرَةَ قَدْ لَاحَتْ لَنَا * تَحْتَ هَلَالٍ لَوْنُهُ يَحْكِي اللَّهَبِ

ككْرَةٍ من فضة مجلوة * وافي عليها صولجان من ذهب
وعلى قول أبي نواس

صحت علاقتي له وأرى * دين الضمير له على حرف
كتب أبو العباس بن المعتز الى أبي الطيب القاسم بن محمد النخعي
يا أيها الخافي ويستجفي * ليس تجزيك من الظرف
إنك في الشوق اليها كمن * يؤمن بالله على حرف
محوت آثارك من ودنا * غير أساطيرك في الصحف
فان تحاملت لنا زورة * يوماً تحاملت على ضعف

ثوب اليباء

وحدث أبو عمر الزاهد قال: ذلك بعض الزهاد المرائين جهته بشوم وعصبها
ونام ليصبح بها كأثر السجود فأنحرفت العصاة الى صدغه فأخذ الأثر هناك، فقال
له ابنه ما هذا يا أبت؟ فقال أصبح أبوك ممن يعبد الله على حرف:

عود الى أبي نواس

وقال أبو نواس في الباب الأول

غنينا بالطول كيف بلينا * واسقنا نعطك الشاء الثمينا
من سلاف كأنها كل شيء * يتمنى مخبر أن يكونا
أكل الدهر ما تجسم منها * ونبقى لبابها المكنونا
فاذا ما اجتليتها فهبلا * يمنع الكف ما يبيع العيونا
ثم شجبت فاستضحكت عن لال * لو تجمعن في يد لاقتنينا
في كؤوس كأنهن نجوم * دوائر برؤوسها أيدينا
طالعات مع السقاة علينا * فاذا ما غربن يغربن فينا
لو ترى الشرب حولها من بعيد * قلت قوما من قرّة يصطلونا

وغزال يديرها بينان * ناعمات يزيدنها الغمزُ لينا
كلما شئتُ علّني برُضابٍ * يترك القلب للسرور قرينا
ذاك عيش لودام لي غير أني * عفته مكرهاً وخفت الأمانة
وقال

أعذلُ أعتبت الامام وأعتبا * وأعربت عما في الضمير وأعربا
وقلت لساقبها أجزها فلم أكن * لبأبي أمير المؤمنين وأشربا
فجوزها عني سلافاً ترى لها * لدى الشرف الاعلى شعاعاً مطمئناً
إذا عبّ فيها شارب القوم خلتهُ * يقبل في داجٍ من الليل كوكبا
ترى حيث ما كانت من البيت مشرقاً * ومالم تكن فيه من البيت مغرباً
يدور بها رطب البنان ترى له * على مستدار الخلد صدغاً معقرباً
سقام ومنانى بعينه منيةً * فكانت الى قلبي ألد وأطيباً

اغتصابه لمعاني الشعراء

قال الحسن بن الضحّاك الخليل أنشدت أبا نواس قولي
وشاطريّ اللسان مخمّلق التكا * ريه شاب المجون بالنسكِ

فلما بلغت فيه

كأنما نصب كأسه قمرٌ * يكرّعُ في بعض أنجم الفلكِ
نعر نكرة منكورة ، فقلت مالك ، فقد رعتني ؟ قال هذا المعنى أنا أحق به منك ،
ولكن سترى لمن يروى ! ثم أنشد بعد أيام

إذا عبّ فيها شارب القوم خلتهُ * يقبل في داج من الليل كوكبا
فقلت هذه مطالبة يا أبا علي ، فقال أنظن أنه يروى لك معنى ملبح وأنا
في الحياة ؟ ! وقال ابن الرومي فكان أحسن منهما

ومنهف كملت محاسنهُ * حتى تجاوز مُنية النفسِ

تصبوا الكؤوس الى مرأشقه * وتضجُ في يده من الحبس
أبصرته والكأس بين فم * منه وبين أنامل خمس
فكانتْها وكان شاربها * قمرٌ يقبل عارض الشمس

وقال أبو الفتح كشاجم

وسحاب يجر في الارض ذبلي * مطرف زرة على الارض ذرا
برقه لمحّة ولكن له رء * يد بطي يكسو المسامع وقرا
كخلى منافق للذي بهوا * ه يبكى جهراً ويضحك سرا
قد سقتني المدام فيها فتاة * سحرتني وليس تحسن سحرا
فاذا ما رأيتها تشرب الرا * ح أرتنى شمساً تقبل بدرا

صبوة بشار

وانما احتذى أبو نواس في هذه الأشعار التي وصف فيها ترك الشراب وطاعته
لأمر الأئمين مثال بشار بن برد ، وصب على قلبه ، وذلك أن بشاراً لما قال
لا يؤيسنك من مخبأة * قول تغلظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة * والصعب يمكن بعدما جمحا
بلغ ذلك المهدي فغاضه ، وقال : يحرض النساء على الفجور ، ويسهل السبيل
إليه ! فقال له خاله يزيد بن منصور الحميري يا أمير المؤمنين ، قد قتن النساء بشعره
وأى امرأة لا تصبو إلى مثل قوله :

عجبت فطمة من نعى لها * هل يجيد النعت مكفوف النظر
بنت عشر وثلاث قسّمت * بين غصن وكثيب وقمر
درة بحرية مكنونة * مازها التاجر من بين الدرر
أذرت الدمع وقالت ويلتى * من ونوع الكف ركب الخطر
أمتى بدد هذا أعبى * وو شاحى حله حتى انتثر

فدعيني معه يا أمتي * علنا في خلوة تقضى الوطر
أقبلت في خلوة تضربها * واعتراها كجنون مستعر
بأبي والله ما أحسنه * دمع عين غسل الكحل قطر
أيها النّوأم هبوا ويحكم * وسلوني اليوم ما طعم السهر
فأمره المهدي أن لا يتغزل ، فقال أشعاراً في ذلك ، منها

يا منظرًا حسنًا رأيته * من وجه جاريةٍ فديتهُ
لمعتُ إلىَّ تسومني * ثوب الشباب وقد طويته
والله رب محمدٍ * ما ان غدرتُ ولا نويتهُ
أمسكتُ عنك وربما * عرض البلاء وما ابتغيته
إن الخليفة قد أبى * وإذا أبى شيئًا أبيتهُ
ويشوقني بيت الحبيد * بآذا غدوت وأين بيتهُ
قام الخليفة دونه * فصبرت عنه وما قلّيته
ونهايتُ الملك الهما * م عن النساء فما عصيته
بل قد وفيت ولم أضع * عهدًا ولا رأيًا رأيته
وقال أيضًا

والله لولا الخليفة ما * أعطيت ضيما علىَّ في شجنٍ
قد عشت بين الدمان والرا * ح والمزهر في ظل مجلس حسن
ثم نهاني المهديُّ فأنصرفت * نفسي صُنع الموفق اللقن

وقال أفنيت عمري وتقضى الشبابُ * بين الحميا والجواري العذابُ
قلآن شقعتُ إمام المهدي * وربما طببت لحبٍ وطاب
لهوت حتى راعني داعيًا * صوت أمير المؤمنين الحجاب
لبيك ليك هجرت الصبا * ونام عندآلى ومات العتاب
أبصرت رشدي وتركت المتى * وربما ذلت لهن الرقاب

في كلمة طويلة يقول فيها

يُحَامِدُ الْقَوْلَ وَلَمْ يَبْلُهُ * سَبَقْتُ بِالسَّيْلِ مِسَاكَ السَّحَابِ
الْفِعْلَ أَوَّلَى بِنَاءِ الْفَتَى * مَا جَاءَهُ مِنْ خَطَأٍ أَوْ صَوَابِ
دَعِ قَوْلَ وَاٍِ وَانْتَظِرْ فَعْلُهُ * يَثْنِي عَلَى اللَّقْحَةِ مَا فِي الْخِلَابِ^(١)
إِذَا غَدَى الْمَهْدَى فِي جَنْدِهِ * وَرَاحَ فِي آلِ الرُّسُولِ الْغَضَابِ
بَدَأَ لَكَ الْمَعْرُوفَ فِي وَجْهِهِ * كَالظَّلْمِ يَجْرِي فِي الثَّنَائِ الْعَذَابِ

غزل بشار

ومن شعر بشار في الغزل

أَيُّهَا السَّاقِيَانِ صَبَا شَرَابِي * وَاسْقِيَانِي مِنْ رَيْقِ بَيْضَاءِ رُودِ
أَنْ دَأَى الصَّدَى وَأَنْ شَفَأَى * شَرِبَةٌ مِنْ رَضَابِ نَعْرِ بَرُودِ
عِنْدَهَا الصَّبْرُ عَنْ لِقَائِي وَعِنْدِي * زَفَرَاتُ يَا كَانَ قَلْبُ الْجَلِيدِ
وَلَهَا مَبْسَمٌ كَغُرِّ الْإِقَاحِي * وَحَدِيثُ كَالُوشِي وَشَى الْبُرُودِ
نَزَلَتْ فِي السَّوَادِ مِنْ حَبَّةِ الْقَلَا * بِ وَنَالَتْ زِيَادَةَ الْمُسْتَزِيدِ
ثُمَّ قَالَتْ نَلْقَاكَ بَعْدَ نَيَْالٍ * وَاللَّيَالَى يَبْلِيْنَ كُلَّ جَدِيدِ
لَا أَبَالِي مِنْ ضَنْ عَنِي بِوَصْلِ * إِنْ قَضَى اللَّهُ مِنْكَ لِي يَوْمَ جُودِ
وَقَالَ

تَلَقَّى بِتَسْبِيحَةٍ مِنْ حَسَنِ مَا خُلِقَتْ * وَتَسْتَفْزِ حَشَا الرَّائِي بِأَرْعَادِ
كَأَنَّمَا صَوَّرَتْ مِنْ مَاءِ أَوَّلُوَّةٍ * فَكُلَّ جَارِحَةٍ وَجْهٌ بِمِرْصَادِ

وَقَالَ وَهَبْتُ لَهُ عَلَى الْمَسَاوِكِ رَيْقًا * فَطَابَ لَهُ بِطَيْبِ ثَنِيَّتِكَ
أَقْبَلَهُ عَلَى الذِّكْرِى كَأَنِّي * أَقْبَلَ فِيهِ فَكَّ وَمَقْلَتِكَ

وَقَالَ لَا أَسْتَطِيعُ الْهُوَى وَهَجَرْتَهَا * قَلْبِي ضَعِيفٌ وَقَلْبُهَا حَجَرٌ
كَأَنُّ وَجْدِي بِهَا وَقَدْ حَجَبَتْ * فِي الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ وَالْحَشَا سُكْرُ

(١) واء : راعد من الوأى وهى الوعد

وأُشيد له أبو تمام ، وكان يقول ما رأيت شعراً أغزل منه
 زوّدنا يا عبد قبل الفراق * بتلاق وكيف لى بالتلاق
 أنا والله أشتهى سحر عيني * لك وأخشى مصارع العشاق
 أمى من بنى عقيل بن كعب * موضع السلك فى طلا الاعناق
 وقال لقد عشقت أذننى كلاماً سمعته * رخيماً وقلبي للمليحة أعشق
 ولوعا ينموها لم يلو مواعلي البكا * كريماً سقاء الحر بدره محلق
 وكيف تناسى من كان حديثه * باذنى وإن غنيت قرط معلق
 وقال

وقد كنت فى ذاك الشباب الذى مضى * أزارُ ويدعوني الهوى فأزور
 فإن فأتني إلف ظلت كأنما * يدير حياتي فى يديه مدير
 ومرتجة الأرداف مهضومة الحشا * تمور بسحر عينها وتدور
 إذا نظرت صبت عليك صباية * وكادت قلوب العالمين تطير
 خلوت بها لا يخلص الماء بيننا * الى الصبح دونى حاجب وستور
 ومن هذا أخذ على بن الجهم قوله

صلىنى وحبل الوصل لم يتشعب * ولا تهجرى أفديك بالأم والأب
 رعى الله دهرأ ضمنا بعد فرقة * وأدنى فوداً من فؤاد معذب
 عناقا وضماً والتزاماً كأنما * يرى جسداًنا جسم روح مركب
 فبتنا وإنما لو تراق زجاجة * من الحر فيما بيننا لم تسرب
 شعره فى هذا المعنى كثير

رأيد فى شعره

وروى انه قال: أنا أشعر الناس ، لأننى اتنى عشر ألف قصيدة ، فلو اختير
 من كل قصيدة بيت لاستندر ، ومن ندرت له اثنا عشر ألف بيت فهو أشعر
 الناس ، وقد نثرت نظمه فى أضعاف الكتاب استدعاءً لنشاط القارىء وكرهه

في املاله - وكان بشار أرق المحدثين ديباجة كلام ، وسمى أبا المحدثين لانه فتق
لهم أحكام المعاني ، ونهج لهم سبيل البديع ، فاتبعوه ، وكان ابن الرومي يقدمه
ويزعم انه أشعر من تقدم وتأخر ، وهو يتعلق في شعره بولاء عقيل بن كعب بن ربيعة
ابن عامر بن صعصعة ، ويفنخر بالمضرية ، قال له المهدي فيمن تعزى ؟ قال : أما
اللسان فعربي ، وأما الاصل فكما قلت في شعري ، قال وما قلت ؟ فأنشده

ونبتت قوما لهم إحنة * يقولون من ذا وكنت العلم
ألا أيها السائل جاهلاً * ليعرفني أنا إلف الكرم
نمت في المكارم بي عامر * فروعى وأصلى قريش العجم
واني لأغنى مقام الفتى * وأصبي الفتاة فلا تعصم

البيت الاول من هذه الابيات ينظر الى قول جميل
إذا ما رأوني طالماً من ثنية * يقولون من هذا وقد عرفوني
وفي هذه القصيدة يقول بشار

وبيضاء يضحك ماء الشبا * بفي وجهالك إذ تبتسم
رواء العذارى اذا زرنها * أطفن بحوراء مثل الضم
يرحن فيمسحن أركانها * كما يمسح الحجر المستلم
أصفراء ليس الفتى صخرة * ولكنه أنصب هم وغم
صبت هواك على قلبه * فضاقت وأعلن ما قد كنتم

ويقال انه مولى لام الأطباء السدوسية ولذلك قال أبو حذيفة واصل بن عطاء
الغزالي رئيس المعتزلة لما هجاه بشار : أما لهذا الاعى الملحد المشنف المكتنى بأبي
معاذ من يقتله ؟ والله لولا أن الغيلة من سجايا الغالية ، لبعثت اليه من يبيع بطنه
في جوف منزله ، ولا يكون الا سدوسياً ، أو عقيلياً

وأصل بن عطاء

وكان أصل بن عطاء أحد أعاجيب الدنيا: لأنه كان أثلج في الرأي ، فأسقطها من جميع كلامه وخطبه ، إذ كان امام مذهب ، وداعى نحلة ، وكان محتاجا الى جودة البيان ، وفصاحة اللسان ، قال الجاحظ : فأنظر كثرة تردد الرأي في هذا الكلام وكيف أسقطها ؟ قال الاعمى ولم يقل الضرير ، قال الملحد ولم يقل الكافر ، وقال المشنف ولم يقل المرعث ، وقال المكتنى بأبي معاذ ولم يقل بشاراً ولا ابن برد ، وقال الغالية ولم يقل المغيرية ، ولا المنصورية ، وهم الذين أراد ، وقال لبعثت ولم يقل لأرسلت ، وقال يبعج ولم يقل يبقر ، وقال في جوف منزله ولم يقل في داره ، وأراد بذكر عقيل وسدوس ما ذكر من اعتزائه اليهم

دين بشار

وزعم الجاحظ أن بشارا كان يدين بالرجعة ، ويكفر جميع الأمة ، وأنشده أشعاراً صوّب بها رأى ابليس في تقديم النار على الطين ، منها قوله
الارض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار
وقال داود بن رزين أتينا بشارا فاذن لنا والمائدة بين يديه ، فلم يدعنا الى الطعام ، ثم جلسنا فحضر الظهر والعصر والمغرب فلم يصل ، ودعا بطست فبال بحضرتنا فقلنا له أنت أستاذنا ، وقد رأينا منك أشياء أنكروناها ، قال ما هي ؟ قلنا دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا ، قال انما أذنت لتأكلوا ، ولولم نرد ذلك لم نأذن لكم ، قلنا له ودعوت بالطست ونحن حضور ، قال أنا مكفوف وأنتم مأمورون بغض الابصار دوني ، قلنا وحضرت الصلاة فلم تصل ، قال الذي يقبلها تفارق يقبلها جملة ! هذا وهو القائل

كيف يبكي لمحبس في طول * من سيفضى لمحبس يوم طويل

إن في البعث والحساب لشغلاً * عن وقوف برسم دار محيل
وقل

ذكرت بها عيشاً فقلت لصاحبي * كأن لم يكن ما كان حين يزول
وما حاجتي لو ساعد الدهر بلمني * كماب عليها أوأؤ وشكول
بدا لي أن الدهر يقدر في الصفا * وأن بقائي إن حييت قليل
فغش خائفاً للموت أو غير خائف * على كل نفس للحمام دليل
خليلك ما قدمت من عمل التقى * وليس لأيام المنون خليل

سجعة ورجز

وكان بشار حاضر الجواب ، سجّاعاً خطيباً ، صاحب منشور ومزدوج ،
ورجز ، ورسائل مختارة على كثير من الكلام ، ودخل على عقبة بن مسلم بن
قتيبة فأنشده مديحاً وعنده عقبة بن ربيعة فأنشده أرجوزة ثم أقبل على بشار فقال :
هذا طراز لا تحسنه يا أبا معاذ ! فقال والله لأننا أرجز منك ، ومن أبيك ، ثم غدا
على عقبة من الغد فأنشده أرجوزته

ياطلل الحى بذات الصمد * بالله خبر كيف كنت بعدى
يقول فيها

صدت بخد وجلت عن خد * ثم انثنت كالنفس المرتد
وصاحب كالدمل الممد * حملته في رقعة من جلدي
حتى اغتدى غير فقيد الفقير * وما درى ما رغبتى من زهدى

وهذا كقول الآخر

يودّون لو خاطوا عليك جلودهم * ولا يدفع الموت النفوس الشائح
وفيها يقول

الحر يلحى والعصى للعبد * وليس للملحف مثل الرد

اسلم وحييت أبا المَلَد * مفتاح باب الحدث المنسد
والبس طرازي غير مسترد * لله أيامك في معدّ

وهي طويلة ، فأجزل صلته ، فلما سمع ابن رؤبة ما فيها من الغريب قال :
أنا وأبي وجدى فتحنا الغريب للناس ، وإنى خلّيق أن أسده عليهم ، فقال بشار
ارحمهم رحمك الله ! قال تستخف بي ، وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟ قال اذا
أنت من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ! فضحك كل
من حضر

طرفه ونوادره

ودخل على المهدي وعنده خاله يزيد بن منصور الحميري فأشده قصيدة فلما
أنما قال له يزيد ما صناعتك يا شيخ ؟ قال أنقب اللؤلؤ فقال له المهدي : أتهمزأ
بخالي ؟ فقال يا أمير المؤمنين فما يكون جوابي لمن يرى شيخاً أعشى ينشد شعراً
فيسأله عن صناعته ؟ وقال جوارى المهدي المهدي : لو أدنت لبشار يدخل الينا
يؤانسنا وينشدنا فهو محجوب البصر ، لا غيرة عليك منه ، وأمره فدخل اليهن
واستظرفنه ، وقلن له : وددنا والله يا أبا عازانك أبونا حتى لا نفارقك ، قال ونحن
على دين كسرى ! فأمر المهدي أن لا يدخل عليهن . وكان المتنبي نظر الى هذا فقال
يا أخت معتنق الفوارس في الوغى * لأخوك ثم أرق منك وأرحم
يرنو اليك مع العفاف وعنده * أن المجوس تصيب فيما تحكم

كلمات مأثورة

قال علي بن عبيدة الريحاني : المودة تعاطف القلوب ، وائتلاف الأرواح ،
وحنين النفوس الى مثابة السرائر ، والاسترواح بالمستكنات في الغرائز ، ووحشة
الاشخاص عند تباين اللقاء وظاهر السرور بكثرة التزوار ، وعلى حسب مشاكلة

الجواهر يكون اتفاق الخصال . وقال : العتاب حدائق المتحايين ، وثمار الأوداء ، ودليل الظن ، وحركات الشوق ، وراحة الواجد ، ولسان المشفق (قال بعض الكتاب) العتاب علامة الوفاء ، وخاصة الجفاء ، وسلاح الإكفاء (وقال علي ابن عبيدة) التجنى رسول القطيعة ، وداعى القلى ، وسبب السلو ، وأول التجافى ومنزل التهاجر . وقال : الصدق ربع القلب ، وزكاة الخلق ، وثمره المروءة ، وشعاع الضمير ، وعن جلالة القدر عبارته ، وإلى اعتدال وزن العقل ينسب صاحبه ، وشهادته قاطعة في الاختلاف ، وإليه ترجع الحكومات ، وقال : الكذب شعار الخيانة ، وتحريف العلم ، وخواطر الزور ، وتسويل أضغاث النفس ، واعوجاج التركيب ، واختلاف البنية ، وعن خمول الذكر ما يكون صاحبه — وعلى بن عبيدة كثير الاغارة ، على ما كان غيره قد استثاره

ذم الكذب

فقر في الكذب لغير واحد — بعض الفلاسفة : الكذاب والميت سواء ، لان فضيلة الحى النطق ، فاذا لم يوثق بكلامه ، فقد بطلت حياته . الحسن بن سهل : الكذاب اص ، لان اللص يسرق مالك ، والكذاب يسرق عقلك ، ولا تأمن من كذابك أن يكذب عليك ، ومن اغتاب غيرك عندك فلا تأمن أن يغتابك عند غيرك . قال ابراهيم بن العباس في هذا النحو

لئن متى أحقد بحجة لك لا أضرب به سواكا
ومتى أطعتك فى أخذ * يك أطعت فيك غداً أخاكا
حتى أرى متقسماً * يومى لذا وغدا لذاكا

حسب الكاذب بعقله سقماً وبقلبه خصماً — ابن المعتز : علامة الكذاب جوده

باليمن لغير مستحلف ، وقال

وفى اليمن على ما أنت فاعله * ما دل انك فى الميعاد منهم

وقال: اجتنب مصاحبة الكذاب ، فان اضطرت اليه فلا تصدقه ، ولا تعلمه
نك تكذبه ، فينتقل عن وده ، ولا ينتقل عن طبعه — يعترى حديث الكذاب
من الاختلاف ، مالا يعترى الجبان من الارتعاد عند الحرب — لا تصح للكذاب
رؤيا لانه يخبر عن نفسه في اليقظة بما لم ير ، قتره في النوم مالا يكون. وأنشد

لا يكذب المرء إلا من مهاتمه * أو عاده السوء أو من قلة الادب

(ولأهل العصر) فلان منغمس في عيبه ، يكذب لذيله على جيبه ، يقول
بهتاً وزوراً بحتاً ، قد ملأ قلبه دينا ، وقوله مينا ، يدين بالكذب مذهبا ،
ويستثير الزور مركباً ، أقويل يتمشى الزور في مناكبها ، ويبرز البهتان في مذاهبها
وقال اعرابي لابنه وسمعه يكذب : يا بني عجبت من الكذاب المشيد بكذبه
وانما يدل على عيبه ، ويتعرض للعقاب من ربه ، فالآنم له عادة ، والأخبار عنه
متضادة ، إن قال حقاً لم يصدق ، وإن أراد خيراً لم يوفق ، فهو الجاني على نفسه
بفعاله ، والدال على فضيحته بمقاله ، فما صح من صدقه نسب الى غيره ، وما صح
من كذب غيره نسب اليه ، فهو كما قال الشاعر

حَسْبُ الكذوب من المها نة بعض ما يحكى عليه
ما إن سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

حزم الحسن بن سهل

كتب الحسن بن سهل إلى المأمون بعد أن زفت اليه بوران وتوهم القواد
أن هذا التزويج قد أسى الحسن حاله قبل ذلك : قد تولى أمير المؤمنين من
أعظم عبده في قبول أمته ، شيئاً لا يتسع له الشكر عنه إلا بمعونة أمير المؤمنين
أدام الله عزه في اخراج توقيعه بتزيين حالي في العامة والخاصة ، بما يراه فيه
صواباً إن شاء الله. فخرج التوقيع: الحسن بن سهل زمام على ما جمع أمور الخاصة ،
وكشف أسباب العامة ، وأحاط بالنفقات ، ونفذ بالولاة ، واليه الخراج والبريد
واختيار القضاة ، جزاء بمعرفته بالحال التي قربته منا ، وانا به لشكره إيانا على ما أولينا

خطب النكاح

قال يحيى بن أكرم أراد المأمون أن يزوج ابنته من الرضى فقال يحيى
بكم فأجللته أن أقول أنكحت، فقلت يا أمير المؤمنين أنت الحاكم الأكبر ،
والامام الاعظم ، وأنت أولى بالكلام ، فقال : الحمد لله الذى تصاغر الامور
بمشيئته ، ولا إله إلا هو إقراراً بربوبيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره .

أما بعد فان الله قد جعل النكاح ديناً ، ورضيه حكماً ، وأنزله وحياً ، ليكون
سبب المناسبة ، ألا وإنى قد زوجت ابنة المأمون من على بن موسى ، وأمهرتها
أربعمائة درهم ، اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهاء إلى ما درج
اليه السلف ، والحمد لله رب العالمين . قال الاصمعي : كانوا يستحبون من الخطاب
الى الرجل حرمة الإطالة ، لتدل على الرغبة ، ومن الخطوب اليه الإيجاز ، ليدل
على الاجابة — وخطب رجل من بنى أمية الى عمر بن عبد العزيز أخته فأطال
فقال عمر : الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء .

أما بعد فان الرغبة منك دعتك إلينا ، والرغبة منا فيك أجابت ، وقد زوجناك
على كتاب الله : إمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان — وخطب رجل إلى قوم
فأتى بمن يخطب له فاستفتح بحمد الله وأطال وصلى على النبي عليه السلام وأطال
ثم ذكر البدء وخلق السموات والأرض ، واقتصر ذكر القرون حتى ضجر من
حضر ، والتفت الى الخطاب فقال : ما اسمك أعزك الله ؟ فقال والله قد أنسيت
اسمى من طول خطبتك ، وهى طالق ان تزوجتها بهذه الخطبة ، فضحك القوم ،
وعقدوا فى مجلس آخر

الكتاب والقلم

وقال ابن المعتز : الكتاب والجال باب ، جرى على الحجاب ، مفهم لا يفهم ، وناطق لا يتكلم ، به يشخص المشتاق ، إذا أقعده الفراق ، والقلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم الارادة ، ولا يمل الاستزادة ، ويسكت واقفا ، وينطق سائرا ، على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضيء ، وكأنه يقبل بساط سلطان ، أو يفتح نوار بستان . وهذا كقوله في القاسم بن عبيد الله قال الصولي لما عرض القاسم بن عبيد الله ليخلف أباه قال ابن المعتز

قلم ما أراد أم فلك بجرى * بما شاء قاسم ويسير
خاشع في يديه يلتم قرطا * سا كما قبل البساط شكور
واظيف المعنى جليل نحيف * وكبير الأفعال وهو صغير
كم منايوكم عطايا وكم حنف * وعيش تضم تلك السطور
نقشت بالدجا نهارا فما أد * رى أخط فيهن أم تصوير
هكذا من أبوه مثل عبيد الله ينمى الى العلى وبصير
عظمت منه الاله عليه * فهناك الوزير وهو الوزير

وقال بعض البلغاء : صورة الخط في الأبصار سواد ، وفي البصائر بياض .

وقال أبو الطيب المتنبي

دعاني اليك العلم والحلم والحجى * وهذا الكلام النظم والنائل النثر
وما قلت من شعر تكاد بيوته * إذا كتبت ببيض من نورها الحبر

وقال ابن المعتز في عبيد الله بن سليمان بن وهب

علم بأعقاب الأمور كأنه * بمختلسات الظن يسمع أو يرى
إذا أخذ القرطاس خلت يمينه * يفتح نوراً أو ينظم جوهرها

فاخر صاحب سيف صاحب قلم ، فقال صاحب القلم : أنا أقتل بلا غرر ،
وأنت تقتل على خطر . فقال صاحب السيف : القلم خادم السيف ، إن تم مراده ،
والألم إلى السيف معاده ، أما سمعت قول أبي تمام

السيف أصدق أنباء من الكتب * في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب
بيض الصفائح لاسود الصفائح في * متونهن جلاء الشك والريب
وقال أبو الطيب

مازات أضحك إبلى كما نظرت * إلى من اختضبت أخفافها بدم
اسيرها بين أصنام أشاهدها * ولا أشاهد فيها عفة الصنم
حتى رجعت وأقلامي قوائلى * الحمد للسيف ليس الحمد للقلم
اكتب بنا أبداً بعد الكتاب به * فانما نحن للأسياف كالخدم
هذا مقلوب من قول علي بن العباس النوبختي وقد رواه أبو القاسم الزجاجي
لابن الرومي ، وانما وهم لاتفاق الاسمين

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم
فال موت والموت لاشيء يغالبه * ما زال يتبع ما يجري به القلم
بذا قضى الله للأقلام منذ برئت * إن السيوف لها منذ أرهفت خدم

وقال ابن الرومي

لعمرك ما السيف سيف الكمي * بأخوف من قلم الكاتب
له شاهد ان تأملته * ظهرت على سرّه الغائب
أداة المنية في جانبيه * فمن مثله رهبة الراهب
سنان المنية في جانب * وحدث المنية في جانب
ألم تر في صدره كالسنان * وفي الردف كالمرفق القاضب

وقال أبو الفتح البستي

إذا أقسم الابطال يوماً بسيفهم * وعدوه مما يكسب المجد والكرم

كنى قلم الكتاب مجداً ورفعةً * مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم
وقد قيل : صرير الأقلام ، أشد من صليل الحسام . قال الصولي أنشدني طلحة بن
عبيد الله

وإذا أمرٌ على المهارق كفه * بأنامل يحملن شخناً مرهفاً
متقاصراً متطاولاً ومفصلاً * وموصلاً ومشتتاً ومؤافاً
ترك العداة رواجفاً أحشاؤها * وقلاعها قلعاً هنالك رجفاً
كالخية الرقشاء إلا أنه * يستنزل الأروى إليه تلطفاً
يرمى به قلعاً يمجّ لعبه * فيعود سيفاً صارماً ومثقفاً

وقال محمود بن أحمد الاصبهاني

أخرسٌ ينبيك بإطراقه * عن كل ما شئت من الأمرِ
يذرى على قرطاسه دمةً * يبدى بها السر وما يدرى
كعاشقٍ أخفى هواه وقد * نمت عليه عبرةً تجري
تبصره في كل أحواله * عريان يكسو الناس أو يعرى
يرى أسيراً في دواةٍ وقد * أطلق أقواماً من الأسرِ
أخرق لولم تبره لم يكن * يرشق أقواماً وما يبرى
كالبحر إذ يجرى وكالليل إذ * يغشى وكالصارم إذ يفرى

وقال أحمد بن جرار

أهيفٌ ممشوقٌ بتحريكه * يحل عقد السر إعلانُ
له لسانٌ مرهفٌ حده * من ربة الكرسف ريانُ
ترى بسيط الفكر في نظمه * شخصاً له حد وجثمانُ
كأنما يسحب في إثره * ذبلاً من الحكمة سحبانُ
لولاه مانار منار الهدى * ولا سما للملك ديوانُ

ومن أجود ما قيل في صفة القلم قول أبي تمام لمحمد بن عبد الملك الزيت
لك القلم الأعلى الذي يشبّهه * أصاب من الأمر الكلى والمفاصل
له ريقه طالّ ولكن وقعها * بآثاره في الشرق والغرب وابل
أعاب الأفاعى القاتلات لعابه * وأزى الجنى اشتارته أيدٍ عوامل
له الخلوات اللاتى لولا نجيها * لما اختلفت للملك تلك المحافل
وقال الأمير نجم بن المعز

وذى عجب من طول صبرى على الذى * ألقى من الأرزاء وهو جليل
يقولون ما تشكو؟ فقلت متى شكا * شبا السيف غضب الشفرتين صقيل
وان امرأ يشكو الى غير نفع * ويسخو بما فى نفسه لجهول
عدائى أن أشكو الى الناس إننى * عليل ومن أشكو اليه عليل
ويعنى الشكوى الى الله علمه * بجملة ما ألقاه قبل أقول
سأست صبرا واحتسابا فأنى * أرى الصبر سيفا ليس فيه فلول
وقال

يادهر ما أقسبك من متلون * فى حالتك وما أقلك منصف
أنروح للنكس الجهول ممهدا * وعلى اللبيب الحرسىفا مرهفا
واذا صفوت كدرت شيمة باخل * واذا وفيت نقضت أسباب الوفا
لا أراضيك وان كرمت لائى * أدري بأنك لاندوم على الصفا
زمن إذا أعطى استرد عطاءه * واذا استقام بدا له فتحرفا
ماقم خبرك يازمان بشره * أولى بنا ماقل منك وما كفى

أحمد بن يوسف

وكان أحمد بن يوسف منصرفاً عن غسان بن عباد ، وجرت بينهما هتات بحضرة المأمون ، فقال يوماً بحضرة خاصة أصحابه : أخبروني عن غسان بن عباد فإني أريده لأمر جسيم ، وكان قد عزم على تقليده السند مكان بشر بن داود ، فتكلم كل فريق بما عنده في مدحه ، فقال أحمد بن يوسف : هو يا أمير المؤمنين رجل محاسنه أكثر من مساويه ، لا يتطرف به أمر إلا تقدم فيه ، ومهما نخوف عليه فإنه لن يأتي أمراً يعتذر منه ، لأنه قسم أيامه بين أفعال الفضل : فجعل لكل خلق نوبة ، إذا نظرت في أمره لم تدبر أي حالته أعجب ، أما هدايه إليه عقله أم ما اكتسبه بأدبه ، فقال له المأمون : لقد مدحته على سوء رأيك فيه ، قال لأنني في أمير المؤمنين كما قال الشاعر

كفى ثمنا لما أسديت أنى * نصحتك في الصديق وفي عدائي
واني حين تندبني لأمر * يكون هواك أغلب من هواي
قال الصولي وقد روى هذا لغير أحمد وأمل أحمد استعاره ، فأعجب المأمون ذلك منه وشكره غسان بن عباد له ، وتأكدت الحال بينهما

وكان أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن لجيم على الطبقة في البلاغة ، ولم يكن في زمانه أكتب منه ، وله شعر جيد مرتفع عن أشعار الكتاب .
ووزر المأمون بعد أحمد بن أبي خالد ، وكان أول ما ارتفع به أحمد أن الخلع محمد بن الرشيد لما قتل أمر طاهر بن الحسين الكتاب أن يكتبوا إلى المأمون فأطالوا ، فقل طاهر أريد أخصر من هذا ، فوصف له أحمد بن يوسف وموضعه من البلاغة ، فأحضره لذلك ، فكتب له أما بعد فإن كان الخلع قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة ، فقد فرق بينهما حكم الكتاب في الولاية والخدمة ، بمفارقة

عصمة الدين ، وخروجه عن الأمر الجامع للمسلمين ، لقول الله عز وجل فيما اقتص من نبال نوح وابنه (انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح) ولا طاعة لأحد في معصية الله ، ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله ، وكتابي إلى أمير المؤمنين وقد أنجز الله له ما كان ينتظر من سابق وعده ، والحمد لله الراجح إلى أمير المؤمنين معلوم حقه ، الكائد له فيمن ختر عهده ، ونقض عقده ، حتى رد به الألفة بعد فرقها ، وجمع به الامة بعد شتائها ، وأضاء به أعلام الدين بعد دروسها ، وقد بعثت اليك بالدنيا وهي رأس الخلع ، وبالأخرة وهي البردة والقضيب ، والحمد لله الآخذ لأمر المؤمنين حقه ، الراجح إليه تراث آبائه الراشدين

وكان أحمد ابن أبي خالد كثيراً ما يصف أحمد للمؤمنون ويحثه عليه فأمره المأمون باحضارده فلما وقف بين يديه قال : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي استخضك فيما استحفظك من دينه ، وقلدك من خلافته ، بسوابغ نعمه ، وفضائل قسميه ، وعرفك من تيسير كل عسير حاولك عليه متمرد ، حتى ذل لك ، ما جعله تكملة لما حباك به من موارد أموره بنجح مصادرها ، حداً نامياً زائداً لا ينقطع أولاده ، ولا ينقضي أخراجه ، وأنا أسأل الله يا أمير المؤمنين من أتمام بلائه لديك ، ومننه عليك ، وكفايته ما ولاك واسترعاك ، ونحسين ما حاز لك ، والتمكين من بلاد عدوك ، ما يمتع به بيضة الاسلام ، ويمز بك أهله ، ويبيع بك حتى اشرك ، ويجمع لك متباين الألفة ، وينجز بك في أهل العناد والضلالة وعده ، انه سميع الدعاء ، فتال لما يشاء . فقال المأمون أحسنت ، بورك عليك ناطقاً وساكناً ، ثم قال بعد أن بلاه واختبره : يا عجباً لأحمد بن يوسف كيف استطاع أن يكتم نفسه ! *

وكتب الى المأمون يستجدي لزوار على بابيه : ان داعي نداك ، ومنادي جدواك ، جمعاً ببابك الوفود ، يرجون نائلك العتيق ، فمنهم من يمت بحجرة ، ومنهم من يدلى بسالف خدمة ، وقد أجحف بهم المقام ، فان رأى أمير المؤمنين أن ينعمهم بسببه ، ويحقق ظنهم بطوله ، فعل ، فوقع المأمون في عرض كتابه :

الخير متبع وأموال الملوك مظان لطلاب الحاجات ، فاكتب أسماءهم وبين
مرتبة كل واحد منهم ليصير اليه على قدر استحقاقه . ولا تكبرن معروفنا بالمطل
والحجاب ، فقد قال الشاعر

فانك لن ترى طرداً حرّاً * كالصاق به طرف الهوان

ولم تجلب مودة ذى وفاء * بمثل الود أو بذل اللسان

قال أحمد بن يوسف أمرني المأمون أن أكتب في زيادة قناديل شهر رمضان
قأعيا على ولم أجد مثالا أحتذى عليه ، فبت مغموماً فأنا في آت في النوم فقال
أكتب : فان فيها اضاءة المتهجدين ، ونفيا لمسكان الريب ، وأنسا للسائلة ،
وتنزيهاً لبيوت الله من وحشة الظلم ، فأخبرت بذلك المأمون فاستظرفه ، وأمر
أن تمضى الكتب عليه

وأهدى إلى المأمون في يوم نوروز طبق جزع عليه ميل من ذهب فيه
اسمه منقوش ، وكتب اليه : هذا يوم جرت فيه العادة ، بإطاف العبيد السادة ،
وقد بعثت إلى أمير المؤمنين طبق جزع فيه ميل . فلما قرأ المأمون الرقعة قال أجبأت
هدية أحمد ابن يوسف ؟ قالوا نعم . قال هي في داري أم داري فيها ، فلما رفع المنديل
استظرف الهدية واسترجح مهديها . وأهدى إلى ابراهيم بن المهدي هدية وكتب
اليه : الثقة بك قد سهلت السبيل اليك ، فأهديت هدية من لا يحتشم ، إلى من لا يفتنم .
وكتب إلى بنى سعيد بن سلم : لولا أن الله عز وجل ختم نبوته بمحمد صلى الله عليه
وسلم وكتبه بالقرآن ، أنزل فيكم نبي نعمة ، وأنزل فيكم قرآن غدر ، وما عسيت أن
أقول في قوم محاسنهم مساوى السفلى ، ومساويهم فضائح الأمم ، وألسنتهم معقولة
بالعى ، وأيديهم معقودة بالبخل ، وهم كما قال الشاعر

لا يكبرون وإن طالت حياتهم * ولا تبديد مخازيهم وإن بادوا

ذم المغنين

وغنى مغن بحضرة أحمد بن يوسف ولم يكن محسناً فلم ينصتوا له ، وتحدثوا مع غنائه ، فغضب المغنى ، فقال أحمد بن يوسف : أنت عافك الله تحمّل الاسماع نقلاً ، والقلوب مللاً ، والأعين قباحة ، والأنف تنانة ، ثم تقول اسمعوا منى ، وانصتوا إلى ! هذا اذا كانت أفهامنا مقفلة ، وأذاننا صدئة ، فأما رضىت بالعفو منا ، والا قت مذموماً عنا (١)

الفاظ لأهل العصر في ذم المغنين - يترنم فيتمعب ولا يطرب ، اذا غنى غنى واذا أدى أدى ، يميت الطرب ، ويحيى الكرب ، ضربه يوجب ضربه ، من عجائب غنائه انه يورد الشتاء في الصيف ، مارؤى قط في دار مرتين . وحضر جحظة مجلساً فيه على بن بسام فتمفرق القوم المحادّ ، فقال جحظة فمالى لم تعطونى مخدّة ؟ فقال على بن بسام غنّ فالحاد كلها اليك تصير ! وفيه يقول ابن بسام

يامن هجواناه فغننا * أنت وبيت الله أهجانا

سيان ان غنى لنا جحظة * أو مر مجنون فغننا

وكان خالد يستبرد ، فبعث بعض الظرفاء غلاماً يشتري له خمسة أرطال بلحاً فأناه بخالد وقال : يا مولاي طلبت خمسة أرطال ، وهذا حمل ! وأغنى بحضرة محموم فقال : ويحك دعنا نغرق ! وقال بعض الحداث في قريش المغنى

ألا فاسقنى قدحاً وافرأ * يعين على البلغم الهائج

أكلنا قريسا وغنى قريس * فنحن على شرف الفالج

ولقى أبو العباس المبرد برد الخيار المغنى في يوم نلج بالجر ، فقال أنت المبرد وأنا برد الخيار ، واليوم كما ترى ، اعبر بنا ليهلك الناس بالفالج بسببنا . وقال ابن عباد الصاحب في مغن يعرف بابن عذاب

أقول قولاً بلا احتشام * يعقله كل من يعيه

ابن عذاب اذا تغنى * فأنى منه فى أبيه

شعر أحمد بن يوسف

ومن شعر أحمد بن يوسف

ضمير وجد بقلب صب * ترجم دمعى به فشاعا
فصار دمعى لسان وجدى * ضيّع سرى به فذاعا
لولا دموعى وفرط حبي * ما كان سرى كذا مضاعا

وقال وعامل بالفجور يأمر بالبر * كهاد يخوض فى الظلم
أو كطبيب قد شفه سقم * وهو يداوى من ذلك السقم
يا واعظ الناس غير متعظ * ثوبك طهر أولا فلا تلم

وقال اذا ما التقينا والعيون نواظر * فالسننا حرب وأبصارنا سلم

وقال فى الحزن

كنير هموم القلب حتى كأنما * عليه سرور العالمين حرام
اذا قيل ما أضناك أسبل دمعهُ * فأخبر ما يلقى وليس كلام
وقال

كريم له نفس يلين بلينها * ايردع عن سلطانه سنن الكبر
اذا ذكّرته نفسه عظم قدرها * دعاه الى تسكينها عظم القدر

ووقع فى كتاب رجل يحثه على استئثار صنائعه عنده: مستثم الصنعة من عدل
زيها ، وأقام أودها ، صيانةً لمعروفه ، وانصرة لرأيه ، فان أول المعروف مستخف
وأخره مستثقل ، يكاد أول الصنعة يكون للهوى ، وآخرها للرأى ، ولذلك قيل:
رَبُّ الصَّنِيعَةِ أَشَدُّ مِنْ ابْتِدَائِهَا ^(١)

أصدقاء أبي العتاهية

وكان أبو العتاهية له صديق قبل ارتفاع حاله فأحس منه في حين وزارته
تغيراً فكتب إليه

أمنت إذ استغنيت من سورة الفقر * فصرت ترى الإخوان بالنظر الشرير
أبا جعفر إن الشريف بينه * تنابه دون الاخلاء بالوفر
فان تهت يوماً بالذي نلت من غنى * فان غنائى بالتجمل والصبر
ألم تر ان الفقر يرجى له الغنى * وان الغنى يخشى عليه من الفقر
وروى أبو بكر يموت بن المزرع عن خاله الجاحظ قال : حجب أحمد بن
يوسف أبا العتاهية ثم عاد فقيل هو نائم فكتب إليه

لئن عدت بعد اليوم انى لظالم * سأصرف وجهى حيث تُبغى المكارم
متى يظفر الغادى اليك بحاجة * ونصفك محجوب ونصفك نائم
وقال في عداد الموفى وفي ساكنى الدن * يا أبو جعفر أخى وخليلى
ميت مات وهو فى ورق العيد * ش مقيماً فى ظل عيش ظليل
لم يمِت مِيتة الوفاة ولكن * مات عن كل صالح وجميل

أحمد بن يوسف والمأمون

وخاصم أحمد بن يوسف رجلاً بين يدى المأمون وكان صفا المأمون إليه
على أحمد ففطن لذلك فقال : يا أمير المؤمنين انه يستملى من عينيك ما يلقانى به ،
ويستبين بحركته ما تجننه له ، وبلوغ ارادتك أحب الى من بلوغ أملى ، ولذة
اجابتك أمتع عندي من لذة ظفري ، وقد تركت له ما نازعنى فيه ، وسلمت له
ما طالبنى به ، فاستحسن ذلك المأمون. ومن كلام أحمد بن يوسف (مجالسة البغضاء
تثير الهموم ، وتجلب الغموم ، وتؤلم القلب ، وتقدح فى النشاط ، وتطوى الانبساط)

صفات الثقلاء

(ألقاظ لأهل العصر في صفات الثقلاء) فلان ثقل الطلعة ، بغيض التفصيل والجملة ، بارد السكون والحركة ، قد خرج عن حد الاعتدال ، وذهب من ذات العين الى ذات الشمال ، يحكى ثقل الحديث المعاد ، ويمشى في القلوب والا كباد ، ولا أدري كيف لم تحمل الامانة أرض حملته ، وكيف احتاجت الى الجبال بعد ما أفلته ، كأن وجهه أيام المصائب ، وليالى التوائب ، وكأنما قربته فقد الحبايب ، وسوء العواقب ، وكأنما وصله عدم الحياة ، وموت المفجأة ، وكأنما هجره قوة المنّة ، وريح الجنة ، يا عجبى من جسم كالخيال ، وروح كالجبال ، كأنه ثقل الدّين ، على وجع العين ، هو ثقل السكون ، بغيض الحركة ، كثير الشؤم ، قليل البركة ، هو بين الجفن والعين قذاة ، وبين الأخص والنعل حصاة ، ما هو الا غداة الفراق ، وكتاب الطلاق ، وموت الحبيب ، وطلوع الرقيب ، ما هو إلا أربعماء لا تدور فى صَفَر ، والكابوس فى وقت السحر ، وأثقل من خراج بلا غلّة ، ودواء بلا علة ، وأبغض من مثل غير سائر ، وأجمع للعيوب من بغلة أبى دلامة ، وحمار طيار ، وطيلسان ابن حرب ، وأيرأبى حكيمة ، وأنشد

مشى فدعا من ثقله الحوت ربه * وقال الهى زبدت الارض ثانية

وأنشد: تحمل منه الارض اضعاف ما * يحملة الحوت من الارض (١)

وأنشد: مشتمل بالبغض لا ينتقى * اليه لحظا مقلة الرامق

يظل فى مجلسنا قاعداً * أنقل من واش على عاشق

وقال الحمدونى

سألتك بالله الا صدقت * وعلى بأنك لا تصدق

أتبغض نفسك من ثقلها * والا فأنت اذاً أحق

(١) اشارة الى الخرافة التى تزعم ان الارض يحملها حوت !

وكتب أبو عبد الرحمن العطوى الى بعض اخوانه
 اذا أنت لم ترسل وجئت فلم أصل * ملأت بعذر منك سمع ليذب
 أتيتك مشتاقاً فلم أر حاجباً * ولا صاحباً إلا بوجه قطوب
 كأنى غريم مقتض أو كأنى * طلوع رقيب أو نهوض حبيب
 وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى يستقل جليسا اسمه زنباع ، فقال له رجل
 يوما: ما الزنبعة فى كلام العرب ؟ قال التناقل ، ولذلك سعى جليسا زنباعا

جحظة البرمكى

وقدأكثر الناس فى الثقلأ وأنا أستحسن قول جحظة ، وإن كان غيره قد
 تقدمه فى مثله

يا لفظة النعمى بموت الخليل * يا وقفة التوديع بين الحول
 يا شربة اليارج يا أجرة المنز * ل ياوجه العذول الثقيل
 يا طلعة النعش ويا منزلاً * أقفر من بعد الأنيس الحول
 يا نهضة المحبوب عن غضبة * يا نعمة قد آذنت بالرحيل
 ويا كتاباً جاء من مخلف * للوعد مملوءا بعذر طويل
 يا بسكرة الشكى الى حفرة * مستودع فيها عزيز النكول
 يا وثبة الحافظ مستعجلاً * بصرفه القينات عند الاصيل
 ويا طبيباً قد أتى باكراً * على أخى سقم بقاء البقول
 يا شوكة فى قدم رخصة * ليس الى اخراجها من مبدل
 يا عشرة المجدوم فى رحله * ويا صعود السمر عند المعيل
 يا ردة الحاجب عن قسوة * ونكسة من بعد برء العليل

وجحظة هذا هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن
 برمك ، وقال أبو الحسن على بن محمد بن مقلة الوزير سألت جحظة من لقبه بهذا

اللقب ؟ فقال ابن المعتز لقيني يوماً فقال لي : ما حيوان إن نكسود أتاناً آلة للعراكب البحرية ، فقلت كعلق إذا نكس صار قلعا ، قال أحسنت يا جحظة ، فلزمني هذا اللقب — وكان نائي العيينين جداً ، قبيح الوجه ، ولذلك قال ابن الرومي

نبئت جحظة يستعير جحوظه * من فيل شطرنج ومن سرطان
يارحمي المنادميه نحمّلوا * ألم العيون للذة الآذان
وكان طيب الغناء ، متمد النفس ، حسن المسموع ، إلا أنه كان ثقيل اليد في الضرب ، وكان حلو النادرة ، كثير الحكاية ، صالح الشعر ، ولا تزال تندر له الابيات الجيدة ، وهو القائل

جانبت أطيب لذتي وشرابي * وهجرت بمدك عامداً أصحابي
فاذا كتبت لكي أنزه ناظري * في حسن لفظك لم تجد بجواب
إن كنت تبكر ذاتي وتذلي * ونحول جسدي وامتداد عذابي
فانظر الى بدني الذي موتهه * للناظرين بكثرة الاثواب

وقال واذا جفاني صاحب * لم أستجز ماعشت قطعة
وتركته مثل القبو * رأزورها في كل جمعه
وقال

ضائق على وجود الرأي في نفر • يلتقون بالجحد والكفران إحساني
أقلب الطرف تصعيداً ومنحدرًا * فما أقابل إنساناً بانساني

وقال لقد مات اخواني الصالحون * فمالي صديق ومالي عماد
إذا أقبل الصبح ولّى السرور * وإن أقبل الليل ولّى الرقاد
وقال بهجو رجلا

لا تمدلوني إن هجرت طعامه * خوفاعلى نفسي من المأكول
فمى أكلت قتلتـه من بخله * ومنى قتلـت قتلت بالمقتول

جحظة و خالد الكاتب

ومن حكاياته ما حدثني خالد الكاتب قال : جاءني يوماً رسول إبراهيم بن المهدي فصرّت اليه ، فرأيت رجلاً أسود على فرُش قد غاص فيها ، فاستجلستني وقال أنشدني من شعرك ، فأنشدته

رأت منه عيني منظرين كما رأت * من الشمس والبدر المنير على الأرض
عشيّة حيائي بورد كأنه * خدود أضيفت بعضهم الى بعض
ونازعني كأساً كأن حبابها * دموعي لما صد عن مقلتي غمضي
وراح وفعل الراح في حركاته * كفعل نسيم الريح بالغصن الغض
فزحف حتى صار في ثلثي الفراش ، وقال : يا فتى شهبوا الخدود بالورد ، وأنت
شبهت الورد بالخدود ، زدني فأنشدته

عابت نفسي في هوا * لك فلم أجدها تقبل
وأطعت داعيتها الي * لك فلم أطمع من يعذل
ولا الذي جعل الوج * ولحسن وجهك تمثّل
لا قلت ان الصبر عند * لك من التصابي أجمل

فزحف حتى انحدر عن الفرش ثم قال لي زدني فأنشدته

عش فحبيّك سريعاً قاتلي * والضني ان لم تصلني واصلي
ظفر الحب بقلب دنف * فيك والسقم بجسم ناحل
فهما بين اكنثاب وضني * تركاني كالتضيب الذابل
وبكى العاذل لي من رحمة * فبكائي لبكاه العاذل

فنعر طرباً وقال يا بليق كم معك لنفقتنا ، قال ثمانمائة وخمسون ديناراً ،
قال اقسّمها بيني وبين خالد فدفع إلي نصفها . وأنشد جحظة أو غيره ولم يسم قائله
لا يبعد الله اخواناً لنا سلفوا * أفناهم حدثان الدهر والابد
نقدم كل يوم من بقيننا * ولا يؤوب اليّنا منهم أحد

لطف الجواب

وكان أحمد بن يوسف جالسا بين يدي المأمون فسأل المأمون عن السكّين فناوله أحمد السكّين ، وقد أمسك بنصائبها ، وأشار اليه بالحد ، فنظر اليه المأمون نظر منكرا ، فقال : لعل أمير المؤمنين أنكر على أخذى النصاب ، وأشارت اليه بالحد ، وانما تفاءلت بذلك أن يكون له الحد على أعدائه ، فعجب المأمون من سرعة فطنته ، واطيف جوابه . وقال بعض الكتاب : السكّين مسّ الأقلام يشحذها اذا كُلت ، ويصقلها اذا نبت ، ويطلقها اذا وقفت ، ويلمها اذا شعشت ، وأحسنها ما عرض صدره ، وأرهف حده ، ولم يفضل على القبضة نصابه

سكّين كشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم يرثى سكّينا سُرقت له

ياقاتل الله كتاب الدواوين * ما يستحلّون من أخذ السكاكين
 لقد دهاني لطيفٌ منهم كَحِلٍّ * في ذات حد كحد السيف مسنون
 فأفقرت بعد عمران بموقعها * منها دواة قتي بالكتب مفتون
 نبكى على مديّة أودى الزمان بها * كانت على جائر الأقلام تُعديني
 كانت تقوم أقلامي وتنحنيها * نحتاً وتسخطها برياً قرضيني
 وأضحك الطرس والقرطاس عن حلال * ينوب للعين من نور البساتين
 فان كُشِرت بها سوداء من صحفى * عادت كبعض خدود الخرد العين
 جزع النصاب لطيفات شعائرها * محسنات بأصناف التحاسين
 هيفاء مرهقة بيضاء مذهبة * قال الآله لها سبحانه كوني
 لكن مَقَطَّى أُمسى شامتاً جدلاً * وكان في ذلة منها وفي هُون
 فصين حتى يضاهى في صيانتها * جاهى لصونيه عن لايدائني
 ولست عنها بسالٍ ماجييت ولا * بواجد عوضاً منها يسلمني
 ولو يردُّ فداء ما لجعت به * منها فديناء بالدنيا وبالدين

صفات السكاكين

ألفاظ لأهل العصر في صفات السكاكين — سكين كأن القدر سائقها ،
أو الأجل سابقها ، مرهفة الصدر ، مخطفة الخصر ، يجول عليها فرند العنق ،
ويعوج فيها ماء الجوهر ، كأن المنية توبرق من حدها ، والأجل يلعب من متنها ،
ركبت في نصاب آبنوس ، كأن الحدق نفضت عليه صبغها ، وحب القلوب كسته
لباسها ، أخذها حديدها الناصع بحظ من الروم ، وضرب لها نصابها الخالك بسهم
من الزنج ، فكأنها ليل من تحت نهار ، أو مجمر أبدى سنا ناره ، ذات غرار ماض ،
وذباب قاض ، سكين ذات منسر بازى ، وجوهر هوأى ، ونصاب زنجى ، ان
أرضيت أولت متنا كالدهان ، وان اسخطت أثقت بنباب الافعوان ، سكين
أحسن من التلاق ، وأقطع من الفراق ، تفعل فعل الاعداء ، وتنفع نفع الاصدقاء ،
هى أمضى من القضاء ، وأنفذ من القدر المتاح ، وأقطع من ظبة السيف الحسام
وألمع من البرق فى الغمام ، جمعت حسن المنظر ، وكرم الخبر ، وتمسكت عنان
القلب والبصر ، ولم يحوجها عنق الجوهر إلى إمهاء الحجر

الاسترواح بذكر الصديق

قال محمد بن أنس للقاسم بن صبيح : مازلنا فى سمر نصل فصوله بتشوقك ،
فيذهب ذكرك ملل السامر ، ونعسة الساهر . فقال القاسم : مثلك ذكر صديقه
فأطراه ، واعتذر اليه فأرضاه ، ولو كنتم آذتمونى كنت كأحدكم مسروراً بما به
سررتكم ، مفيضاً فيما فيه أفضنم

شروط المندامة

قال بعض الظرفاء: شرط المندامة قلة الخلاف ، والمعاملة بالانصاف ، والمساحة في الشراب ، والتغافل عن رد الجواب ، وإدمان الرضى ، وإطراح ماضى ، وإسقاط التحيات ، واجتناب اقتراح الأصوات ، وأكل ما حضر ، واحضار ما تيسر ، وستر العيب ، وحفظ الغيب . وقد أحسن أبو عبد الرحمن العطوى في قوله

حقوق الكاس والندمان خمس * فاولها التزيّن بالوقار
وثانيها مسامحة الندامى * فكم حمت السماحة من ذمار
وثالثها وان كنت ابن خير البرية محتدأً ترك الفخار
ورابعها وللندمان حق * سوى حق القرابة والجوار
اذا حدثته فاكس الحديث الذى حدثته ثوب اختصار
فما حث النبيل بمنزل حسن الأغاني والأحاديث القصار
وخامسة يدل بها أخوها * على كرم الطبيعة والنجار
حديث الأمس نلساد جميعاً * فان الذنب فيه للعثار
ومن حكمت كأملك فيه فاحكم * له بإقالة عند العثار

وقال حسان بن ثابت

نولتها الملامة إن ألما * اذا ما كان مقت أولحاه

بساط السلاف

وشرب الزيدى عند المأمون فلما أخذت منه الكاس أقبل يعتز عليه
بتعليمه إياه ، وأساء مخاطبته ، فلما أفاق من سكره عرف ماجرى ، فلبس أكفانه
ووقف بين يدي المأمون فأنشده

أنا المذنب الخطيء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو
نملت فأبديت مني الكاس بعض ما * كرهت وما إن يستوى السكر والصحو
ولا سيما إن كنت عند خليفة * وفي مجلس ما إن يجوز به اللغو
فإن تعف عني ألف خطوى واسعاً * والا يكن عفو فقد قصر الخطو
فقال المأمون: لا تريب عليك ، فالنبيذ بساط يطوى بما عليه . وشرب كوران
المغنى عند الشريف الرضى ، فافتقد رداءه وزعم أنه سرق . فقال له الشريف : ويحك
من تهم ؟ أما علمت أن النبيذ بساط يطوى بما عليه ؟ قال انشروا هذا البساط حتى
أخذ ردائي وأطووه الى يوم القيامة ! وكان أبو جعفر أحمد بن جدار كاتب العباس
ابن أحمد بن طولون ينقل أخبار أبي حفص عمر بن أيوب كاتب أحمد بن طولون
على الشراب الى العباس ، فصار اليه أبو حفص فقال يا أبا جعفر انما مجلس المدام
مجلس حرمة ، وداعية أنس ، ومسرح لبانة ، ومزاد هم ، ومرتع لهو ، ومعهد
سرور ، وانما توسطته عند من لا يُنهم غيبه ، ولا يُخشى عتبه ، وقد اتصل بي
ما تنبيه الى أميرنا أبي الفضل أعز الله أمره ، من أخبار مجالستي ، فلا تفعل ، وأنشده

ولقد قلت للأخلاء يوماً * قول ساع بالنصح لو سمعوه

انما مجلس المدام بساط * للمودات بينهم وضعوه

فاذا ما انتهوا الى ما أرادوا * من نعيم ولذة رفعوه

وهم أحريه إن كان منهم * حافظ ما أتوه أن يمنعوه

فاعتذر ابن جدار وحلف ما فعل ، وقام من مجلسه . وأنشد أبو حفص

كم من أخ أوجست منه سجية * فأنست بعد وداده بفراقه

لم أحمد الأليم منه خليقة * فتركته مستمتعاً بخلاقه

عول أبو حفص في أكثر كلامه على نقل كلام أبي العباس الناشئ في الشراب ،

والايات التي أنشد أولاه — أبو القاسم صاحب : قدماً حملت أوزار السكر ، على

ظهور الخمر ، وطوى بساط الشراب ، على ما فيه من خطأ أو صواب ، متابعة
العتار . تعذر في خلع العذار ، وتعنى عن الاعتذار — متابعة الارطال ، تبطل سورة
الابطال ، وتدع الشيوخ كالاطفال

أيام الشراب

كتب اسحاق بن ابراهيم الموصلى الى بعض الجيلة يستدعيه : يومنا يوم لبن
الحواشي ، وطى التواحي ، وسماؤنا قد أقيمت ، ورعدت بالخير وبرقت ، وأنت
قطب السرور ، ونظام الأمور ، فلا تفردنا فنقل ، ولا تنفرد عنا فنذل

وكتب بعض أهل العصر وهو السرى الموصلى الى أخ له يستدعيه الى مؤانسته
خلالك ما اختل الصديق سحائب * وبشرك ما هبت رياح مواهب
وأنت شقيق الروح تؤثر وصلها * اذا راعها بالهجر خل وصاحب
ونحن خلال القصف والعزف نجتني * ثمار ملاء كلهن أطايب
وعندى لك الريحان زين بساطه * بزهر كما زانت سماء كواكب
وجيش كما انجرت ذيول غلائل * مصندلة تختال فيها الكواعب
وقد أطلقت فيه الشمايل وانثت * مفعدة عن جانبيها الجنائب
وحافظة ماء الحياة لغتية * حياتهم أن تستلذ المشارب
نسر بلها أخفى اللباس وانما * يلف بها أفوافه والسبائب
على جسد مثل الزبرجد لم تزل * تشاكلة في لونه وتناسب
اذا استودعت حرّ الالجين مبياتكا * تصوب في احشائها وهو ذائب
وفوق رؤوس القوم غيم معلق * من الند لا يجرى ولا هو ذاهب
بوارقه خمر الكؤوس ورعده * أنامل بيض للطبول تلاعب
ولا عائق يثنى عنانك عن هوى * رعى جانب منه وأومض جانب
فبادر فان اليوم صاف من القذى * ويارب يوم بادرته النوائب

وقل ابن المعتز

لا شئ يُسألُ همى سوى قدح * ندمى عليه أوداج ابريق
في غيم يوم يزجى سحائبه * برق ابتسام ورعد تصفيق
وقل الحسن بن محمد الكاتب يصف طيلا

يا حبذا يومنا نلهو بملهية * تلهي بشئ له رأسان في جسد
قد شد هذا الى هذا كأنهما * من شدة الشدمقرونان في صفد
نظل نلطم خديه اذا ضربت * بكل طاقتها لظما بلا حرَد
فسمع الصوت منه حين تضربه * كأنه خارج من ماضى أسد

الدعوة الى الراح

ومن أفاضهم في الاستدعاء : نحن في مجلس قد أبت راحه أن تصفو لنا أو
تتناولها يمينك ، وأقسم غناؤه لا طاب أو نعيمه أذناك ، فأما حدود نارنجبه فقد
احمرت خجلا لا بطائك ، وعيون ترجمه قد حذقت تأميلا للقائك ، فبحياتى عليك
الا تعجلت ، وما تمهلت — نحن بنيتك كعتد قد تغيبت واسطته ، وشباب قد
أخلقت جدته ، واذا غابت شمس السماء عنا ، فلا بد أن تدنو شمس الأرض منا .
أنت من ينظم به شمل الطرب ، وبلقائه يبلغ كل أرب ، طر إلينا طيران السهم
واطلع علينا طلوع النجم ، نب إلينا وثوب الغزال ، واطلع علينا طلوع الهلال ،
في غرة شوال — كن إلينا أسرع من السهم الى ممره ، والماء الى مقره — جيشم
إلينا قدمك ، واخلع علينا كرمك ، وإن رأيت أن نحضرنا لنتصل الواسطة بالعتد
ونحصل بقربك في جنة الخلد ، وتسهم لنا في قربك الذى هو قوت النفس ، ومادة الأانس
ولهم في استدعاء الشراب : قد تألف لى شمل اخوان كاد يفرق اعوز
المشروب ، واعتمدنا فضلك المعهود ، ووردنا يحرك المورد ، وأنا ومن ساعحنى
(١٠ - نى)

الدهر بزيارته من اخواني وأوليائك ، وقوف بحيث يقف بنا اختيارك ، من النشاط والفتور ، وبرتضيه لنا ايثارك ، من الهم والسرور ، والامرفى ذلك اليك ، والاعتماد في جمع شمل المسرة عليك ، فان رأيت أن تكلفني الى أولى الظننين بك فعلت — أطف المني موقعا ، وأجلها في النفوس موصفا ، ما عمر أوطان المسرة ، وطرده عوارض الهم والفكرة ، وجمع شمل المودة والألفة * قد انتظمت في رفقة لي في سمط الثريا ، فان لم تحفظ علينا النظام ، باهداء المدام ، عدنا كبينات نعش والسلام * فرأيتك في ارواء غلتنا بما ينقمها ، والطول على جماعتنا بما يجهمها

الكناية عن الشراب

ولهم في الكناية عن الشراب : قد نشط لتناول ما يستمد البشر ، ويشرح الصدر — قد استمطر سحابة الانس ، واستدر حلوبة السرور ، وقدر زبد اللهو ، فهو يمرى دماء المناقيد ، ويفصد عروق الدنان ، وينظم عقد الندمان
كتب الحسن بن سهل الى الحسن بن وهب وقد اصطبيح في يوم دجن لم يمطر : أما ترى تكافؤ هذا الطمع واليأس في يومنا هذا بقرب المطر وبعده ، كأنه قول كثير

واني وتهايمى بعزة بعدما * تخليت مما بيننا وتخلت

لكل منجى ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقبل اضمحلت

وما أصبحت أمنيئى إلا في لقائك ، فليت حجاب النأي هتك بيني وبينك : رقتى هذه وقد دارت زجاجات أوقعت بعقلي ولم تتخيفه ، وبعثت نشاطا حركنى للكتاب ، فرأيتك في امطارى سرورا بسار خبرك ، إذ حرمت السرور بمطر هذا اليوم ، موقفا ان شاء الله * وكتب الحسن بن وهب : وصل كتاب الامير أيدى الله وفي طاعم ، ويدي عاملة ، ولذلك تأخر الجواب قليلا ، وقد رأيت تكافؤ احسان هذا اليوم واساءته ، وما استوجب ذنبا استحق به ذما ، لانه اذا

أشمس حكى حسنك وضيائك ، وإن أمطر حكى جودك وسخاءك ، وإن غام أشبه
ظلك وفناءك ، وسؤال الأمير عن نعمة من نعم الله عز وجل أعفى بها آثار الزمان
السيء عندي ، وأنا كما يحب الأمير صرف الله الحوادث عنه ، وعن حظي منه

غرائب الاخلاق

وذم رجل رجلاً فقال : دعواته ولائم ، وأقداحه محاجم ، وكؤسه محابر ،
ونوادره بوادر . وقال أبو الفتح كشاجم : كان عندي بعض المجان من النبذيين
فسمعتي وأنا أحمد الله جل ذكره في وسط الطعام لشيء خطر بيالى من نعم الله
التي لا تحصى ، فنهض وقال : أعطى الله عهداً أن عاودت ، وما معنى التعميد هنا ،
كأنك تعلمنا أنا قد شبعنا . ثم مال إلى الدواة والقرطاس وكتب ارتجالاً

وحمد الله يحسن كل وقت * ولكن ليس في أولى الطعام
لأنك تحشم الاضياف فيه * وتأمرهم بأسراع القيام
وتؤذنبهم وما شبعوا بشبع * وذلك ليس من خلق الكرام

بعد الملتاب

وكتب المربى إلى بعض اخوانه وقد ترك النبيذ
إن كنت تبت عن الصهباء تشربها * نسكا فما تبت عن برِّ واحسان
تب راشداً واسقنا منها وإن عدلوا * فيما فعلت قتل ما تاب اخواني
وقال بعض النبيذيين وقد ترك الشرب

نحاموني لتركى شرب راح * أقت مكاتبها الماء القراحا
وما انفردوا بها دوني لفضل * إذا ما كنت أكثرهم مزاحا
وأرفعهم على وتر وصنج * وأطرفهم وأظرفهم مزاحا
إذا شقوا الجيوب شقت جيبي * وإن صاحوا علوتهم صياحا

فضل الصهباء

فقر للنبيذيين — ما جشمت الدنيا بأظرف من النبيذ — ما للعقار والوقار —
إنما العيش مع الطيش — الراح ترياق سم الهم — النبيذ ستر فانظر مع من تهتكه .
أشرب النبيذ ما استبشعته ، فإذا استطبته فدعه — لولا أن الخمرور يعلم قصته
لقدم وصيته — الصاحي بين السكارى كالخلى بين الموتى ، يضحك من عقلم ،
ويأكل من نقلهم — أحق ما يكون السكر إذا تعاقل — التبذل على النبيذ
ظرف ، والوقار عليه سخف — حد السكر أن أن تغرب الهموم ، ويظهر السر
المكتوم * وقال الحسن بن وهب لرجل رآه يعبس عند الشراب : ما انصفتها ،
تضحك في وجهك ، وتعبس في وجهها ! وقال الطائي

إذا ذاقها وهي الحياة رأيتـه * يعبس تعبـس المقدم للقتل

وقد أحسن الشيخ صدر الدين حيث قال

وأن أقطب وجهي حين تبسم لي * فعند بسط الموالى يحفظ الأدب

وترك رجل النبيذ فليل له لم تركته ، وهو رسول السرور الى القلب ؛ قال
ولكنه رسول بأس يبعث الى الجوف فيذهب الى الرأس * وقيل لبعضهم
ما أصباك بالحر ؟ فقال أنها تسرج في يدي بنورها ، وفي قلبي بسرورها . كأن
الناشي نظر الى هذا الكلام فقال

راح اذا علت الاكف كؤوسها * فكأنها من دونها في الراح

وكأنما الكاسات مما حولها * من نورها يسبحن في ضحضاح

لو بث في غسق الظلام ضياؤها * طلع المساء بفرقة الاصبح

نفضت على الاجسام ناصع لونها * وسرت بلذتها الى الأرواح

البيت الاول كقول البحري

يخفى الزجاجة ضوءها فكأنها * في الكف قائمة بغير إناء

وللناشيء في هذا المعنى

وَمُدَامَةٍ يَخْفَى النَّهَارُ لِنُورِهَا * وَتَذُلُّ أَكْنَافُ الدَّجَا لَضِيائِهَا
صُبَّتْ فَاحْدَقَ نُورُهَا بِزَجَاجِهَا * فَكَأَنَّهَا جَعَلَتْ اِنَاءً لِإِنَائِهَا
وَتَرَى إِذَا صُبَّتْ بَدَتْ فِي كَأْسِهَا * مَتَقَاصِرُ الْأَرْجَاءِ عَنْ أَرْجَائِهَا
وَتَسْكَادُ إِنْ مَزَجْتَ لَرَقَةً لَوْنِهَا * تَمْتَازُ عِنْدَ مَزَاجِهَا مِنْ مَائِهَا
صَفَرَاءُ تُضْحِي الشَّمْسُ إِنْ قِيسَتْ بِهَا * فِي ضَوْئِهَا كَلَالِيلُ فِي أَضْوَائِهَا
وَإِذَا تَصَفَّحْتَ الْهَوَاءَ رَأَيْتَهُ * كَدْرَ الْأَدِيمَةِ عِنْدَ حَسَنِ صَفَائِهَا
تَزْدَادُ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ بِقَدَرِ مَا * تُوْدَى بِهِ الْأَيَّامُ مِنْ أَجْزَائِهَا
لَا شَيْءٌ أَعْجَبَ مِنْ تَوْلَدِ بَرِّئِهَا * مِنْ سَقَمِهَا وَدَوَائِهَا مِنْ دَائِهَا
وَقَالَ

إِنْ رَمَيْتَ وَصْفَ الرَّاحِ فَأَتِ بِمَا * فِيهَا مِنَ الْأَوْصَافِ مِنْ قُرْبِ
هِيَ مَاءٌ يَأْقُوتُ وَإِنْ مَزَجْتَ * فِي كَأْسِهَا بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ
فَكَأَنَّهَا وَحَبَابُهَا ذَهَبٌ * كَلَّمَتْهُ بِاللَّوْاؤِ الرُّطْبِ
وَلَأَهْلَ الْعَصْرِ : الدُّنْيَا مَعْشُوقَةٌ رَيْقُهَا الرَّاحُ . أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ ابْنِ

الرُّومِيِّ فِي صَاعِدِ بْنِ مَخْلَدٍ

قَتَّى هَاجَرَ الدُّنْيَا وَحَرَّمَ رَيْقَهَا * وَهَلْ رَيْقُهَا إِلَّا الرَّحِيقُ الْمَوْرَدُ
وَلَوْ طُمِعَتْ فِي عَطْفِهِ وَوَصَالِهِ * أَبَاحَتْهُ مِنْهَا مَرَشَفًا لَا يَصْرَدُ
الْخَمْرُ أَشْبَهَ شَيْءٌ بِالدُّنْيَا لِاجْتِمَاعِ اللَّذَاتِ وَالْمَرَارَةِ فِيهَا . الْخَمْرُ مُصْبَاحُ السَّرُورِ
وَلَكِنَّهَا مِفْتَاحُ السَّرُورِ — لِكُلِّ شَيْءٍ سِرٌّ ، وَسِرُّ الرَّاحِ السَّرُورُ — لَا يَطِيبُ
الْمَدَامُ الصَّافِي ، إِلَّا مَعَ النَّدِيمِ الْمُصَافِي

مجالس الانس وآلات اللهو

ومن ألقاظهم في صفات مجالس الانس وآلات اللهو وذكر الخمر - مجلس
 راحه ياقوت ، ونوره ورد ، ونارنجيه ذهب ، ونرجسه دينار ودرهم يحملهما زبرجد .
 عندنا أترج كأنه من خلقت خلق ، ومن شمائلك سُرق ، ونارنج كسكرات من
 سفن ذهب ، أو ندى أبكار خلقت ^(١) - مجلس أخذت فيه الأوتار تتجاوب ،
 والاقداح تتناوب - أعلام الانس خافقة ، وألسن الملاهي ناطقة - نحن بين بدور ،
 وكسات تدور ، وبروق راح ، وشموس أقداح - قد نشأت غمامة الند ، على
 بساط الورد - مجلس قد تفتحت فيه عيون النرجس ، وفاحت مجامير الأترج ،
 وفتقت قارات النارنج ، ونطقت ألسن العيدان ، وقامت خطباء الأوتار ، وهبت
 رياح الاقداح ، وطلعت كواكب الندمان ، وامتدت سماء الند * مجلس من رآه
 حسب الجنان قد اصطفيت عيونها ، فجعلت في قدر من الارض ، وتخبرت فصوصها ،
 فنقلت الى مجالس الانس واللهو - قد فض اللهو ختامه ، ونشر الانس أعلامه -
 قد هبت الانس ريح برقها الراح ، وسحابها الاقداح ، وعودها الأوتار ، ورياضها
 الاقار - قد فرغنا للهو والدهر عنا في شغل . جل هذا من قول بعض أهل العصر

كم جووى مثله رسمٌ ممثل * ودم قد طُلَّ اثناء طُلُّ
 ولا ل كل الخلد بها * لعب البين بربات الكلل
 حبذا عيش الليالى باللوى * لو نجافى الدهر عنا وغفل
 إذ فرغنا فيه للهو وقد * بانى الأقدار عنا في شغل
 وأدرنا ذهباً في هلب * كلما أخذ بالماء اشتعل

قد اقتعدنا غارب الانس ، وجرينا في ميدان اللهو - عمدنا الى اقداح اللهو
 فأجلناها ، ولمراكب السرور فامتطيناها - قد امتطينا غوارب السرور بالاقداح -
 مدامة تُورد ريح الورد ، وتحكى نار ابراهيم في اللون والبرد ، ولست أدري

(١) السفن بالفتح جلد سمك خشن يسفن به الخشب فيلين

أشقيق ، أم عقيق ، أم رحيق ، أم حريق — راح كأن الديوك صبت أحداقها فيها —
راح كأنما اشتقت من الرّوح والراحة . قال ابن الرومي

والله ما ندري لأية علة * يدعوونها في الراح باسم الراح
ألريحها أم رّوحها تحت الحشى * أم لارتياح نديمها المرتاح
راح كالنار ، والنّور ، والنّور ، أصفى من البلور ، ومن دمع المهجور — روح
نور لها من الكأس جسم ، كأنها شمس في غلالة سراب — شراب أكاد أقول هو
أصفى من مودتي لك ، ومن نعم الله عندي فيك ، وأطيب من اسماف الزمان
بلقائك — مدامة قد سبك الدهر تبرها فصفا * كأس كأنها نور ضميره نار ، راح
كياقوتة في درة أصفى من ماء السماء ، ودمع العاشقة المرهاء ^(١) ، أحسن من الدنيا
المقبلة ، والنعم المكملة ، أحسن من العافية في البدن ، وأطيب من الحياة في
السرور ، أرق من نسيم الصّبا ، وعهد الصّبا ، أرق من دمع محب ، وشكوى
صب ، أرق من دموع العشاق ، مرتها لوعة الفراق — مزج نار الراح بنور الماء —
راح كأنها معصورة من وجنة الشمس ، في كأس كأنها مخروطة من فلكة البدر ،
كأسها ملء اليد ، وريحها ملء البلد ، تصب على الليل ثوب النهار ، كأنها في
الكأس معنى دقيق ، في ذهن لطيف ، كأن الراح من خده معصورة ، وملاحة
الصورة عليها معصورة . وهذا من قول الطائي * كأنها من خده تُعَصَّرُ * وقال
عبد السلام بن رغبان الملقب بديك الجن الشاعر المشهور

معنقة من كف ظبي كأنما * تناولها من خده فأدارها
تمشت الصهباء في عظامهم ، وترقت الى هامهم ، وماست في أعطافهم ،
ومالت بأطرافهم — سارت فيهم الكؤوس ، ونالت منهم سورة الخندريس ،
— شربت عقولهم ، وملكّت قلوبهم

خمریات أبی نواس

وقال أبو نواس ، وهو أستاذ الناس في هذا الشأن

صفة الطلول بلاغة القدم * فاجعل صفاتك لابنة الكرم
نصف الطلول على السماع بها * أفذو العيان كتابت العلم
واذا وصفت الشيء متبعاً * لم تخل من غلط ومن وهم

وقال الكأس أهواها وان رزأت * بُلغ المعاش وقلات فضلى ^(١)

صفراء مجدها مرارياً * جلّت عن النظراء والمثل
ذُخِرَت لآدم قبل خلقته * فتقدمته بحظوة القبل
فاعذر أخاك فانه رجل * مرنت مسامعه على العذل

وقال فتسللت بشرب عقار * نشأت في حجر أم الزمان

فتناساها الجديدان حتى * هي أنصاف شطور الدنان
وافترعنا مرة الطعم بها * نزقُ البكر ولين العوان
واحسينا من رحيق عتيق * وشديد كامل في ليان
لم يخفها منزل القوم حتى * نجمت مثل نجوم السنان
أو كهرق السام تنشق منه * شُعب مثل انفراج البنان

وقال

وخدين لذات معلل صاحب * يقات منه فكاكة ومزاحا
قال ابغني المصباح قلت له انشد * حسبي وحسبك ضوءها مصباحا
فسكبت منها في الزجاج شربة * كانت له حتى الصباح صباحا
وهذا كقولہ

وَحَمَّارٌ أَتَيْتُ عَلَيْهِ لَيْلًا * فَلَانَصَّ قَدْ تَعَبَنَ مِنَ السَّقَارِ

(١) بلغ المعاش : مواد الرزق

فترجم والكرى في مقلتيه * كمخمور شكى ألم الخمار
أبني لي كيف صرت الى حربي * وجفن الليل مكتحل بقار
فقلت له ترفق بي فاني * رأيت الصبح من خلل الديار
فكان جوابه أن قال كلا * وما صبح سوى ضوء العقار
وقام الى الدنان فسد فاهها * فعاد الليل مسدول الازار

سورة الكأس

وقال بعض المحذنين

ما زال يشربها وتشرب عقله * خبلا وتؤذن روحه برواح
حتى انثى متوسداً بيمينه * سكرًا وأسلم روحه للراح
وقال الصنوبري وذكر شرباً^(١)

نازعهم كأساً تخال نسيمها * مسكاً تضيوع في الاناء عتيقها
شقت قناع الفجر لما غادرت * كف النديم قناعها مشقوقا
صبغت سواد دجاء حمرة لونها * فكأنه سبج أعيد عتيقها

وقال أبو الشيص

وكأس كسى الساقى لنا بعد هجمة * حواشيها مامج من ريقه العنب
كأن اطراد الماء في جنباتها * ترشح ماء الدر في سبك الذهب
سقاني بها والليل قد شاب رأسه * غزال بجناء الزجاجه مخضب

وقال أبو عدى الكاتب

وليس لها حد تحيط بوصفه * لغات ولا جسم يباشره لمس
ولكنه كالبرق أومض ماضياً * فلم يبق منه غير ما نذر النفس

(١) الشرب بالفتح هم القوم يشربون

ساقى المدام

وقال ابن المعتز

ألا فاسقنيها قد مشى الصبح في الدُّجَا * عُقاراً كمثل النار حراماً قرقفا
فناولني كأساً أضأت بنائه * تدفقُ ياقوتاً ودرّاً بجوفا
ولما أريناها المزاج تسعرت * وخلت سناها بارقا قد تكشفا
يطوف بها ظني من الانس شادن * يقلب طرفاً فاسق اللحظ مدنفنا
علم بأسرار المحبين حاذق * بتسلم عينيه اذا ما نخوفا
فظل ينجيني تقلب طرفه * بأطيب من نجوى الاماني وأطفنا

ذكر يات الشباب

وقال

ألا عج على دار السرور فسلم * وقل أين لذاتي وأين تسلمي
وقل ما حلت بالعين بعدك لذة * سواك وان لم تعلمي ذاك فاعلمي
وصفراء من صبغ المزاج برأسها * اذا مزجت إكليل در منظم
قطعت بها عمر الدجى وشربتها * ظلامية الاحشاء نورية الدم

رسائل البديع

كتب أبو الفضل بديع الزمان الى أبي عدنان بن محمد الضبي يعزيه عن
بعض أقاربه

اذا ما الدهر جرّ على أناس * حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا
أحسن ما في الدهر عمومته بالنوائب ، وخصوصه بالرغائب ، فهو يدعو الجفلى^(١)

(١) الجفلى : الدعوة العامة

إذا ساء ، ويخص بالنعمة إذا شاء ، فليفكر الشامت ، فإن كان أفلت ، فله أن يشمت ،
ولينظر الانسان في الدهر وصروفه ، والموت وصنوفه ، من فاتحة أمره ، الى
خاتمة عمره ، هل يجد لنفسه ، أثراً في نفسه ، أم تدبيره ، عوناً على تصويره ،
أم لعمله ، تقديماً لأمله ، أم لحيله ، تأخيراً لأجله ؟ كلا بل هو العبد لم يكن شيئاً
مذكوراً ، خلق مقهوراً ، ورزق مقدوراً ، فهو يحيا جبراً ، ويهلك صبراً ، ولينأمل
المراء كيف كان قبلاً ، فإن كان العدم أصلاً ، والوجود فصلاً ، فليعلم الموت عدلاً .
فالعاقل من رقع من جوانب الدهر ، ما ساء بما سر ، لينذهب ما نفع بما ضر ، فإن
أحب أن لا يحزن فلينظر كيمة ، هل يرى الا محنة ، ثم ليعطف يسرة ، هل يرى الا
حسرة ؟ ومثل الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه من فطن لهذه الاسرار ، وعرف هذه
الديار ، فأعد لتعيمها صدراً لا يملؤد فرحاً ، وللبؤسها قلباً لا يطيرد ترحاً ، وصحب
البرية من برأى يعلم ان المتعة حداً ، وللعارة رداً ، ولقد نعى الى أبو قبصة قدس الله روحه ،
وبرد ضريحه ، فعرضت على آمالي قعوداً ، وأمانى سوداً ، وبكيت ، والسخرى جوده
بما يملك ، وضحكت ، وشر الشدائد ما يضحك ، وعضضت الأصبع حتى أدميته ،
وذمت الموت حتى تمنيته ، والموت أطال الله بقاء الشيخ الرئيس خطب قد عظم
حتى هان ، وأمر قد خشن حتى لان ، ونكر قد عمّ حتى عاد عرفاً ، والدنيا قد
تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها ، وخبثت حتى صار أقل عيوبها ، ولعل
هذا السهم قد صاب آخر ما في كنانتها ، وأنكأ ما في خزانها ، ونحن معاشر النبع
نتعلم الأُدب من أخلاقه ، والجبل من أفعاله ، فلا نحشه على الجميل وهو الصبر ،
ولا نرغبه في الجزيل وهو الاجر ، فلير فيهما رأيه ان شاء الله

كر أُم النفوس

وله الى بعض اخوانه جواباً عن كتاب كتبه يهنيه بمرض أبي بكر الخوارزمي
وكانت بينهما مقارعة ، ومنازعة ، ومنافرة ، ومهاترة ، ولها مجالس مستظرفة قهره

البديع فيها وبهره ، وبكته ، حتى أسكتته ، ليس هذا موضعها ، لكني أذكر بعد هذه الرسالة بعض مكاتبات جرت بينهما إذ كان ما لهما من الابتداء والجواب أخذنا بوصول الحكمة وفصل الخطاب

«الحر أطل الله بقاءك لاسيما إذا عرف الدهر معرفتي ، ووصف أحواله صفتي ، إذا نظر علم ان نعم الدهر مادامت معدومة فهي أماني ، وان وجدت فهي عواري ، وأن محن الايام وان طالست فستنفد ، وان لم تصب فكأن قد ، فكيف يشمت بالحنة ، من لا يأمنها في نفسه ، ولا يعدمها في جنسه ، والشامت ان أفلت فليس يفوت ، وان لم يمت فسيموت ؛ وما أقبح الشماتة ، بمن أمن الإماتة ، فكيف بمن يتوقعها ، بعد كل لحظة ، وعقب كل لفظة ، والدهر غرثان طعمه الخيار^(١) وظمان شربه الاحرار ، فهل يشمت المرء بانياب آكله ، أم يسر العاقل بسلاح قاتله ؟ وهذا الفاضل شفاذ الله : ان ظاهرناه بالعداوة قليلا ، فقد باطنناه وداً جميلا ، والحر عند الحمية لا يصطاد ، ولكنه عند الكرم ينقاد ، وعند الشدائد تذهب الاحقاد ، فلا تتصور حالتى الا بصورتها من التوجع لعلته ، والتحزن لمرضته ، وقاه الله المكروه ، ووقاى سماع المخدور فيه ، بمنه وحوله ، ولطفه وطوله »

بين الهمذاني والخوارزمي

قال البديع في سياقة أخباره مع أبي بكر الخوارزمي
أولها أنا وطئنا خراسان ، فما اخترنا الا نيسابور دارا ، والآجوار السادة جوارا ، لاجرم اناحططنا بها الرجل ، ومددنا عليها الطنب ، وقديما كنا نسمع بمحدث هذا الفاضل فنتشوقه ، وبخبره على الغيب فنتعشقه ، ونقدّر انا اذا وطئنا أرضه ، ووردنا بلده ، يخرج لنا في العشرة ، عن القشرة ، وفي المودة ، عن الجلمدة ، فقد كانت كلمة الغربة جمعتنا ، ولحمة الأدب نظمتنا ، وقد قال شاعر القوم غير مدافع أجارتنا إنا غريبان هاهنا * وكل غريب للغريب نسيب

فأخلف ذلك الظن كل لاخلاف ، واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف ، وكان قد اتفق علينا في الطريق من العرب اتفاق ، لم يوجبه استحقاق ، من بزة برؤوها ، وفضة فضوها ، وذهب ذهبوا به ، ووردنا نيسابور براحة ، أنقى من الراحة ، وكيس أخلى من جوف حمار ^(١) وزى أوحش من طلعة المعلم ، بل اطلاعة الرقيب ، فما حللنا إلا قصبة جوارد ، ولا وطننا إلا عتبة داره ، وهذا بعد رقعة قدمناها ، وأحوال أنس نظمناها ، ونسخة الرقعة : أنا بقرب الأستاذ أطال الله بقاءه : كما طرب النشوان مالت به الخمر ، ومن الارتياح للقائه : كما انتفض العصفور بلله القطر ، ومن الامتزاج بولائه : كما التقت الصهباء والبارد العذب ، ومن الابتهاج لمزاره : كما اهتز تحت البارح الفصن الرطب ، فكيف نشاط الأستاذ سيدى لصديق طراً اليه من ما بين قصبتي العراق وخراسان ، بل عتبتى نيسابور وجرجان ، وكيف اهتزازه لضيف

رث الشمايل مخلق الأثواب * بكرت عليه مغيرة الأعراب

وهو أيده الله ولى انعامه ، بانقاذ غلامه ، الى مستقرى ، لأفضى اليه بما عندى ان شاء الله . فلما أخذتنا عينه سقانا اللثردى من أول دنه ، وأجننا سوء العشرة من با كورة فنه ، من طرف نظر بشره ، وقيام دفع فى صدره ، وصديق استهان بقدره ، وضيف استخف بأمره ، لكننا أقطعناه جانب أخلاقه ، وولينا خطه نفاقه ، فواصلناه إذ جانب ، وقاربناه إذ جاذب ، وشريناه على كدورته ، ولبسناه على خشونته ، ورددنا الأمر فى ذلك الى زى استغثه ، ولباس استرته ، وكاتبناه نستمد وداده ، ونستلين قياده ، ونقيم مناده ، بما هذه نسخته : الأستاذ أبو بكر والله بطيل بقاءه أزرى بضيفه أن وجده يضرب اليه أباط القلة ، فى أطوار الغربة ، فعمل فى رتبته أعمال المصارفة ، وفى الاهتزاز اليه أصناف المضايقة ، من إيماء بنصف الطرف ، وإشارة بشطر الكف ، ودفع فى صدر القيام عن التمام ، ومضغ للكلام ، وتكلف لرد السلام ، وقد قبلت ترتيبه صغراً ، واحتملته وزراً ، واحتضنته

(١) جوف حمار ، أو جوف العير ، اسم لواد مقفر

نكرا ، وتأبطته شرا ، ولم آله عذراء ، فان المرء بالمال ، وثياب الجمال ، ولست مع هذه الحال ، وفي هذه الاسمال ، أتقرّ زمن صف النعال ، فلو صدقته العتاب ، وناقشته الحساب ، اقلت ان بوادينا ثاغية صباح ، وراغية رواح ، وناسا يجرون المطارف ، ولا ينعمون المعارف

وفيهم مقامات حسان وجوههم * وأندية ينتابها القول والفعل
فلو طوّحت بأبي بكر أيده الله اليهم مطارح الغربة ، لوجد منزل البشر رحيبا ، ومحط الرحل قريبا ، ووجه المضيف خصيبا ، فرأى الاستاذ أبا بكر أيده الله في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ودّ ، والمر الذي يتلوه شهد ، موقفا ان شاء الله (فأجاب بما نسخته) وصلت رقعة سيدي ورئيسي أطال الله بقاءه الى آخر السكباچ^(١) وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه ، ومؤلم عتابه ، وصرفت ذلك منه الى الضجرة التي لا يخلو منها من مسّة عسر ، أو نبا به دهر ، والحمد لله الذي جعلني موضع أنه ، ومظنة مشتكي ، مافي نفسه ، أما ما شكاه سيدي ورئيسي من مصانعي إياه في القيام ، فقد وفيته حقه أيده الله سلاما وقياما ، على قدر ما قدرت عليه ، ووصلت اليه ، ولم أرفع عليه الا السيد أبا البركات أدام الله عزه ، وما كنت لأرفع أحداً على من أبوه الرسول ، وأمه البتول ، وشاهداه التوراة والانجيل ، وناصراه التأويل ، والتنزيل ، والبشير به جبريل وميكائيل ، فأما القوم الذين صدر عنهم سيدي فكما وصف : حسن عشرة ، وسداد طريقة ، وجمال تفصيل وجملة ، ولقد جاورتهم فأحدث المراد ، ونلت المراد

فان كنت قد فارقت نجداً وأهله * فما عهد نجد عندنا بدميم
والله يعلم نيتي للأحرار كافة ، واسيدي سر بينهم خاصة ، فان أعانني الدهر على مافي نفسي بلغت له مافي النية ، وجاوزت به مسافة القدر والأمنية ، وان قطع على طريق عزمي بالمعارضة ، وسوء المناقضة ، صرفت عناني عن طريق الاختيار ، بيد الاضطرار

فما النفس الا نطفة بقرارة * اذا لم تذكر كان صفواً غيرها
وبعد فحبذا عتاب سيدي اذا استوجبنا عتبا ، واقترفنا ذنبا ، فأما أن يسلفنا
العريضة فنحن نصونه عن ذلك ونصون أنفسنا عن احتماله ، ولست أسومه أن يقول
(استغفر لنا ذنوبنا انا كئنا خاطئين) ولكن أسأله أن يقول (لا تريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) فحين ورد الجواب وعين العذر رمية
تركناه بعره ، وطويناه على غره ، وعمدنا الى ذكره فسحونا ، ومن صحيفتنا
محوناه ، وصرنا الى اسمه فأخذناه ونبدناه ، وتنكبنا خطته ، وتجنبنا خطته ،
فلا طرنا اليه ، ولا طرنا به ، ومضى على ذلك الاسبوع ، ودبت الأيام ، ودرجت
الليالي ، وتطاوات المدة ، وتصرم الشهر ، وصرنا لا نغير الاسماع ذكره ، ولا
نودع الصدور حديثه ، وجعل هذا الفاضل يستزيد ، ويستعيد ، بالفاظ تقطعها
الاسماع من لسانه ، وتؤديها الى ، وكلمات تحفظها الألسنة من فمه ، وتعيدها على
فكاتبناه بما هذه نسخته : أنا أرد من الاستاذ سيدي أطل الله بقاءه شرعة وده
وان لم تصف ، وألبس خلعة بره وان لم تصف ، وقصاراي أن أكيه صاعا عن
مدة ، فاني وان كنت في الأدب ، دعى النسب ، ضيق المضطرب ، سيء المنقلب
أمت الى عشرة أهله بنية ، وأنزع الى خدمة أصحابه بطريقة ، ولكن بقي أن
يكون الخليلط منصفا في الوداد ، اذا زرت زار ، وان عدت عاد ، وسيدي أبقاه
الله ناقشني في القبول أولا ، وصارمني في الاقبال آخرا ، فأما حديث الاستقبال
وأمر الانزال والا نزال^(١) ، فنطاق الطمع ضيق عنه ، غير متسع لتوقعه منه ، وبعد
فكلفة الفضل بينة ، وفروض الود متعينة ، وأرض العشرة آينة ، وطرقها
هينة ، فلم اختار قعود التعالى مركبا ، وصعود التعالى مذهبا ، وهلا زاد الطير عن
شجر العشرة ، وذاق الخلو من ثمرها ، فقد علم الله شوفي اليه قد قد الفؤاد برحا
الى برح ، ونكاه قرحا الى قرح ، ولكنها مرة مرة ، ونفس حرة ، لم تقه إلا
بالاعظام ، ولم تلق الا بالجلال والا كرام ، واذا استعفاني من معاتبته ، فأعفي نفسه

من كُلف الفضل يتجشمها ، فليس الا غصص الشوق أنجرعها ، وحلل الصبر
أندرعها ، ولم أعرد من نفسي ، وأنا لو أعرت جناحي طائر لما طرت الا اليه ،
ولا وقعت الا عليه

أحبك يا شمس النهار وبدره * وان لامني فيك السهى والفراق
وذاك لان الفضل عندك باهره * وليس لأن العيش عندك بارد

فلما وردت عليه الرقة حشد تلاميذه وخدمه ، وجشم للإيجاب قدمه ، وطلع
علينا مع الفجر طلوعه ، ونظمت حاشيتنا دار الامير أبي الطيب ، فقلنا الآن
تشرق الحشمة وتنور ، وننجد في العشرة ونغور ، وقصدناه شاكرين لما أتاه ،
وانتظرنا عادة بره ، وتوقعنا مادة فضله ، فكان خلّيا شمناه ، وآلا وردناه ،^(١)
وصرفنا الأمر في تأخره ، وتأخرنا عنه ، الى ما قاله ابن المعتز

إنّا على البعاد والتفرق * لتلتقى بالذكر ان لم نلتق
وأنشدنا قول ابن عسرا

أحبك في البتول وفي أبيها * ولكني أحبك من بعيد
وبقينا نلتقى خيالا ، ونقنع بالذكر وصالا ، حتى جعلت عواصفه تهب ،
وعقاربه تدب

والجلاس طويل جداً (قلت) ان كنت خرجت اطول هذا الكلام عن ضبط
الشرط ، فاعلى أسامح فيه فضله ، وعدم مثله ، وهو وان كان في باب الاتصال ،
فهو بتقدير الانفصال ، لقيام كل رسالة بذاتها ، وانفرادها بصفاتها (وكتب الى
رئيس هراة عدنان بن محمد يصف ماجرى بينه وبين الخوارزمي) ما ألوم هذا
الفاضل على بساط شرطواه ، وموقد حرب اجتواه ، ولكني ألومه على مانواه ، ثم
لم يتبع هواه ، ورامه ، ثم لم يبلغ آثامه ، وأقول قد ضرب فأين الايجاع ، وأنذر
فأين الايقاع ، وهذه بوارقه ، فأين صواقفه ، وذلك وعيده ، فأين عديده ،
وتلك بنوده ، فأين جنوده ، وأنشد (هذى معاهده فأين عهوده)

وما أهول رعبه ، لو أمطر بعده : اللهم لا كفران ، ولعن الله الشيطان ، فإنه أشفق لغريب أن يظهر عوارده ، وإن طار طواره ^(١) ، وإن كان قصد هذا القصد فقد أساء الى نفسه من حيث أحسن الى ، وأجحف بفضله من حيث أبقى على ، وأوهم الناس أنه هاب البحر أن يخوضه ، والأسد أن يروضه ، وشجعتني على لقائه ، بعد ما برعني بإيمائه ، فبينما كنت أشد * إن جنبي على الفراش لناب * إذ أنشدت * طاب ليلى وطاب فيه شرابي * وبينما أنا أقول * ما قلبي كأنه ليس مني * إذ قلت * أين من كان موعداً لي بأني * فلو أن هذا الفاضل قضى حقنا بالزيارة عند قدومنا أو الاستزارة ، لكان في الضرب أحسن ، وفي طريق المعاشرة أذهب . لا ولكنه وعد بالمباراة أولاً ، وهددنا بالمسائل ثانياً ، وأخلف بالتخلف ثالثاً ، فأبلغ وجدى اليه ، وأعرض شوقي عليه ، وقل له ان كنت ندمت على التفضال ، فلا تندم على الإفضال ، فإن طويتنا حيث الجهاد ، فأنشرنا حيث الوداد ، وإن لم تلقنا في باب المكاشرة ، فأتنا من باب المعاشرة

خطاب البديع الى سهل بن محمد

(وله الى الامام أبي الطيب سهل بن محمد) قد كان الشيخ يعدني عن هذه الحضرة عدات أشم لها الأنف ، لا ذهاباً بتلك الفواضل عنها ، لكن استحالة من هذا الزمان أن يجود بها ، فحين أشرفت على الحضرة ماجت الى أمواج الشرف منها ، وخلص الى نسيم الكرم عنها ، وأتحفني على رسم الاجلال بمركوب شامخ ، ومركب ذهب سابع ، وجنيب شرف زائد ، وسرت بحمد الله محفوفا بأعيان الكتاب ، وعبئون الرجال ، حتى شافهت بساط العز ، مستقبلاً ملك الشرق أدام الله علوه ، فجذب ضبعي عن أرض الخدمة ، الى جوار ولي النعمة ، حرس الله مكانه ، فاهتز اهتزازاً فات سمة الاكرام ، وتجاوز اسم الاعظام الى القيام ،

(١) الطوار بالفتح الحوم حول الشيء

قبلت من يمناه مفتاح الارزاق ، وفنّاح الآفاق ، ولحقت منه نقاب العقاب ،
وخطبني بمخاطبات نشدت بها ضالة الكرام ، وهلم جرا الى ما تبعها من جميل
الأنزال ، وسنى الاجزال ، وطرأت من الشيخ العميد على شخص يسمعه الخاتم ،
ولا يسمعه العالم ، ويهتز عند المكارم كالغصن ، ويثبت عند الشدائد كالركن ،
وسلطان يحلم حلم السيف مغمدا ، وبغضب مجرداً ، فهو عند الكرم أين كصفحته ،
وعند السياسة خشن كشفّرتة ، وملاك يأتي الكرم نية ، والفضل سجية ، ويفعل
الشر كلفة أو خطية ، فهو ضروري لأنه نفوع بذاته . عطار دقلقه ودواته ،
والريخ سيفه وقناته ، عيبه لا عيب فيه ، فيصرف عين الكمال عن معاليه ،
وصادت من الشيخ الموفق أيده الله ملكاً يشاهد عياناً ، وجبلاً قد سمى انساناً ،
وحسناً قد ملئ احساناً ، وأسداً قد لقب سلطاناً ، وبحراً قد أمسك عناناً ، وحططت
رحلى بفناء الأمير الفاضل أبي جعفر أدام الله عزه فوجدت حكى في ماله أنفذ
من حكمه ، وقسمى من غناد أوفر من قسمه ، واسمى في ذات يده مقدماً على اسمه ،
ويدي الى خزانته أسرع من يده ، وان قصدت أن أفرد لكل مدحا ، وأعبر
الجملة شرحاً ، أطلت ، فهلم جرا الى ما افتتحت الكتاب لأجله ، وورد للخوارزمي
كتاب يتقلب فيه على جنب الحرّ ، ويتقلّى على جمر الضجر ، ويتأوه من خمار
الحجل ، ويتعثر في أذيال الكلل ، ويذكر أن الخاصة قد علمت لأينا كان الفلج
فقلت است البائن أعلم ، والخوارزمي أعرف ، والاخبار المتظاهرة أصدق ،
وحلبة السباق أحكم ، وما مضى بيننا أشهد ، والعود إن نشط أحمد ، ومتى استزاد
زدنا ، وان عادت العقرب عدنا ، وله عندي اذا ما شاء ، كل ما ساء

وهي طويلة فيها هنات صنت الكتاب عنها ، وقد أعاد البديع معنى قوله
في صدر حكايته مع الخوارزمي فقال في رقعة كتبها الى أبي سعيد الاسماعيلي وقد
وقفت به الضرورة على تلك الصورة من سلب العرب ماله :

كتابه الى أبي سعيد الاسماعيلي

كتابى بل رقتى أطل الله بقاء الشيخ ، وقد بكرت على مغيرة الأعراب ،
كهلهل ، وربيعه بن مكرم ، وعتيبة بن الحارث بن هشام ، وأنا أحمد الله الى
الشيخ الفاضل ، وأدم الدهر ، فما ترك لى من فضة الا فضاها ، ولا ذهب الا ذهب
به ، ولا علق الا علقه ، ولا عقار الا عقرد ، ولا ضيعة الا أضاعها ، ولا مال
الا مال اليه ، ولا سبد الا استبد به ، ولا لبد الا لبد فيه ، ولا بزة الا بزها ،
ولا عارية الا ارتجعها ، ولا وديمة الا انتزعها ، ولا خلة الا خلعه ، وأنا داخل
نيسابور ولا حلية الا الجلدة ، ولا بُرد الا القشرة ، والله ولى الخلف يعجله ،
والفرج يسره ، وهو حسبي ونعم الوكيل

وليس البديع بأبى عذرة هذا الخطاب وسترى نظير هذا المعنى فى هذا الكتاب

المقامة الفزارية

ومن انشائه فى مقامات أبى الفتح الاسكندرى * قال حدثنى عيسى بن
هشام قال : كنت فى بعض بلاد بنى فزارة مرتحلاً نجيبية ، وقائداً جنيبية ، يسبحان
سبحا ، وأنا أهيم بالوطن : فلا الليل يثنىنى بوعيد ، ولا البعد يدنىنى بيده ، وظللت
أخبط ورق النهار ، بعضا التسيار ، وأخوض بطن الليل ، بحوافر الخيل ، فبينما أنا
فى ليلة يضل بها الغطاء^(١) ، ولا يبصر بها الوطواط ، أسبح ولا سابح الا السبع ، ولا
بارح الا الضبع ، إذ عن لى راكب تام الآلات ، يطوى منشور الفلوات ، فأخذنى
منه ما يأخذ الأعزل من شاكى السلاح ، لكنى تجلدت فقلت أرضك لا أم لك !
فدونك شرط الحداد ، وخرط القتاد ، وخصم ضخم وحمية أزدية ، وأنا سلم ان
شئت وحرب ان أردت ، فقل من أنت ، قال سلما أصبت ، وخيرا أجبت ، قلت فمن
أنت ؟ قال نصيح ان شاورت ، فصيح ان حاورت ، ودون اسمى لثام ، لا يميظه الاعلام .
قلت فما الطعمة ؟ قال أجوب جيوب البلاد ، حتى أقع على جفنة جواد ، ولى فؤاد يخدمه

(١) الغطاء هو القطا

لسان ، وبيان يرقه بنان ، وقصاراي كريم ينفض الى حقييته ، ويخفف لي جنيته ،
كأين حرة طلع الى بالأمس ، طلوع الشمس وغرب غنى بغروبها ، لكنه غاب ولم
يغب تذكاره ، وودع وشيعتي آثاره ، ولا ينبئك عنها ، أقرب منها ، وأوما الى
ما كان يلبسه ، فقلت شحاذ ورب الكعبة أخاذله في الصنعة نفاذ ، بل هو فيها
أستاذ ، ولا بد أن ترشح له وتسح عليه ، وقلت له يا فتى قد أجليت عبارتك فأين
شعرك من كلامك ؟ فقال وأين كلامي من شعري ! ثم استمد غريزته ورفع عقيرته
بصوت ملأ الوادي وأنشأ يقول

وأروع أهداد لي الليل والفلا * وخمس تمس الارض لكن كلا ولا
عرضت على نار المسكارم عوده * فكان معما في السوابق مخولا
وخادعته عن ماله فخدعته * وساهلته في بره قسهلا
ولما تجالينا وأحمد منطقي * بلاني في نظم القريض بما بلا
فما هز الا صارما حين هزني * ولم يلقي الا الى السبق أولا
فلم أره الا أغر محجبا * وما تحته الا أغر محجلا
فقلت : على رسلك يا فتى ، ولك مما يصحني حكك . فقال الجنينة ، قلت : ان ، وما
عليها . ثم قبضت بجمعي عليه ، وقلت لا والله الذي ألهمها لمسا ، وشقها من واحدة
خمسا ، لا تزايلنا أو نعلم علمك ، فحذر لثامه عن وجهه فاذا والله شيخنا أبو الفتح
الاسكندري فما لبثت ان قلت

توشحت أبا الفتح * بهذا السيف مختلا
وما تصنع بالسيف * اذا لم تك قتالا

كلكم لآدم !

وعلى ذكر قوله إن وما عليها قال أبو عبيدة : وفد عبد الله بن الزبير الأسدي
على عبد الله بن الزبير بن العوام فقال يا أمير المؤمنين ان بيني وبينك رحما من
قبل فلانة الكاهلية : هي أختنا ، وقد ولدتك ، وأنا ابن فلان ، فلانة عمتي ، فقال

ابن الزبير هذا كما ذكرت ، وان فكرت في هذا أصبت ، الناس كلهم يرجعون الى أب واحد ، وأم واحدة ، فقال يا أمير المؤمنين ان نفقتي قد ذهبت ، قال ما كنت ضمنت لأهلك انها تكفيك الى أن ترجع اليهم ، قال يا أمير المؤمنين ان ناقتي قد نقت ودبرت ، فقال له أنجد بها يبرد خفها ، وارفعها بسبت ، واخصفها بهلب ، وسر عليها البريدين ، قال يا أمير المؤمنين انما جئتكم مستحملاً ، ولم آتكم مستوصفاً ، لعن الله ناقة حملتني اليك ، قال ابن الزبير : ان ورا كبتها ! فخرج وهو يقول

أرى الحاجات عند أبي خبيب * نكدن ولا أمية في البلاد
من الأعياص أو من آل حرب * أغر كغرة الفرس الجواد
ومالي حين أقطع ذات عرق * الى ابن الكاهلية من مفاد
وقلت لصحبتى أدنوا ركابي * أفارق بطن مكة في سواد
فبلغ شعره هذا عبد الله بن الزبير فقال لو علم ان لي أما أحسن من عمته
الكاهلية لسنبتني انيها ، وكان ابن الزبير يكنى أبا بكر وأبا خبيب

فرس ابن الزيات

قال الصولي أخذ المعتصم من محمد بن عبد الملك الزيات فرساً أشهب أحمر ، كان عنده مكينا ، وكان به ضئينا ، فقال برئيه

قالوا جزعت فقلت إن مصيبة * جلت رزيتها وضاق المذهب
قال أبو بكر هكذا أنشدني ابن المعتز على أن ان بمعنى نعم وأنشد النحويون
قالوا كبرت فقلت إن وربما * ذكر الكبير شبابه فتطربا
كيف العزائم قد مضى لسبيله * عنا فودعنا الأحمر الأشهب
دبّ الوشاة فباعده وربما * بعد الفتي وهو الحبيب الأقرب
لله يوم غدوت فيه ظاعناً * وسليت قربك أي علق أسلب
نفسى مقسمة أقام فريقتها * ومضى لطيمته فريق يُجنب

الآن إذ كملت أدائك كلها * ودعا العيون اليك حسن معجب
وغدوت طنان اللجام كأنما * في كل عضو منك صنج يضرب
وكان سرجك إذ علاك غمامة * وكأنما تحت الغمامة كوكب
أنساك ؟ لا زالت اذاً منسية * نفسي ولا برحت بمثلك تنكب
أضمرت منك اليأس حين رأيتني * وقوى حبالى من حبالك تقضب
يا صاحبي لمثل ذا من أمره * صاحب الفتى في دهره من يصحب
إن تسعدا فصنيعة مشكورة * أو تخذلا فصنيعة لا تذهب
عوجا فقولاً مرحباً وتزودا * نظراً وقلاً لمن تحب المرحب
منع الرقاد جوى تضمنه الحشى * مما أكابده وهم منصب

مساوى المزاح

قال الحجاج بن يوسف لابن القرية : ما زالت الحكماء تكره المزاح ، وتنهى عنه ، فقال : المزاح من أدنى منزلته الى أقصاها عشرة أبواب : المزاح أوله فرح ، وآخره ترح ، المزاح نقائص السفهاء كالشعر نقائص الشعراء ، والمزاح يوغر صدر الصديق ، وينفر الرفيق ، والمزاح يبدي السرائر ، لأنه يظهر المعابر ، والمزاح يسقط المروءة ، ويبدي الخفى ، لم يجرّ المزاح خيراً ، وكثيراً ما جرّ شراً ، الغالب بالمزاح واطر ، والمغلوب به ناطر ، والمزاح يجلب الشتم صغيره ، والحرب كبيره ، وليس بعد الحرب الا عفو بعد قدرة * فقال الحجاج حسبك ، الموت خير من عفو معه قدرة — وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان فقال : يُنشق أحدكم أخاه مثل الخردل ، ويُفرغ عليه مثل الرجل : ويرميه بمثل الجندل ، ثم يقول انما كنت أمزح ، أخذ هذا المعنى محمود بن الحسين الوراق فقال

تلقى الفتى يلقي أخاه وخدنه * فى لحن منطقته بما لا يففر
ويقول كنت مماًزحاً وملاًعباً * هيهات نارك فى الحشى تتسعر

أو ما علمت وكان جهلك غالباً * أن المزاح هو السبب الأصغر
(فقر في هذا النحو لأهل العصر وغيرهم) المزاحه تذهب بالمهابة ، وتورث
الضعفينة ، الافراط في المزاح مجون ، والاقتصاد فيه ظرف ، والتقصير عنه ندامة .
أوكد أسباب القطيعة المراء والمزاح (ابن المعتز) من كثر مزاحه لم يخل من
استخفاف به أو حقد عليه (قال أيوب بن القريّة) الناس ثلاثة : عاقل ، وأحمق ،
وفاجر ، فالعاقل الدين شريعته ، والحلم طبيعته ، والرأى الحسن سجيته ، إن سئل
أجاب ، وإن نطق أصاب ، وإن سمع العلم وعاء ، وإن حدث روى . وأما الأحمق
فإن تكلم عجل ، وإن حدث وهل ، وإن استنزل عن رأيه نزل ، فإن حمل على
القبیح حمل ، وأما الفاجر فإن ائتمنته خاتك ، وإن حدثته شانك ، وإن وثقت به
لم يبرعك ، وإن استكنتم لم يكنكم ، وإن علم لم يعلم ، وإن حدث لم يفهم ، وإن فقه
لم يفقه

زجر الطير

قال أبو حية النيرى

جری يوم رحنا عامرين لأرضنا * سنيحُ فقال القوم مرّ سنيحُ
فهاب رجال منهم فتعيفوا * فقلت لهم جارّ الى ربيع
عقابٌ بأعقاب من الدار بعد ما * نأت نأيةً بالطاعنين طريح
وقالوا حمامات فحمّ لقاءها * وطلّح فزيلت والمطى طليح
وقال صحابي هدهدٌ فوق بانهٍ * هدى وبيانٌ بالنجاح يلوح
وقالوا دمّ دامت موثيق يبننا * ودام لنا حلو الصفاء صريح
لعيّناك يوم البين أسرعوا كفّاً * من الفنن الممطور وهو مروّح
ونسوة شحشاح غيورٍ يخفنه * أخى نقة يلمّين وهو مشيح
يقلن وما يدرين أنى سمعته * وهنّ أبواب الخيام جنوح
أهنا الذى غنى بسمراء مؤهناً * أتاح له حسن الغناء مُتيح

إذا ماتنّى أن من بعد زفرة * كما أن من حرّ السلاح جريح
وقائلة يادهم ويحك إنه * على ما به من عنّة للمليح
فلو أن قولاً بجرح الجلد قد بدا * بجلدى من قول الوشاة قروح
وهذا من غريب الزجر مليح التفاؤل . قال أبو العباس محمد بن يزيد أنشدنى
اعرابى فى قصيدة ذى الرمة الى أولها

ألا يا اسلمى يادرمى على البلى * ولا زال منها لا بجرعائك القطر
يتنين لم يروها الرواة فى ديوانه وهما
رأيت غراباً ساقطاً فوق قضبة * من القضب لم ينبت لها ورقٌ خضر
فقلت غراب لا غتراب وقضبة * لقضب النوى هذى العيافة والزجر
وقال آخر

دعا صرّد يوماً على غصن بانه * وصاح بذات البين منها غرابها
فقلت أتصريد وشحطٌ وغربة * فهذا لعمرى نأبها واغترابها

النهى عن الطيرة

وقد أكرّرت العرب من ذكر الطيرة والزجر وكانت تقتدى بذلك وتجرى
على حكمه حتى ورد النهى فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا عدوى
ولا طيرة . وقد قال الأوّل

لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع
وقال ضابى بن الحارث البرجمي :

وما عاجلات الطير تدرى من الفتى * نجاحاً ولا عن رينهن نجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب
وربّ أمور لا تضيرك ضيرة * وللقلب من مخشائهن وجيب
وقال الكميت بن زيد الأسدي
ولا أنا ممن يزجر الطير همّه * أصاح غراب أم تعرض نعلب

ولا السانحات البارحات عشيّة * أمرّ سليم القرن أم مرّ أعضب
وقال شاعر قديم

لا يمنعك من رفا * الخير تعقاد التمام
ولا التشاؤم بالعطا * س ولا التيامن بالمقام
فلقد غدوت وكنت لا * أغدو على واق وحام
فاذا الاشأم كالايا * من والايامن كالأشأم
وكذاك لا خير ولا * شرّ على أحد بدام
قد خط ذلك في الزبو * ر الأوليات القدام
ولقد أحسن ابن كناسة في رثاء ولده يحيى أنشده أبو العباس ثعلب
تيممت فيه الفال حتى رزئته * ولم أدر أن الفال فيه يفيل
فسميته يحيى ليحيا فلم يكن * الى ردّ أمر الله فيه سبيل

جنازة عزة

وروى المدائني قال خرج كثير من الحجاز يريد مصر فلما قرب منها نزل
بمنزل فاذا هو بغراب على شجرة بان ينتف ريشه وينعب ، فأسرع الرحيل ،
ومضى لوجهه ، فلقى رجل من بني نهد فقال يا أخا الحجاز مالى أراك كاسف اللون ،
قال ما علمت الا خيراً ، قال فهل رأيت في طريقك شيئاً أنكرته ، قال لا والله
الا في منزلى هذا فاني رأيت غراباً ينتف ريشه على بانه وينعب ، قال أما انك
تطلب حاجة لا تدركها ، فقدم مصر والناس منصرفون من جنازة عزة ، فقال
رأيت غراباً ساقطاً فوق بانه * ينتف أعلى ريشه وبطائرة
فقلت ولو أنى اشاء زجرته * بنفسى للنهدى هل أنت زاجره
فقال غراب لا غراب من النوى * وفي البان بين من حبيب تجاوره
فما أعيف النهدى لادرّ درّه * وأزجره للطير لاعرّ ناصره
ثم أتى قبر عزة فاناخ به ساعة ثم رحل وهو يقول

أقول وانضوى واقف عند رأسها * عليك سلام الله والعين تسفح
فهذا فراق الحق لأن تزيروني * بلادك فتلاه الذراعين صيدح
وقد كنت أبكي من فراقك حية * وأنت لعمري اليوم أنأى وأنزح

الذنب للمطايا

وقال جرير

بان الخليط برامتين فودّعوا * أو كلما نعبوا لبين تجزع
ان السوانح بالضحى هيّجنى * فى دار زينب والحمام الوقع
وقال عوف الراهب خلاف هذا

غلط الذين رأيتهم بجهالة * يلحون كلهم غراباً ينبع
ما الذنب إلا اللابعرانها * ممايشت جميعهم ويفرق
ان الغراب بيمنه تدنو النوى * وتشت الشمل الجميع الأينق

وقد تبعه فى هذا المذهب أبو الشيص فقال

ما فرق الاحباب به * الله الا الايل
والناس يلحون غرا * بالبين لما جهلوا
وما على ظهر غرا * بالبين تطوى الرحل
ولا اذا صاح غرا * ب فى الديار احتملوا
وما غراب البين الا * ناقة أو جمل

وما أملح ما قال القائل

زعموا بأن مطيهم عون النوى * والمؤذات بفرقة الاحباب
ولو انها حتى لما أبغضتها * ولها بهم سبب من الاسباب

تطير ابن الرومي

وكان علي بن العباس الرومي مفرط الطيرة ، شديد الغلو فيها . قال علي بن عبد الله بن المسيب : وكان يحتج لها ويقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الغال ، ويكره الطيرة ، أفتراه كان يتعامل بالشئ ، ولا يتطير من ضده ؟ ويقول ان النبي صلى الله عليه وسلم مرّ برجل وهو يرحل نقّة ويقول ياملعون ، فقال لا يصحبنا ملعون ، وان عليا رضى الله عنه كان لا يغزو غزاة والقمر في العقب ، ويزعم ان الطيرة موجودة في الطباع ، قائمة فيها ، وان بعض الناس هي في طباعهم أظهر منها في بعض ، وان الاكثر في الناس اذا لقي ما يكرهه قال : على وجه من أصبحت اليوم . فدخل علينا يوم مهرجان سنة ثمان وسبعين وقد أهدى الى عدة من جوارى القيان ، وكانت فيهنّ صبية حواء ، وعجوز في إحدى عينيها نكتة ، فتطير من ذلك ، ولم يظهر لى أمره ، وأقام باقى يومه ، فلما كان بعد مدة يسيرة سقطت ابنة لى من بعض السطوح ، وجفاه القاسم بن عبيد الله فجعل سبب ذلك المعنيين المغنيتين ، وكتب الى

أيها المتحفي بحولٍ وغورٍ * أين كانت منك الوجوه الحسانُ
قد لعمري ركبت أمرا مهينا * ساءنى فيك أيها الخُلصانُ
فَتَحَكَّ المهرجان بالحوّل والعو * رِأانا ما أعقب المهرجانُ
كان من ذاك فقدك ابنتك الحرّة مصبوغةً بها الا كفانُ
وتجافى مؤملاً لى جليلٍ * لَجَّ فيه الجفاه والمجران
وعزير علىّ تقريع خلّ * لا يدانيه عندى الخُلانُ
غير انى رأيت إذ كاره الحز * موأشعاره شعاراً يُصانُ
لاتهاونَ بطيرة أيها النظا * رِ واعلم بأنها مُعنوان
قف إذا طيرة تلقّتك وانظر * واستمع ثم ما يقول الزمان

فلما غاب من أمورك عنوا * ن مبين وللزمان لسان
 لا يمكن بالهوى تكذب بالآخبا * ر حتى تبين مالا يهان
 لا يقدر الهوى إلى نصرة الآخبا * ر حتى يقدم البرهان
 ان عقي الهوى هو عقي وعقي * طول تلك المهورات هو ان
 لا تصدق عن التبيين الا * بحديث يلوح فيه البيان
 خبر الله ان مشامة كا * نت اقوم وخبر القرآن
 أفزور الحديث تقبل أم ما * قلله ذو الجلال والفرقان
 أترى من يرى البشير بشيرا * يمتري في النذير ياوسنان
 فدع الهزل والتضحك بالطيرة والنصح مضمن مجان
 وقد فرق حذاق أهل النظر في المقال ، بين الطيرة والغال ، فقالوا : الطيرة
 كانت العرب ترجع الى ما تمضيها ، وتجرى على تقضيها ، وكان الذي بهم بهم اذا
 ما رأى ما يتطير منه رجع عنه ، وفي ذلك ما يصرف عن الاحالة على المقادير
 الجارية بيد ممضيها ، النازلة على حكم قاضيها ، والغال لا يرد المرید عما يريد
 انما يقوى منته ، ويسر مهجته ، وليس هذا موضع تطويل ، في ايراد الدليل

عتابه لابن عبيد الله

وفي جفاء اقسام بن عبيد الله اياه يقول معانبا
 ألم ترني أقرضتك الود طائعا * ولم تر قبلي مُعسراً قط أقرضا
 لعمرى لقد صوّرت أبيض مُشرقا * فلم لا تريني وجه نَعْمَاك أبيضاً
 فيا ويح مولاك استغاث بمشرب * فاشرف فاستشفى شفاء فأقرضا (١)
 ولولا اعتقادي أنك الخير كله * لأزمت توديعاً قضى الله ما قضا
 واني وان دارت عليّ دوائر * لأعرض عن صدّ غني وأعرضا

(١) أقرض : شرب من الغرضة وهي الشرع

وما زلت عرّافاً إذا الزاد راينى * بحبثٍ وعيافاً إذا الماء عرمضا^(١)
وهذا البيت كقول الآخر
وانى الماء المخاط للقذى * اذا كثرت ورّاده لميوف

تعازيه فى البنات

وفى ابنة المسيبى يقول ابن الرومى
اخا ثقتى أعزز على بنسكة * منك بها صرف القضاء المقدر
أرصبت وما للمرء من حكم ربه * محيدٌ وأمر الله أعلى وأقهر
وقد مات من لا يخلف الدهر مثله * عليك من الأسلاف والحق يبهّر
أعزيت عمن أثمرتك حياته * ووشتك التعزى عن ثمارك أجدر
لأن اختيال الدهر فى ابن وفى ابنة * يسيرٌ وكر الدهر شيخيك أعسر
تعذر أن نعتاض من أمهاتنا * وآبائنا والنسل لا يتعذر
فلا تهلكن حزننا على ابنة جنة * مضت وهى عند الله تحيا وتُحبر
لعل الذى أعطاك ستر حياتها * كساها من اللحد الذى هو أستر
فكم من أخى حرية قد رأيتُه * بنار ذوى الاصهار يكوى ويصهر
فلا تهم لله فيها ولاية * ولا نظراً فالله للعبد أنظر
وأنت وان أبصرت رشك مرة * فندو النظر الاعلى برشدك أبصر

ومن مليح تعازيه عن أبيه قوله لعلى بن يحيى المنجم
لا تبعدن كريمة أودعتها * صهراً من الاصهار لا يجزيكا
إني لأرجو أن يكون صداقها * من جنة الفردوس ما يرضيكا
لا تياسن لها فقد زوجتها * كفوا وضمنت الصداق مليكا

خير الاصهار

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
لكل أبي بنت يرجئ بقاؤها * ثلاثة اصهار اذا ذكر الصهر
فبيت يغطها وبعل يصونها * وقبر يوارها وخيرهما القبر
وقال عقيل بن علقمة وكان أغير العرب
لني وان سيق الى المهر * ألف وعبدان وذود عشر
أحب أصهارى الى القبر

الرغبة في موت البنات

ومنه أخذ عبيد الله قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد دخل علينا ابن
خلف البهراني فأنشدنا

لولا أميمة لم أجزع من العدم * ولم أجب في الليالي حنيس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرقى * أن اليتيمة يحفوها ذوو الرحم
أحاذر الفقر يوما أن يُلمَّ بها * فبهتك السر عن لحم على وضم
تهوى حياتي وأهوى موتها شققا * والموت أكرم نزال على الحرم
وكانت أميمة بنت أخته وكان قد تبناها ثم غابت غيبة فسألناه عنها فأنشد
أمت أميمة مغمورا بها الرجيم * لدى صعيد عليه التراب مرتكم
ياشقة النفس ان النفس والهمة * حرى عليك ودمع العين منسجم
قد كنت أخشى عليها أن يؤخرها * غنى الحمام فيبدي وجهها العدم
فالآن نمت فلا هم يؤرقني * نهد العميون اذا ما أودت الحرم
فالآن نمت فلا هم يؤرقني * بعد الهدوء ولا وجد ولا حلم
لموت عندي أباد لست أنكرها * أحيا سرورا وبى مما أتى ألم

ابن الرومي والاختفش

عاد ذكر ابن الرومي وكان أبو الحسن علي بن سليمان الاختفش غلام أبي العباس المبرد في عصر ابن الرومي شابا مترفا ، ومليحا مستظرفا ، وكان يعبت به ، فيأتيه بسحر فيقرع الباب ، فيقال له من ؟ فيقول قولوا لأبي الحسن مرة بن حنظلة ، فيطير لقوله ، ويقيم الايام لا يخرج من داره ، وذلك كان سبب هجائه اياه فمن أول ما عاتبه به

قولوا لنحوينا أبي حسن * إن حسامي متى ضربت مضاً
وان نبل إذا هممت بأن * أرمي نصلتها بجمر غضا
لأنحسبن الهجاء بحفل بالرف * مع ولا خفض خافض خفضا
ولا تخل عودتي كباديتي * سأسمع السهم من أبي الحنظضا
أعرف في الاشقياء بي رجلا * لا ينتهي أو يصير لي غرضا
يليح لي صفحة السلامة والسلم ويخفي في قلبه مرضا
أضحى مغيظا على أن غضب الله عليه ونلت منه رضا
وليس تجدي عليه موعظتي * إن قدر الله حينه وقضا
كأنني بالشقي معتدرا * إذا القوافي أذقته المضضا
ينشدني العهد يوم ذلك للعهد * مدخضاب أذاله فنضا
لا يأمنن السفه بادرقي * فاني عارض لمن عرضا
عندي له السوط ان تلوم في السير وعندى اللجام ان ركضا
أسمعت إنباضتي أبا حسن * والصفح لاشك نصيح من محضا
وهو معافي من السهاد فلا * يحمل فيمسي فراشه قضضا
أقسمت بالله لا غفرت له * إن واحد من عروقه نبضا
فاعتذر اليه ، وتشفع عنده بجماعة من أهل بغداد ، وكان الاختفش أكثر
الناس اخوانا فقبل عذره ، ومدحه بقصيدته التي يقول فيها

ذُكِرَ الْأَخْفَشُ الْقَدِيمُ فَقُلْنَا * إِنَّ الْأَخْفَشَ الْحَدِيثَ لِفَضْلَا
وَإِذَا مَا حَكَمْتَ وَالرُّومَ قَوْمِي * فِي كَلَامٍ مُعَرَّبٍ كُنْتُ عَدْلَا
أَنَا بَيْنَ الْخُصُومِ فِيهِ غَرِيبٌ * لَا أَرَى الزُّورَ لِلْمَحَابَةِ أَهْلَا
وَمَتَى قُلْتَ بِاطْلَا لَمْ أَلْقُبْ * فَيَلْسُوفَا وَلَمْ أَسْمَعْ هِرْقَلَا

الْأَخْفَشُ الْقَدِيمُ هُوَ أَبُو الْخَطَّابِ ، وَكَانَ أَحَدَ اسْتَاذِي سَيَبُويَه ، وَهُوَ مِنَ
الْمُتَقَدِّمِينَ فِي النَّحْوِ ، وَيَعْرِفُ بِالْأَخْفَشِ الْكَبِيرِ ، وَكَانَ فِي عَصْرِ سَيَبُويَه أَبُو الْحَسَنِ
سَعِيدُ بْنُ مَسْعُودَةَ ، وَهُوَ الْأَخْفَشُ الصَّغِيرُ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ : كَانَ سَيَبُويَه يَعْضُ
مَا وَضَعَ مِنَ النَّحْوِ عَلَيَّ ، وَيُرَى أَنِّي أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَكَانَ فِي وَقْتِهِ ذَلِكَ أَعْلَمُ مِنِّي
ثُمَّ عَادَ عَلِي بْنُ سَلِيمَانَ إِلَى أَذَاهُ ، وَاتَّصَلَ بِهِ أَنَّ رَجُلًا عَرَضَ عَلَيْهِ قَصِيدَةً مِنْ
شِعْرِهِ فَطَعَنَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ قَصِيدَتُهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا

أَعْتَقْتُ عَبْدِيَّ فِي الْقَرِيضِ مَعَا * عَبْدَةٌ وَالْعَجَلُ مِنْ بَنِي عَبْدِ
إِن أَنَا لَمْ أُرْمِ بِالْإِسَاءَةِ مِنْ * زَاغَ عَنِ الْقَصْدِ أَوْ أُنِيَ سَدْدُهُ
قُلْتُ لِمَنْ قَالَ لِي عَرَضْتَ عَلَيَّ * الْأَخْفَشُ مَا قُلْتَهُ فَمَا حَمْدُهُ
قَصُرْتُ بِالشَّعْرِ حِينَ تَعَرَّضُهُ * عَلَى مَبِينِ الْعَمَى إِذَا انْتَقَدُهُ
أَنْشَدْتُهُ مِنْطَقِي لِشَهْدَةٍ * فَغَابَ عَنْهُ عَمِّي وَمَا شَهْدُهُ
مَا بَلَغْتَ بِي الْخَطُوبَ رَتْبَةً مِنْ * تَفْهَمُ عَنْهُ الْكِلَابُ وَالْقِرَادَةُ
وَلَا أَنَا الْمَفْهُمُ الْبِهَائِمُ وَالطَّيْرُ سَلِيمَانُ قَاهِرُ الْمَرَدَةِ
فَإِنْ يَقُلْ أَنِّي حَفِظْتُ فَكَأَلَدُ * تَرِ جَهْلًا بِكُلِّ مَا اعْتَقَدُهُ
سَأَسْمَعُ النَّاسَ ذَمَّهُ أَبَدًا * مَا سَمِعْتُ اللَّهَ حَمْدًا مِنْ حَمْدِهِ

علقمة بن عبدة

عبدة بن الطبيب ، وعلقمة بن عبدة العجل ، وكانا شاعرين مجيدين ، وقال
علقمة بن عبدة لرجل ورأى آخر يعتذر اليه وهو معبس في وجهه : اذا اعتذر اليك
المعتذر فقله بوجه مشرق ، وبشر مطلق ، لينبسط المتنائل ، ويؤمن المتنصل

طيرة ابن الرومي

ولابن الرومي في الأخفش إخفاش صنت الكتاب عنه . قال علي بن ابراهيم
كاتب مسروق البلخي : كنت بداري جالسا فاذا حجارة سقطت بالقرب مني ،
فبادرت هاربا ، وأمرت الغلام بالصعود الى السطح ، والنظر الى كل ناحية ، من
أين تأتينا الحجارة ، فقال امرأة من دار ابن الرومي الشاعر قد نشوفت ، وقالت
انقوا الله فينا ، واسقونا جرة من ماء ، والا هلكنا ، فقد مات من عندنا عطشا
فتقدمت الى امرأة عندنا ذات عقل ومعرفة أن تصعد اليها وتخطبها ، ففعلت
وبادرت بالجرة وأتبعها شيئا من الماء كؤل ، ثم عادت الى فقالت ذكرت المرأة
ان الباب عليها مقفل من ثلاث بسبب طيرة ابن الرومي ، وذلك أنه يلبس ثيابه
كل يوم ، ويتعوذ ثم يصير الى الباب ، والمفتاح معه ، فيضع عينه على نقب
في خشب الباب ، فتقع عينه على جار له كان نازلا بازائه ، وكان أحذب يقعد كل
يوم على بابه ، فاذا نظر اليه رجع وخلع ثيابه ، وقال : لا يفتح أحد الباب ، فعجبت
لحديثها ، وبعثت بخادم كان لي يعرفه ، فأمرته أن يجلس بازائه ، وكانت العين تميل
اليه ، وتقدمت الى بعض أعواني أن يدعو الجار الأحذب ، فلما حضر عندي
أرسلت وراء غلامي لينهض الى ابن الرومي ، ويستدعيه الحضور ، فاني لجالس
ومعى الأحذب إذ وافى أبو حذيفة الطرسوسي ومعه برذعة الموسوس صاحب
المتعضد ، ودخل ابن الرومي فلما تخطى عتبة باب الصحن عثر فانه قطع شسع نعله ،
(١٢ - في)

فدخل مدعورا ، وكان اذا فاجأه الناظر رأى منه منظرا يدل على تغير حال ، فدخل وهو لا يرى جاره المتطير منه ، فقلت له : يا أبا الحسن أليكون شئ في خروجك أحسن من مخاطبتك للخادم ، ونظرك الى وجهه الجميل ؟ فقال قد لحقني ما رأيت من العثرة لأني فكرت أن به عاهة ، وهي قطع أنثيه ، قال برذعة وشيخنا يتطير ! قلت نعم ويفرط ، قال ومن هو ؟ قلت على بن العباس . قال الشاعر ؟ قلت نعم فأقبل عليه وأنشده

ولما رأيت الدهر يؤذن صرفه * بتفريق ما بيني وبين الحبايب
رجعت الى نفسي فوطنتها على * ركوب جميل الصبر عند النوائب
ومن صعب الدنيا على جور حكمها * فأيامه محفوفة بالمصائب
نفذ خلسة من كل يوم تعيشه * وكن حذراً من كامنات العواقب
ودع عنك ذكر الغال والزجر واطرح * تطير جارٍ أو تفاؤل صاحب
فبقى ابن الرومي باهتا ينظر اليه ، ولم أدر انه شغل قلبه بحفظ ما أنشده ، ثم قام أبو حذيفة وبرذعة معه ، فحلف ابن الرومي لا يتطير أبدا من هذا ولا من غيره ، وأوما الى جاره فقلت وهذا الفكر أيضاً من التطير ، فأمسك ، وعجب من جودة الشعر ومعناه ، وحسن أناه ، فقلت له ليتنا كتبناه ! قال اكتبه فقد حفظته ، وأملأه على

خوفه من ركوب البحر

ومن شدة حذره ، وعظيم تطيره ، قوله لأبي العباس بن ثوبة وقد ندبه الى الخروج اليه وركوب دجلة

حضضت على حطبي لنارى فلا تدع * لك الخير تحذيري شرور المحاطير
ومن يلق مالا قيت في كل مجتنى * من الشوك يزهد في الثمار الأتابير
أذاقني الاسفار ما كره الغنى * الى وأغراني برفض المطالبير

ومن نكبة لاقيتها بعد نكبة * رهبت اعتساف الارض ذات المناكب
فصبري على الإقتار أيسر مطلباً * على من التفرير بعد التجارب
لقيت من البر التباريح بعد * لقيت من البحر ايضاض الدوائب
سقيت على ربي به ألف مطرة * شغفت لبغضها بحب المجادب
ولم أبغها بل ساقها مكيدني * تلاعب دهر جدني كالملاعب
أبأن يغيث الارض حتى إذا رمت * برحلى أناها بالغيوث السواكب
سقى الارض من أجلى فأضحت مدلة * تمايل صاحبها تمايل شارب
فلت الى خان مرث بناؤه * تميل غريق الثوب لهفان لاغب
فمازالت في جوع وخوف ووحشة * وفي سهر يستغرق الليل واصب
يؤرقى سقف كأنى تحته * من الوكف تحت المدجئات الهواضب
يظل اذا ما الطين أنقل منته * تصر نواحيه صرير الجنادب
وكم خان سقر خان فأنقض فوقهم * كما انقض صقر الدجن فوق الأرانب
وما زال ضاحي البر يضرب أهله * بسوطي عذاب جامد بعد ذائب
فإن فاته قطر ونلج فانه * رهين بساف تارة وبجاصب
فذاك بلاء البر عندى شاتياً * وكم لى من صيف به ذى مثالب
ألا رب نار بالفضاء اصطليتها * من الصبح ودى افحها بالحواسب^(١)
فدع عنك ذكر البر إني رأيته * لمن خاف هول البحر شر المهارب
وما زال يبغي الحتوف مواربا * بحوم على قتلى وغير موارب
فطوراً يغادينى بلص مصلت * وطورا يمسئني بورد الشوارب
وأما بلاء البحر عندى فانه * طواني على روع مع الروح واقب
ولو تاب عقى لم ادع ذكر بعضه * ولكنه من هوله غير نائب
ولم لا ولو أليت فيه وصخرة * لو افيت منه القعر أول راسب

ولم أتعلم قط من ذى سباحة * سوى الغوص والمضغوف غير مغالب
وأيسر اشفاق من الماء أنى * أمر به فى الكوز مرّ الجانب
وأخشى الردى منه على كل شارب * فكيف بأمنيه على نفس راكب
أخذه من قول أبى نواس وقد رأى التماسح بمصر أخذ رجلا
أضمرت للنيل هجرانا ومقلية * مذ قيل لى انما التماسح فى النيل
فمن رأى النيل رأى العين عن كشب * فما أرى النيل الا فى البراقيل^(١)

رجع

أظل اذا هزته ريج ولألات * له الشمس أمواجاً طوال الغوارب
كأنى أرى فيهن فرسان بهمة * يليحون نحوى بالسيوف القواضب^(٢)
فان قلت لى قد يركب اليم طامياً * ودجلة عند اليم بعض المذائب^(٣)
فلا عذر فيها لا مرئى هاب مثلها * وفى اللجة الخضراء عذر لهائب
لدجلة حبّ ليس لليم انها * تراءى بحلم تحته جهل وائب
تطامن حتى تطمن قلوبنا * وتغضب من مزح الرياح اللواعب
ولليم انذار بغوص متونه * وما فيه من آذيه المتراكب^(٤)
وهى طويلة وفيها مر كفاية تنبئ عنه وتدل عليه ، ولومدّت أطناب الاختيار
لتتبع هذا النحو من شعره خرجت عن غرض الكتاب

العيافة والزجر

ومن مליح العيافة والزجر ما رواه الصولى قال : كان لأبى نواس اخوان
لا يفارقهم ، اجتمعوا يوماً فى موضع أخفوه عنه ، ووجهوا اليه برسول معه ظهر
قرطاس أبيض ، لم يكتبوا فيه شيئاً ، فخرموه بزير^(٥) ، وختموه بقار ، وتقدموا الى

(١) البراقيل: أوانى الشراب (٢) يليحون : يشيرون (٣) المذائب: القنوات
(٤) الآذى : الموج (٥) الزير : الوتر

رسولهم ليرمى بالكتاب من وراء الباب ، فلما رآه استعلم خبرهم ، وعلم أنه من فعلهم ، فتعرف موضعهم وآثارهم ، فأتاهم فأنشدهم

وجدت كتابكم لما أتاني * يمرّ بسائح الطير الجوّاري
نظرت إليه مخزوماً بيزير * على ظهر ومختوماً بقار
فقلت الزير مملوءةٌ ولهو * دخلت القار من دون العقار
ودخلت الظهر أهيف قرطقيا * يحيل العقل منه باحورار^(١)
فهت اليكم طرباً وشوقاً * فما أخطأت داركم بدار
فكيف ترونني وترون وجدى * ألت من الفلاسفة الكبار

وقال الطائي :

أضعضت عبرات عينك أن دعت * ورقاه حين أضعضت الإيظلام
لا تنشجن لها فان بكاءها * ضحك وان بكاءك استغرام
هنّ الحمام وان كسرت عيافة * من حائننّ فانهنّ حمام

أحمد ابن المدبر

وروى يموت ابن المزرع قال كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر فلم يرض شعره قال لعلامه امض به الى المسجد الجامع فلا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ، ثم خله ، فتحاماه الشعراء ، الا الأفراد المجيدين ، فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجل ، فاستأذنه في النشيد فقال قد عرفت الشرط قال نعم وأنشده

أردنا في أبي حسن مديحاً * كما بالمدح يتمتع الولاية
فقلنا أكرم الثقلين طرّاً * ومن كفاه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لىكن * جوائزهم عليهنّ الصلاة
فقلت لهم وما تغني صلاتي * عيالي إنما الشأن الزكاة

(١) قرطقيا : يلبس القرطق وهو لباس رقيق

فيأمر لي بكسر الصاد منها * فتصبح إلى الصلاة هي الصلوات
فضحك واستظرفه ، وقال من أين أخذت هذا ، قال من قول أبي تمام الطائي:
هن الحمام فان كسرت عياقة * من حائهن فانهن حمام
فأحسن صلته

ابو الفضل الميكالي

(وقال) الامير أبو الفضل الميكالي اقوم من أهل مرو انخلعوا عن طاعته
يارا كبا أضحي بنجب بعنسه * ليؤم مرو على الطريق المهيح
أبلغ بها قوما أناروا فتنه * ظلت لها الا كباد رهن تقطع
إذا قدموا ظلما على ساطانهم * بالغدر وانخلع الذميم المفظع
وبجل عقد لوائه واباحه * لجنابه وحرمة المتمنع
أبلغهم اني اتخذت لعلمهم * فالأله في القوم أسوأ موقع
أما اللواء وحله فمخبر * عن حل عقد بينهم مستجمع
وانخلع يخبران ستخلع عنهم الارواح بالقتل الأشد الأشنع
والغدر ينبي أن تغادر في الوغى * اسلاؤهم لنسوره والأضبع
والفرقتان فشاهد معنهما * بتفرق الجميعهم وتصدع
فقسموا لمقائى وتأهبوا * بدميم بغيكم لشر المصرع
فأنه ليس بغافل عن أمركم * حتى تحل بكم عقوبة موجع

عبد الوهاب الثقفي

قال أبو عثمان الجاحظ: سمعت النظام ، وذكر عبد الوهاب الثقفي ، قال :
هو أحلى من أمن بعد خوف ، وبرء بعد سقم ، ومن خصب بعد جذب ، وغنى
بعد فقر ، ومن طاعة المحبوب ، وفرج المكاروب ، ومن الوصال الدائم ،
والشباب الناعم

الجاحظ وابن أبي دؤاد

وكان الجاحظ ماثلاً عن ابن أبي دؤاد الى محمد بن عبد الملك الزيات ، فلما نكب محمد ابن عبد الملك أدخل الجاحظ على ابن أبي دؤاد مقيداً ، فقال له أحمد : والله ما أعلمك الا متناسياً للنعمة ، كفوراً للصنيعة ، معدداً للمساوى ، وما فتئ باستصلاحى لك ، ولكن الأيام لا تصلح منك ، لفساد طويتك ، ورداءة دخيلتك ، وسوء اختيارك ، وتغالب طباعك . فقال الجاحظ : خففْ عليك ، أصلحك الله ، فوالله لأن يكون لك الأمر على خير من أن يكون لى عليك ، ولأن أسمى وتحسن ، أحسن فى الأحداث من أن أحسن قسى ، ولأن أعفو غنى على حال قدرتك على ، أجمل بك من الانتقام منى . فعفا عنه

عقبة ابن أبي سفيان

قال سعد القصر مولى عقبة بن أبي سفيان : خطب عقبة الناس فى الموسم سنة احدى وأربعين والناس اذ ذاك حديثو عهد بالفتنة فقال : قد وكلنا هذا المقام الذى يضاعف فيه للمحسن الأجر ، والمسيء الوزر ، ونحن على سبيل قصد ، فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا ، فانها تقطع دوننا ، فرب متمن أمرأ احتفه فى أمنيته ، فاقبلوا منا العافية ، ما قبلناها منكم ، وأنا أسأل الله أن يعين كلاً على كل . فناداه اعرابى من ناحية المسجد : أيها الخليفة ، فقال لست به ولم تبعه ، قل يا أخاه ، قال سمعت فقل ، فقال : والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير من أن تسيئوا وقد أحسننا ، فان كان الاحسان منكم فما أولاً كم بتمامه ، وان كان منا فما أولاً كم بمكافأنا عليه ، وأنا رجل من بنى عامر بن صعصعة يمت بالعمومة ، ويختص بالخوولة ، كثر عياله ، ووطئه زمانه ، وفيه أجر ، وعنده شكر . فقال له عقبة : أستغفر الله منك ، وأستمعين به عليك ، وقد أمرت لك بفنائك ، فليت اسراعى اليك ، يقوم بإبطائى عنك !

الجاحظ وابن الزيات

قال الجاحظ تشاغلنا مع الحسين بن وهب أخى سليمان بن وهب بشرب
النبيذ أياماً ، فطلبني محمد بن عبد الملك لمؤانسته ، فأخبر باتصال شغلي مع الحسر
ابن وهب ، فتنكر لي ، وتلوّن عليّ ، فكتبت اليه رقعة نسختها : أعاذك الله
من سوء الغضب ، وعصمك من سرف الهوى ، وصرف ما أعارك من القوة المح
حب الانصاف ، ورجح في قلبك ايثار الأناة ، فقد خفت أيدك الله أن أكون
عندك من المنسويين الى نزق السفهاء ، ومجانبة سبل الحكماء ، وبعد فقد قال
عبد الرحمن بن حسان بن ثابت

وإن امرءاً أمسى وأصبح سالماً * من الناس إلا ما جنى لسعيد

وقال الآخر:

ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل
فإن كنت اجترأت عليك ، أصلحك الله ، فلم أجترئ إلا لأن دوام تغافلك
عني شبيه بالاهمال الذي يورث الإغفال ، والعفو المتتابع يؤمن من المكافاة ،
ولذلك قال عيينة بن حصن بن حذيفة لعثمان رحمه الله: عمر كان خيراً الى منك
أرهني فأتقاني ، وأعطاني فأغناني ، فإن كنت لاتهب عقابي أيدك الله لخدمة فيه
لا ياديك عندي ، فإن النعمة تشفع في النعمة ، وإلا تفعل ذلك لذلك فعد الى حسن
العادة ، والافعل ذلك لحسن الاحدوثة ، والافأت ما أنت أهله من العفو دون
ما أنا أهله من استحقاق العقوبة ، فسبحان من جعلك تعفو عن المتعمد ، وتنجاني
عن عقاب المصير ، حتى اذا صرت الى من هفوته ذكر ، وذنبه نسيان ، ومن
لا يعرف الشكر الا لك والانعام الامنك ، هجمت عليه بالعقوبة ، واعلم أيدك الله
أن شين غضبك على كزين صفحك عني ، وإن موت ذكرى مع انقطاع سببي
منك ، كحياة ذكرك مع اتصال سببي بك ، وأعلم ان لك فطنة عليم ، وغفلة
كريم ، والسلام

كلام علي بن أبي طالب

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أعجب ما في الإنسان قلبه ، وله مواد من الحكمة ، وأضداد من خلافتها ، فإن سنج له الرجاء أذله الطمع ، وإن هاجه الطمع أهلكه الحرص ، وإن ملكه اليأس قتله الأسف ، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وإن أسعد بالرضا نسي التحفظ ، وإن أتاه الخوف شغلته الحذر ، وإن اتسع له الأمن استلبته الغرّة ، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع ، وإن استفاد مالا أطغاه الغنى ، وإن عضته فاقة بلغ به البلاء ، وإن جهد به الجوع قعد به الضعف ، وإن أفرط في الشيع كظته البطنة ، فكل تقصير به مضر ، وكل إفراط له قاتل

عبد الرحمن بن حسان

البيت الذي أنشد الجاحظ لعبد الرحمن بن حسان في أبيات يقول فيها متى ما يرى الناس الغنى وجارُهُ * فقيرٌ يقولوا عاجزٌ وجليدٌ وليس الغنى والفقير من حيلة الفتي * ولكن أحاط قُسمت وجدود وإن امرأ يمسي ويصبح سالماً * من الناس إلا ما جنى لسعيد

محمد بن حازم

والبيت الذي أنشده بعده لمحمد بن حازم الباهلي في أبيات يقول فيها : إن كنت لا ترهب ذمي لما * تعلم من صفحي عن الجاهل فإخش سكوتي آذناً منصتاً * فيك لمسموع خني القائل فسامع الشرّ شريكٌ له * ومُطعم المأكول كالأكل مقالة السوء إلى أهلها * أسرع من منحدر سائل

ومن دعا الناس الى ذمه * ذممه يخلق وبالباطل
فلانسج ان كنت ذا إربة * حرب أخى التجربة الغافل
فان ذا العقل اذا هجمته * هجمت به ذا خبل خابل
تبصير في عاجل شداته * عليك غب الضرر الآجل

ابن الزيات

وفى ابن الزيات يقول الجاحظ :

بدا حين أترى لآخواني * فقتل منهم شبابة العدم
وأبصر كيف انقلب الزمان * فبادر بالعرف قبل الندم

مرض الجاحظ

قال بعض البرامكة كنت أتقلد السند فأتصل بي أنى صُرِفَتْ عنها ،
وكنت كسبت ثلاثين ألف دينار ، تخفت أن يفجأنى الصارف ، ويسعى اليه بالمال ،
فصغته عشرة آلاف أهليلجة فى كل أهليلجة ثلاثة مثاقيل ، وجعلتها فى رحلى ،
ولم أبعد أن جاء الصارف فركبت البحر ، وانحدرت الى البصرة ، فخبرت ان بها
الجاحظ وأنه عليل ، فأحببت أن أراه قبل وفاته ، فصرت اليه ، فأفضيت الى باب
دار لطيف ، فقرعته فخرجت الى خادم صفراء ، فقالت من أنت ؟ فقلت رجل
غريب أحب أن يدخل الى الشيخ فيسر بالنظر اليه ، فأدت ما قلت ، وكانت
المسافة قريبة لصفر الدهليز والحجرة ، فسمعته يقول : قولى له ، وما تصنع بشق مائل ،
ولعاب سائل ، ولون حائل ؟ فأخبرتنى فقلت لا بد من الوصول اليه ، فقال هذا
رجل قد اجتاز بالبصرة ، فسمع بى ، وبعلتى ، فقال أراه قبل موته ، لأقول قد
رأيت الجاحظ ، فدخلت فسلمت فردّ ردا جميلا واستدنانى ، وقال من تكون
أعزك الله ؟ فانتسبت له ، فقال رحم الله أبك ، وقومك الأسخياء ، الأجواد ،
الكرام ، الأجداد ، فلقد كانت أيامهم روض الأزمنة ، ولقد انجبر بهم خلق ،

فسقياً لهم ورعياً ، فدعوت له ، وقت أنا أسأل الشيخ أن ينشدنى شيئاً من الشعر
أذكره به ، فأنشدنى

لئن قُدمت قبلى رجال فطالما * مشيت على رِسلى فكنت المقدما^(١)
ولكن هذا الدهر تأتى صروفه * فتبرم منقوضاً وتنقض مُبرما
ثم نهضت فلما قاربت الدهليز صاح بى فقال : يا قى ، أرايت مفلوجا ينفعه
الا هليلج ، فقلت لا ، قال فأنا ينفعنى الا هليلج الذى معك ، فأنفذ إلى منه ،
فقلت السمع والطاعة ، وخرجت مفرط التمتع من وقوعه على خبرى ، حتى
كأن بعض أجباني كاتبه بخبرى حين صفته ، فأنفذت اليه مائة اهليلة

المقامة الجاحظية

(مقامة من انشاء البديع تتعلق بذكر الجاحظ)

قال حدثنا عيسى بن هشام قال : جمعنى مع رقعة وليلة ، وأجبت اليها للحديث
المأنور فيها عن رسول الله صل الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لأجبت ، ولو
أهدى الى ذراع لقبلت ، فأفضى بنا المسير الى دار قد فرش بساطها ، وبُسطت
أنماطها ، ومد سماطها ، وقوم قد أخذوا الوقت بين آس مخضود ، وورد منضود ،
ودن مفصود ، ونأى وعود ، فصرنا اليهم وصاروا الينا ، ثم عكفنا على خوان
قد ملئت حياضه ، ونورت رياضه ، واصطفت جفاته ، واختلفت ألوانه ، فمن حالاك
بازائه ناصع ، ومن قان فى تلقائه فاقع ، ومعنا على الطعام رجل تسافر يده على
الخوان ، وتسفر بين الألوان ، وتأخذ وجوه الرغفان ، وتفقأ عيون الجفان ،
وترعى أرض الجيران ، يزحم اللقمة باللقمة ، ويهزم المضغة بالمضغة ، وهو مع ذلك
ساكت لا ينبس ، ونحن فى الحديث نجري معه حتى وقف بنا على ذكر الجاحظ
وخطابته ، ووصف ابن المقفع وذراجه ، ووافق أول الحديث آخر الخوان ،
وزلنا عن ذلك المكان ، فقال الرجل : أين أنتم من الحديث الذى فيه كنتم ؟

فأخذنا في وصف الجاحظ ، واسنّه ، وحسن سننه في الفصاحة ، وسنّنه فيها عرفناه
فقال يا قوم ، لكل عمل رجال ، ولكل مقام مقال ، ولكل دار سكان ، ولكل زمان
جاحظ ، ولو انتقدتم ، لبطل ما اعتقدتم . فكلّ كشر له عن ناب الانكار ،
وشم بأنف الاكبار . وضحكت اليه ، لأجلب ما لديه ، وقلت أفدأوزدنا ، فقال ان
الجاحظ في أحد شقيّ البلاغة يقطف ، وفي الآخر يقف ، والبليغ من لم يقصر
نظمه عن نثره ، ولم يزد كلامه بشعره ، فهل ترون للجاحظ شعرا رائعا ؟ قلنا لا ،
قال فهموا الى كلامه : فهو بعيد الاشارات ، قريب العبارات ، قليل الاستعارات ،
منقاد لريان الكلام يستعمله ، نفور من معنّاصه يهدله ، فهل سمعتم له بكلمة غير
مسموعة ، أو لفظة غير مصنوعة ؟ فقلت لا ، فقال هل تحب أن تسمع من الكلام
ما يخفف عن منكبيك ، وينم على مافي يديك ؟ فقلت إى والله ، قال فأطلق لى
عن خنصر ك ، ما يعين على شكر ك ، فأنلته ردأى فقال

أعمر الذى ألقى الى ثيابه * لقد كسبت تلك الثياب به مجدا
وقد قرّته راحة الجود بزة * فما ضربت قدحا ولا نصبت نردا
أعد نظراً يأمن كسانى ثيابه * ولا تدع الأيام تهديمى هذا
وقل للألى إن أسفروا أسفروا ضحى * وإن طلّعوا فى غمة طلّعوا سعدا
صلوا رحم العلىا وبلّوا لهاتبا * نخير الندى ماسح وابله نقدا
قال عيسى بن هشام فارتاحت الجماعة اليه ، وانثالت الصلات عليه ،
وقلت لما تآسنا ، من أين مطلع هذا البدر ؟ فقال

اسكندرية دارى * لو قرّ فيها قرارى
لكن ليلى بنجد * وبالبحار نهارى

أردشير بن بابك

تظلمت رعية أردشير بن بابك اليه فى سنة مجدية اعجزهم عن الخراج ،
وسألته أن يخففه عنهم ، فكتب لهم ما نسخته : من أردشير المزيد بالبهاء ، ابن الملوك

الغطاء ، الى الفقهاء الذين هم حفظة البيضة ، والكتاب الذين هم ساسة المملكة وذوى الحرث الذين هم عمرة البلاد ، أما بعد فإننا نحمد الله تعالى حمد الصالحين ، وقد وضعنا عن رعيتهما بفضل رأفتنا أنوارتنا الموظفة عليهم سنتنا هذه ، ونحن كاتبون مع ذلك نعلمهم بوصية تنفع الكل : لا تستشعروا الحقد لئلا يغلب عليكم العدو ، ولا تحبوا الاحتكار لئلا يشملكم القحط ، وكونوا للغرباء مؤوين ، لتؤووا غدا في المعاد ، وتزوجوا في القرابة فإنه أحسن للرحم ، وأثبت للنسب ، ولا تعدوا هذه الدنيا شيئا فإنها لا تبقى على أحد ، ولا ترفضوها مع ذلك فإن الآخرة لا تنال إلا بها

نزر جهمر

وقيل ابنز جهمر أى الاكتساب أفضل ؟ قال : العلم والأدب كنزان لا ينفدان ، وسراجان لا يطفآن ، وحلتان لا تبليان ، من نالهما أصاب الرشاد ، وعرف طريق المعاد ، وعاش رفيعا بين العباد (وقال) أنوشروان ابنز جهمر لما ظفر به : الحمد لله الذى أظفرنى بك ، قال له فكافئه بما يحب كما أعطاك ما تحب قال وبم أ كافئه يافاسق ؟ قال بالعفو عمن أظفرك به اليوم ، كما تحب أن يعفو عنك غدا . ونظير هذا الكلام قد تقدم اعلى رضى الله عنه

خير الملوك

وقيل لكسرى أى الملوك أفضل ؟ قال الذى اذا حاورته وجدته عليا ، واذا خبرته وجدته حكيما ، واذا غضب كان حليما ، واذا ظفر كان كريما ، واذا استمنح منح جسيما ، واذا وعد وفى ، وان كان الوعد عظيما ، واذا شكى اليه وجدر حيا

بين الميكالى والثعالبي

(كتب الأمير أبو الفضل الميكالى الى أبى منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي) كتابى وأنا أشكو اليك شوقا لوعالجه الاعرابى لما صبا الى رمل عاج ، أو كابدته الخلى لانتنى على كبدي ذات حرق ولواعج ، وأذم زمانا يفرق فلا

يحسن جمعاً ، ويخرق فلا ينوى رقماً ، ويوجع القلب بتفريق شمل ذوى الوداد ،
ثم يبخل عليهم بما يشفى الصدور والأكباد ، قاسى القلب فلا يلين لاستعطاف ،
جائر الحكم فلا يميل الى انصاف ، وكما أستعدي على صرفه وأستنجد ، وأتلفى
غيظاً عليه وأنشد

مضى وعسى يثنى الزمان عنانه * بعثرة حال الزمان عثور
فتدرك آمال وتقضى مآرب * ونحدث من بعد الأُمور أمور

وكلاً ، فما على الدهر عتب ، ولا له على أهله ذنب ، وإنما هى أقدار تجري
كما شاء مجربها ، وتنفذ كالسهم الى مراميها ، فهى تدور بالمكروه والمحبوب ،
على الحكم المقدور المكتوب ، لا على شهوات النفوس ، وإرادات القلوب ،
وإذا أراد الله تعالى أذن فى تقريب البعيد التازح ، وتسهيل الصعب الجامح ،
فيعود الأُنس بلقاء الاخوان كأنهم لم يزل معهوداً ، ويجدد لهذا كرامة والمؤانسة
رسوماً وعهوداً ، انه الملتبى به ، والقادِر عليه

من الميكالى الى أبيه

وله الى أبيه : لو ملكك عنان اختياري ، وأسعفتى ببعض ما أقترحه
القدر الجارى ، لما غبت عن حضرة آنسها الله ساعة من دهرى ، كلاً أعد
ساعات بعدى عنها وإخلاى لبابها من أيام عمرى ، ولكنى أبداً ما نلتها فى زمرة
الخدم والعبيد ، جامعاً بها بين حاشيتى العز المديد ، والشرف العتيق ، لا سيما
فى هذا الوقت ، وقد أشرقت البلاد بنور طلعتة التى هى فى ظلمة الدهر صباح ،
وعز مطالعته التى فيها لصدور ذوى الشناشجى ولزند الآمال اقتداح ، ومعاودة
ظله التى أضحت الشمس من حساده ، والزمان من عدد ساكنيه وعقاده ، الا
أن الحريص كما علمه مولانا مخلى عن أعذب موارد ، وممنوع بالعوائق عن أكرم
مطالعه ومقاصده

ومنه الى بعض اخوانه

وله يستفتح مكاتبة بعض اخوانه : انا وان لم تنقدم بيني وبينه المكاتبة وعادة
المساجلة والمفاوضة ، من فرط حرصى على افتتاحها وتماطيتها ، واعتراض العوائق
دون المراد والغرض فيها ، فان قلبي يوده مغرور ، وضميري على مصافاته مقصور ،
فاعتداده لفضائله التى أصبح فيها أو حدى العنان ، وزاحم فيها منكب العنان ،
واستأثر فيها بالغرر والاضاح ، ما أوفى بها على غرة الصباح ، حتى تشاهدت بها
ضماثر القلوب ، وتبادت أنباءها السنة البعيد والقريب ، اعتداد من يجمع بالاعتداد
لها بين شهادة قلبه ولسانه ، ومن ينظم فى اجلال قدرها صفقة اسرارده واعلانه ،
فهو يتنسم الريح اذا هبت من ناحيته شوقا ونزاعا . ويستلمى الوارد والصادر خبر
سلامته انصياعا بالود اليه وانقطاعا

شذور من كلامه

(شذور من كلامه فى أثناء رسائل شتى) أياديه التى غمرتني سجالاتها ، واتسع
عندى مجالها ، وأعيا شكرى عفوها وانثيالها ، تناولت فيها المتى دانية القطوف ،
واجتليت أنوار العيش مأمونة الكسوف ، ليس يكاد يبرد غليل شوقى وحنينى ،
أو ترجع نافرة انسى وسكونى ، أو تخلو من الاهتمام والفكرة فيه خواطرى وظنونى
الا بالتقام يدنو أمدد ، ويقرب موعد . وتعلو على الفراق يده ، فتعاود العيش
طارقا غزيرا ، ونجتني ثمر المتى غضا نضيرا ، ونجتلى وجه الزمان مشرقا منيرا ،
فوائدها عندى أثر الغمام أو أنفع ، ومحل السماك أو أرفع . حالى فى مفارقة حضرته
حال بنات الماء قد نضب عنها الغدير ، وبنات الأرض أخطأها النوء المطير —
لهفى على دهر الحداثة اذ غصن شبابى غض وريق ، وتقل شرابى غض وريق ،
— كلام أحلى من ريق النحل . وأصفى من ريق الوابل — من أسود قبل وقته وآكله
فقد تعرض لمقته وإذالته . نظمه له

ان من يلتمس الصد * رَ بلا وقت وآله
لحقيق أن يُلقى * كل مقت وإذاله

الشكل للكتاب ، كالحلى للكعب — لو كان الشباب فضة لكان الشيب له
خبثاً — النعمة عروس مهرها الشكر ، وثوب صونه النثر — الخضاب تذكرة
الشباب — لا تقاس المماوى بالمراقى ، ولا الاقدام بالتراقى ، ولا البحور بالسواقى —
كم أبلانى من عرفٍ جزيل لا يبلى الدهر جدّة ردائه ، وقضانى من دين تأميل
لا يقضى الشكر حق نعمائه — الشكر للنعمة نتاج ، والكفران لها رتاج ، وكلما
زدت النعمة شكراً ، زادت طيباً ونشراً

نماذج من شعره

(قطعة من شعره فى تجنيس القوافى) قال فى أبيه :

مبتدعاً فى شمائل المجد خيماً * ما اهتمدنا لأخذناه واقتباسه
فهو فظ بالمال وقت نداءه * وجواد بالعفو فى وقت باسه
وقال فيه :

إذا ما جاد بالأموال نئى * ولم تدركه فى الجود الندامة
وان هجست خواطره بجمع * لريب حوادثٍ قال الندى مه (١)
وقال فيه :

ولما تنازع صرف الزمان * فزعنا الى سيد نابه
إذا كشر الدهر عن نابه * كشفنا الحوادث عنا به
وقال فيه :

ان نأبنا خطب قارأوه * تغنى عن الجيش وتسريه
وان دجا ليل بدا نوره * لاركب نجما فهو يسرى به

(١) مه : اسم فعل بمعنى اكفف

وقال يفتخر

وكم حاسد لي ابرى فانتى * لعضة نفس شجاها شجاها
ومن أين يسمو لنيل العلى * وما بث مالا ولا راش جاها
ومنها قوله

وسائلة تسائل عن فعلى * وعمّا حاز في الدنيا جمالى
فقلت الى المعالى حنّ قلبى * وفى سبيل المكارم لج مالى
وللعلىاء نهجٌ مستقيمٌ * فعلى ناركا ذا النهج مالى
اذا أمرجت في نحر سبابى * فعلى والنجار فألجمالى
وقال في نوع من هذا الجنس

ومن يسر فوق الارض يطلب غاية * من المجد يسرى فوق جمجمة النسر
ومن يختلف في العالمين نجاره * فإنّ آمن العلياء نجري على نجر^(١)
ومن يتجر في المال يكسب ربحه * فبالمال نشري رابح الحمد والنثر
وعلى نحو هذا الخنود يقول أبو الفتح البستي

أبا العباس لا تحسب بأنى * لشيء من حلى الاشعار عار
ولى طبع كسلسال المجارى * زلال من ذرى الاحجار جارى
اذا ما أكتب الادوار زندياً * فلى زند على الادوار وارى
وقال أبو الفتح البستي أيضاً

بسيف الدولة اتسقت أمور * رأيناها مبددة النظام
سما وحى بنى سام وحام * فليس كمثله سايّم وحام

(١) النجر والنجار : الاصل

أدب الحاجب

قال بعض الملوك لحاجبه : انك عيني التي أنظر بها ، وجنتي التي أستند إليها ، وقد وايتك بابي ، فما تراك صانعاً برعيتي ؟ قال أنظر اليهم بعينك ، وأحلمهم على قدر منازلهم عندك ، وأضعهم لك في إبطائهم عن بابك ، ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم ، وأرتبهم حيث جعلهم ترتيبك ، وأحسن ابلاغك عنهم وابلاغهم عنك . قال قد وفيت بما عليك قولاً ، ان وفيت به فعلاً ، والله ولم كفايتك ومعاونتك

مراتب ألقافدين على الملوك

قال المهدي للفضل بن الربيع : إني قد وايتك سنر وجهي وكشفه ، فلا تجمل الستريني وبين خواصي سبباً لضعفهم بقبح ردك ، وعبوس وجهك ، وقدم أبنا الدعوة فانهم أولى بالتقديم ، وثني بالأولياء ، واجعل للعامة وقتاً إذا دخلوا أعجلهم ضيقه عن التلبث ، وصرفهم عن التمسك

الحسن بن سهل

وقال الحسن بن سهل : إذا كان الملك محتجباً عن الرعية ولم ينزل الوزير نفسه منزلة تكون وسائل الناس إليه أنفسهم واستحقاقهم دون الشفاعات والحرمان حتى يختص الفاضل دون المفضول ، ويرتب الناس على أقدارهم وأوزانهم ومعرفتهم امتزج التدبير ، واختلت الأمور ، ولم يميز بين الصدور والأعجاز ، والنواصي والاذناب ، وكان الناس فوضى ، ووهت أسباب الملك ، وانتقضت مرائره وشاعت سرائره ، وإن أقرب ما أرجو به صلاح ما أتولاه استماعي من المنتسمين بأنفسهم ، المتوسلين بأفهامهم ، المتوصلين بكفائتهم ، وابتدال نفسي لهم ، وصبري

عليهم ، وتصفح ما توسلوا به وانتحلوه : من العقول ، والآداب ، والحماية والكفاية . فمن ثبتت له دعواه أنزلته تلك المنزلة ، ولم أتخيفه حقه ، ولا نقصته حظه ، ومن قصر عما ادعى كانت منزلته منزلة المقصرين ، ولم أخيب أمله من مقدار ما يستحقه

حكمة مأثورة

وقال بعض البلغاء : اذا أسدل الوالى على نفسه ستر الحجاب ، وهى عمود تدبيره ، واسترخت عليه جمائل الحزم ، وازدلفت اليه وفود الذم ، وتولى عنه رشد الراجى ، ونال أموره خلل الانتشار ، وآفة الاهمال ، وتسرع اليه العائبون بلواذع ألسنتهم ، وديب قوارضهم

سعيد بن عبد الملك

وحجب سعيد بن عبد الملك عن عبيد الله بن سليمان فكتب اليه : سرت الى بابك أعزك الله عند ما حدث من أمرك ، فلم يقض لقاءك ، وعلمت أن ثقتك بما عندى قد مثلت لك حالى من السرور بنعمة الله عندك ، وأرتك موضعى من الاعتداد بكل ما خصك ، ووصل اليك ، فوكت العذر الى ذلك ، ثم إنا نأتيك متيمين بطلعتك ، مشتاقين الى رؤيتك ، فيحجبنا عنك ملاحظ ، وهو كما علمت زئيم الصنعة ، لئيم الطبيعة ، يحجب عنك الكرام ، ويأذن عليك للثام ، كلما نجمت له يد بيضاء ، أتبعها يدا سوداء ، فإن رأيت أعزك الله أن تصرفه عن باب مكارمك فعلت ان شاء الله

وصف قتي ماجد

وقال أبو السمط بن أبى حفصة

قتى لا يبالى المدجلون بنوره * الى بابه أن لا تنفى الكواكب
له حاجب فى كل خير يعينه * وليس له عن طالب العرف حاجب

أخذ البيت الأول من قول جده مروان بن أبي حفصة الأكبر
إلى المصطفى المهدي خاضت ركابنا * دجى الليل يحيطن الشربج المخدما
يكون لها نور الامام محمد * دليلاً به تسرى اذا الليل أظلم
وقال ادريس بن أبي حفصة وذكر ابلا

ها أمامك نور تستضيء به * ومن رجائك في أعناقها حادى
لها أحاديث من ذكراك تشغلها * عن الرتوع وتلهيها عن الزاد
وأصله قول عمرو بن شأس الأسدي
اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا بوجهك هاديا
أليس يزيد العيس خفة أذرع * وان كن حسرى أن تكون أماميا^(١)
النجاة باسم الحبيب

وقال بعض أهل العصر
وليل وصلنا بين قطريه بالشرى * وقد جد شوق مطمع فى وصالك
أربت علينا من دجاء حنادس * أعدن الطريق النهج وعر المسالك
فناديت يا أسماء باسمك فأنجلت * وأسفر منها كل أسود حالك
بنا أنت من هادٍ نجونا بذكره * وقد نشبت فينا أكف المهالك
منحتك اخلاصى وأصفيتك الهوى * وان كنت لما نخطرني ببالك

ضوء الأ حساب

وقال القطامي
ذكرتكم ليلاً فنور ذكركم * دجى الليل حتى انجاب عنه دياجره
فوالله ما أدرى أضوء مسجّر * لذكركم أم يسجر الليل ساجر
وقال القيني

وانى من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قلم صاحبه

نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكب
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى انظم الجزع ثاقبه
وقال الخطيئة

نمشى على ضوء أحساب أضان لنا * كما أضاءت نجوم الليل للشارى
وقد رددته فى موضع آخر فقال

هم القوم الذين اذا ألت * من الأيمل مظلمة أضاءوا

وكلام القاسم بن حنبل المدنى من هذا حيث يقول

من البيض الوجوه بنى سنان * لو انك تستضى بهم أضاءوا
فلو ان السماء دنت لمجد * ومكرمة دنت لهم السماء
هم حازوا من الشرف المعلن * ومن كرم العشيرة حيث شاؤوا

وقال بعض المتقدمين

اذا أشرقت فى جنح ليل وجوههم * كفوا خابط الظلماء فقد المصباح
وان ناب خطب أو ألت مامة * فكم ثم من آسى جراح وجراح
وقال أبو بديل الوضاح بن محمد التيمى فى المستعين

وقائلة والليل قد نشر الدجى * فغطى بها ما بين سهل وقرد^(١)
أرى بارقاً يبدو من الجوسق الذى * به حل ميراث النبى محمد
أضاءت له الآفاق حتى كأنما * رأينا بنصف الليل نور ضحى غد
فضل عذارى الحى ينظم تحتها * سلوكاً من الجزع الذى لم يسرد
فقلت هو البدر الذى تعرفونه * والا يكن فالنور من وجه أحمد

حث الشوق

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة في معنى قول عمرو بن شاس في حث
الاشتياق

خليلى ما بال المطايا كأنما * تراها على الاعقاب بالقوم تنكص
فقد أتعب الحادى سراًهن وأنحنى * بهن فما بالوا عَجولٌ مقلّص
وقد قَطعت أعناقهن صباية * فأعينها مما تكلف تشخص
يزدن بنا قرباً فيزداد شوقنا * إذا ازداد قرب الدار والبعد ينقص
وقال بعض الرجاز وذكر ابلا

ان لها لسائماً خداجاً * لم يدلج الليلة فيمن أدلجا
يريد امرأة يحبها فيحنه ما يجده من الشوق على اجهاد مطايا بالسوق . كما أنشد
اسحق الموصلى

صب يحث مطايه بذكركم * وليس ينساكم إن حل أو سارا
لو يستطيع طوى الأيام نحوكم * حتى يبيع بعمر القرب أعمارا
يرجو النجاة من البلوى بقربكم * والقرب يلهب فى أحشائه نارا
هذا البيت يناسب أبيات ابن أبي ربيعة . يقول كلما دنا ازداد حرصا على اللقاء

اسحق الموصلى

وشخص اسحق الموصلى الى الزائق بسر من رأى وأهله ببغداد فتصيّد
الزائق وهو معه الى نواحي عكبراء فلما قرب من بغداد قال
طربت الى الاصبية الصغار * وهاجك منهم قرب المزار
وكل مسافر يزداد شوقاً * اذا دنت الديار من الديار
ولحنه وغناه الزائق فاستحسنه وأطربه فصرفه الى بغداد على ما أحب ، وكان
اسحق قال أولا

وكل مسافر يشواق يوماً * اذا دنت الديار من الديار
فعاثوا قوله يوماً ، وقالوا هي لفظة قلقة في هذا الموضع ، لم تحل بمركرها ،
ولا لها هنا موقع ، قال فضعوا مكانها مثلها لا خيراً منها فما استطاعوا ذلك ، فغيرها
الى ما أنشدت أولاً

وقال أبو نواس

أما الديار فقلما لبثوا بها * بين اشتياق العيس والركبان
وضعوا سياط الشوق فوق رقابها * حتى طلعت بها على الاوطان

مخلد بن بكار

وقال مخلد بن بكار الموصلي

أقول لنضو أنفد السير نيتها * ولم يبق منها غير عظم مجلد^(١)
خدي بي ابتلاك الله بالشوق والهوى * وشاقك تحنان الحمام المفرد^(٢)
فمرت سريعاً خوف دعوة عاشق * تشق بي المومة في كل فدفد
فلما وئت في السير ثنيت دعوتي * فكانت لها سوطاً الى ضحوة الغد

وكان مخلد حلو الطبع وهو القائل بمدح رجلا

يطلع النجم على صعدته * فاذا واجه نحرأ أفلا
معرش^١ ان ظمئت أرواحهم * أوردوهن مجاجات الطلا
تحسن الالوان منهم في الوغى * حين تستنكر للرعب الحلى
سخط عبد الله يدنى الاجلا * ورضاه يتعدى الاملا
يعشب الصلد اذا ساله * واذا حارب روضاً أمحلا
حل بالبأس ابن عمرو منزلاً * طال حتى قصرت فيه العلى
حط رحلى في ذراه جوده * وتمشى في نداه الخيزلى^(٣)

(١) الشحم (٢) خدي : سيري (٣) الخيزلى : مشية في تناقل

جودة الخط

سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة ، فقال : إذا اعتدلت أنفاسه ، وطالت ألفه ولامه ، واستقامت سطورده ، وضاهى صعودده حدودده ، وافتحت عيونه ، ولم تشبه راؤه ونونه ، وأشرق قرطاسه ، وأظلمت أنفاسه ، ولم تختلف أجناسه ، وأسرع الى العيون تصوّره ، والى العقول ثمره ، وقدرت فصوله ، واندمجت أصوله ، وتناسب دقيقه وجليله ، وخرج من نمط الوراقين ، وبعد عن تصنع المحدرين ، وقام لصاحبه مقام النسبة والخلية ، كان حينئذ كما قال صاحب هذا الوصف في صفة خط

إذا ما تجلّل قرطاسه * وساوره القلم الأرقش
تضمن من خطه حلة * كمنش الدنانير بل أنقش
حروف تعيد لعين الكلّيل * نشاطا ويقرؤها الاخفش

شكوى وراق

قال أبو هفان سألت وراقاً عن حاله فقال : عيشي أضيق من محبرة ، وجسمي دق من مسطرة ، وجاهي أرق من الزجاج ، ووجهي عند الناس أشد سواداً من الحبر بالزاج ، وحظي أخفى من شق القلم ، ويداي أضعف من قصبة ، وطعامي أمر من العفص ، وشرابي أحر من الحبر ، وسوء الحال ألزم لي من الصمغ ! فقلت له عبرت عن بلاء ببلاء !

شعر الحمدوني

وقال الحمدوني

ثنتان من ادوات العلم قد ثنتا * عنان شأوى عمارت من همى
أما الدواة فأدمى جرمها جسدي * وقلم الخط تحريف من القلم
وحبّرت لي صحف الحرف محبرة * تذودعني سوام المال والنعم

والعلم يعلم انى حين آخذه * لعصمتى نافر خلو من العصم
والحمدونى فى الحرفة اشعار مستظرفة ، وكان مليح لافئنان ، حلو التصرف
وهو اسماعيل بن ابراهيم بن حمدويه ، وحمدويه جده وهو صاحب الزنادقة
فى أيام الرشيد ، والحمدونى القائل

من كان فى الدنيا له شارة * فنحن من نظارة الدنيا
نرمقها من كتب حسرة * كأننا لفظ بلا معنى

وقال

قد قلت اذ خرجوا الكى يستمطروا * لا تقنطوا واستمطروا بذيابى
لو فى حزيران هممت بغساها * غطى ضياء الشمس جو سحاب
فكأنها العباس يستسقى به * عمر فيرويههم دعاء عجاب

حرفة الادب

وقال آخر فى المعنى الأول

لما أجدت حروف الخط حرفتى * عن كل حظ وجاءت حرفة الادب
أقوت منازل مالى حين ووطنها * مخيما سقط الاقلام والمكتب

وقال يعقوب الخزيمى

ما زددت فى أدبى حرفاً أسر به * الا تزيدت حرفاً نحتت شوم
كذلك من يدعى حذقا بصنعتهم * أنى توجه فيها فهو محروم

ولما قتل المقتدر أبا العباس بن المعتز وزعم انه مات حتف أنفه قال

على بن محمد بن بسام

لله درك من ميت بمضيعة * ناهيك فى العلم والادب والحسب
ما فيه لو ولا ليت فينقصه * وانما أدركته حرفة الادب

فتنة وحرمان!

قال ابن الرومي

يا ليت أهل البيت اذْ حُرِّمُوا * عُصِمُوا من الشهوات والفتنِ
لكنهم حرموا وما عُصِمُوا * فقلوبهم مرضى من الحزنِ
وهم أطبُّ على بليتهم * من غيرهم بمضاضة الشجنِ
وقال جعفر بن محمد : ان الله وسَّعَ أرزاقَ الحقِّ ليعتبر العقلاء ويعلموا أن
الدنيا لا ينال ما فيها بعقل ولا حيلة ، الا أن كسب المال بالحظ ، وحفظه بالعقل

ابراهيم النظام

قال ابراهيم بن سيار النظام : الذهب لثيم لأن الشكل يصير الى شكاه ،
وهو عند اللثام أكثر منه عند الكرام . قال المتنبي وأخذ هذا المعنى
وشبهه الشيء منجذباً اليه * وأشبهنا بدنيانا الطغامُ
وكان النظام له نظر بوجوده التصرف ، وكان السلطان يصله بالكثير ، وكان
محظوظاً ، فاذا اجتمع له مال حبس لنفسه بُلغة وفرَّق الباقي في أبواب المعروف ،
فقليل له في ذلك فقال : من حق المال على أن أطلبه من معدنه ، وأصيب به الفرصة
عند أهله ، ومن حق عليه أن يقبني السوء بنفسه ، ويصون عرضي بإبتداله ، ولا
يفعل ذلك الا بأن أسمح به ، ألا ترى ذا الغنى ما أذوم نصيبه ، وأقل راحته ،
وأخس من ماله حظه ، وأشد من الأيام حذرده ، وأغرى الدهر بثلبه ونقصه ، ثم
هو بين سلطان برعاه ، وذوى حقوق يسبونته ، وأكفاء يتنافسونه ، وولد يريدون
فراقه ، قد بعث عليه الغنى من سلطانه العناء ، ومن أكفائه الحسد ، ومن أعدائه
البنى ، ومن ذوى الحقوق الذم ، ومن الولد الملال . وذو البلغة قنع ، فدام له السرور
ورفض الدنيا ، فسلم من المحذور ، ورضى بالكفاف ، فتنكبته الحقوق

أفكار الوراقين

قال الصولي أنشدني محمد بن أحمد بن اسحاق :

أدمى البكا جفني والمآقي * فظلت ذا هم وذا احتراق
ما إن أرى في الأرض والآقي * أدنى ولا أشقى من الوراق
إذا أتى في القمص الأخلاق * رأيت مطيرة العشاق^(١)
يفرح بالأقلام والأوراق * كفرحة الجندي بالارزاق

وقال بعض الوراقين :

إذا كنت بالليل لا أكتب * وطول النهار أنا لعب
فطوراً يبطلني مأكل * وطوراً يبطلني مشرب
فإن دام هذا على ما أرى * فبيني أول ما يخرّب
وقيل لوراق : ما نشتهي ؟ فقال قلما مشاقاً ، وحبراً براقاً ، وجلوداً رقاقاً .
وكل امرئ أمنيته على ما يطابق غريزته ، ويوافق نخبته

أمانى الشعراء

قال علي بن جبلة العكوك قال الأصمعي سئل امرؤ القيس : ما أطيب لذات الدنيا ؟ قال بيضاء رعبوبة ، بالحسن مكبوبة ، بالشحم مكروبة ، بالمسك مشبوبة .
وسئل الأعشى عن ذلك فقال : صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية
وسئل طرفة عن ذلك فقال : مركب وطى ، وثوب بهي ، ومطعم شهى . قال
العكوك فحدث بهذا أبادأف فقال

أطيب الطيبات قتل الأعادي * واختيال على متون الجياد
ورسول يأتي بوعد حبيب * وحبيب يأتي بلا ميعاد

(١) القمص جمع قميص ، والأخلاق جمع خلق بفتح الحاء وهو البالي

وحدثت بذلك حميدا الطوسي فقال :

فلولا ثلاث هن من لذة الفنى * وجدك لم أحفل منى قام عودى
فمن سبق العاذلات بشربة * كميت منى ما أعل بالماء نزل
وكرى إذا نادى المضاف مجنبا * كسيد الغضى ذى السورة المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * بيهكنة تحت الخباء الممدد
الشعر لطفة بن العبد ، وحدثت بذلك يزيد بن عبد الله فقال ما أدرى ما قالوا ،
ولكنى أقول

فاقبل من الدهر ما أتاك به * من قر عينا يعيشه نفعه

فكان أسدّهم :

الاضبط بن قر يع

والبيت الأضبط بن قر يع أنشده أبو العباس ثعلب . قال وبلغنى أن هذه
الآيات قبلت قبل الاسلام بدهر طويل

لكل ضيق من الأمور سعة * والصبح والمساء فلاح معه
ما بال من سرّه مصابك لا * يملك شيئا من أمره وزعه
أذود عن حوضه ويدفعنى * يقوم من عاذرى من الخدعه
حتى إذا ما انجلت عمايته * أقبل يلحى وغيبه فجعه
قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابس * ويلبس الثوب غير من قطعه
فاقبل من الدهر ما أتاك به * من قر عينا يعيشه نفعه
وصل حبال البعيدان وصل الحبل * وأقص القريب ان قطعه
ولا تعاد الفقير عليك أن * تركم يوما والدهر قد رفعه

هذا البيت شبيه بما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كثيرا ما يستنشدنى قول اليهودى

ارفع ضعيفك لا يجرُ بك ضعفه * يوما فتدركه العواقب قد نسا
بجزيك او يثنى عليك وان من * أننى عليك بما فعلت كمن جزى
فأنشده فيقول انى فطن لها . وكان الاضبط سيد بنى سعد ، وكانوا يشتمونه
ويؤذونه ، فانتقل الى حى من العرب فوجدهم يؤذون ساداتهم ، فقال حيث ما أوجه
ألق سعدا ! فذهبت مثلاً ، قال الطائى
فلا تحسبن هنداً لها الغدر وحدها * سجية نفس كل غانية هند

وصف محبرة

قال بعض الكتاب يصف محبرة
ولقد مضيت الى المحدث آفئاً * واذا بحضرته ظباء رُتِعُ
واذا ظباء الانس تكتب كل ما * يُبلى وتحفظ ما يقول وتسمع
يتجاذبون الخبر من مامومة * بيضاء تحملها علائق أربع
من خالص البلور غير لونها * فكانها سبج يلوح ويلمع
إن نكسوها لم تسل ومليكمها * فيما حوته عاجلا لا بطمع
ومنى أمالوها لوشف رضاها * أدّاه فوها وهى لا تمنع
وكأنها قلبى يرضن بسرّه * أبداً ويكنم كل ما يستودع
يمتاحتها ماضى الشباة مذلق * يجرى بعيدان الطروس فيسرع
رجلاه رأس عنده لكنه * يلقاه برد حفاة ساعة يقطع
وكأنه والخبر يخضب رأسه * شيخ لوصل خريدة يتصنع
لم لا ألاحظه بعين جلالة * وبه الى الله الصخائف ترفع
وقال أبو الفتح كشاجم

محبرة جاد لى بها قر * مستحسن الخلق مرتضى الخلق
جوهرة خصتى بجوهرة * ناطت له المكرمات فى عنق

بيضاء والخبر في قرارتها * أسود كالمسك جد منفتح
 مثل بياض العيون زينه * مسود ما شابه من الحدق
 كأنما حبرها اذا نشرت * أقلامنا ظله على الورق
 كحل مرته العيون من مقل * نجل فاوقت به على يقق
 خرساء لكنها تكون لنا * عوناً على علم أفصح النطق
 وقال عبد الله بن أحمد: القلم امرأة، مالم يكتحل بأحمد الدواء^(١)

العمل قبل المال

وكتب ابراهيم بن العباس كتاباً فاراد محو حرف فلم يجد منديلاً فحاه بكمه ،
 فقيل له في ذلك فقال : المال فرع ، والعلم أصل ، وإنما بلغنا هذه الحال ، واعتقدنا
 هذه الاموال ، بهذا القلم والمداد ، ثم قال

اذا ما الفكر أضمر حسن لفظ * وأداه الضمير الى العيان
 ووشاه ونمنه مسد * فصيح بالمقال وباللسان
 رأيت حلى البيان منورات * تضاحك بينهما صور المعاني

آلات الكتابة

(ألقاظ لاهل العصر في أوصاف آلات الكتابة والدوى والاقلام)
 الدواة من أنفع الادوات ، وهى للكتابة عتاد ، وللخاطر زناد — غدير
 لا يردده غير الافهام ، ولا يتمتع بغير أرشية الاقلام^(٢) — دواة أنيقة الصنعة ، رشيقة
 الصبغة ، مسكية الجلد ، كافورية الحلية — غدير تفيض بنباييع الحكمة من أقطاره ،
 وتنشأ سحب البلاغة من قراره — دواة تداوى مرض عُفانك ، وتدوى قلوب

(١) أمره : فسدت عينه من قلة الكحل

(٢) الارشية جمع رشاء وهو حبل الدلو

عدائك ، على مرفع يؤذن بدوام رفعتك ، وارتفاع النوائب عن ساحتك ، ومداد
كسواد العين ، وسويداء القلب ، وجناح الغراب ، ولعاب الليل ، وألوان دهم
الخيال . وهذا من قول ابن الرومي

حبر أبي حفص لعاب الليل * كأنه ألوان دهم الخيال

قال المعاصر : مداد ناسب خافية الغراب ، واستعار لونه من شرخ الشباب ،
وأقلام حمة المحاسن ، بعيدة من المطاعن ، تعاصى الكاسى ، وتمايع الغامر القاسى ،
أنابيب ناسبت رماح الخط فى أجناسها ، وشاكت الذهب فى ألوانها ، وضاهت
الحديد فى لمعانها ، كأنها الأميال استواء ، والآجال مضاء ، بطيئة الحفا ، قوية
القوى ، لا يشظيها القط ، ولا يتشعب بها الخط ، أقلام بحرية موشية الليط ^(١) ، رائقة
التخطيط ، قلم معتدل الكموب ، طويل الأنبوب ، باسق الفروع ، روى ينبوع ،
هو أولى باليد من البنان ، وأخفى للسر من اللسان ، هو للأنامل مطية ، وعلى
الكتابة معونة مرضية ، نعم العدة القلم ، يقلم أظافير الدهر ، ويملك الأقاليم بالنهى
والامر ، ان أردت كان مسجوناً لا يمل الأسار ، وان شئت كان جواداً جارياً
لا يعرف العثار ، لا ينبو إذا نبت الصفاح ، ولا يحجم إذا أحجمت الرماح
قال أبو الفتح كشاجم يصف محبرة ومقلمة وأقلاماً وسكيناً

جسمى من اللهو وآلات الطرب * ومن عناد وثرأ ونشب
ومن مدام ومثان تصطحب * وهمة طماحة الى الرتب
مجالس مصونة من الريب * معمورة من كل علم وأدب
تكاد من حر الحديث تلهب * شعراً وأخباراً ونحواً يقتضب
ولغة تجمع ألفاظ العرب * وفقراً كالوعد فى قلب الحب
أو كنتاجي الرزق من غير طلب * أجل وحسى من دوى تنتخب
محللات بلجين وذهب * محبرة يزهى بها الحبر الألب

منقوبة آذانها وفي الثقب * مثل شنوف الخرد البيض العرب
تضمن قطراً فيه لا كتب عُشْب * أسود بجري بمان كالشهب
لا تنضب الحكمة إلا أن نضب * نبطت الى يسرى يدى بسبب
كالقُرط في الجيد تدلى فاضطرب * تصحبها والاخوات تصطحب
كأنه يودع نبلا من قصب * لم يعلمها ريش ولم تحمل عقب
لا تضحك الأوراق حتى ينتحب * ترمى بها بمنأى أعراض الكتب
رمياً متى أقصد به السمّت أصب * ومدية كالغضب ما مس القصب
غضبي على الأقلام من غير سبب * تسطو بها في كل حين وتشب
وانما قرضيك في ذاك الغضب * فتلك آلاى وآلاى تحب
والظرف في الآلات مما يستحب * لا سيما ما كان منها للأدب

عمال المأمون

تظلم رجل الى المأمون من عامل له فقال : يا أمير المؤمنين، ما ترك لى فضة
الا فضها ، ولا ذهباً الا ذهب به ، ولا غلة الا غلها ، ولا ضيعة الا أضاعها ، ولا
عِلْقاً الا علقه ، ولا عَرْضاً الا عرض له ، ولا ماشية الا امتشها ، ولا جليلا الا
أجله ، ولا دقيقا الا أدقه . فمجب من فصاحته وقضى حاجته

قال عمرو بن سعد بن سلم : كانت نوبة أنوبها في حرس المأمون فكنت
في نوبتى ليلة فخرج متفقدا من حضر فعرفته ولم يعرفنى ، فقال من أنت قلت
عمرو عمرك الله ، ابن سعيد أسعدك الله ، ابن سلم سلمك الله . فقال تكاؤنا منذ
الليلة ؟ قلت الله يكاؤك قبلى ، وهو خير حافظا وهو أرحم الراحمين
فقال المأمون

ان أخاك الحق من يسمي معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا صرف الزمان صدعك * بدد شمل نفسه ليجمعك

الورد والرجس

وقال علي بن العباس الرومي

خجلت خدود الورد من تفضيله * خجلا توردها عليه شاهد
لم يخجل الورد المورد لونه * الا وناحله الفضيلة عائد
للرجس الفضل المين اذا بدا * بين الرياض طريقه والتالد
وكان ابن الرومي متعصباً للرجس ، كثير الذم للورد ، وكتب الى أبي الحسن
ابن المسيب

أدرك ثقاتك منهم وقعوا * في رجس معه ابنة العنب
فهم بحال لو بصرت بها * سبحت من عجب ومن عجب
رياحهم ذهب على درر * وشرابهم در على ذهب
في روضة شتوية رضعت * در الحيا حلبا على جلب
واليوم مدجون فخرته * فيه بطلع ومحتجب^(١)
ظلت تسامرنا وقد بعثت * ضوا يلاحظنا بلا لب
كان كسرى أنو شروان مستهترا بالرجس ، وكان يقول هو ياقوت أصفر ،
بين درأبيض ، على زمرد أخضر . نقله بعض المحققين فقال

وياقوتة صفراء في رأس درة * مركبة في قائم من زبرجد
كمثل بهي الدر عقد نظامها * نثير فرند قد أطاف بمسجد
كأن بقايا الطل في جنباتها * بقية دمع فوق خد مورد

رجع ابن الرومي

فصل القضية أن هذا قائد * زهر الربيع وان هذا طارد
شتان بين اثنين هذا موعد * بتصرم الدنيا وهذا واعد

(١) حرة اليوم شمس

- فاذا احتفظت به فأمنع صاحب * بحياته لو أن حياً خالد
ينهى النديم عن القبيح بلحظه * وعلى المدامة والسماع مساعد
اطلب بمقلك في الملاح سميّه * أبداً فانك لا محالة واجد
والورد ان قتشت فرد في اسمه * مافى الملاح له سميّ واحد
هذى النجوم هي التي ربّيتها * بحيا السحاب كما يربى الوالد
فانظر الى الولدين من أدناهما * شبيهاً بوالده فذاك الماجد
أين الحدود من العيون نفاسة * ورياسة لولا القياس الفاسد
وقد ناقضه جماعة من البغداديين وغيرهم في هذا المذهب وذهبوا الى تفضيل
الورد فما دانوه وما استطاعوه . قال احمد بن يونس المكاتب راداً عليه
يا من يشبه نرجساً بنواظري * دُعج تنبّه ان فهمك راقد
ان القياس لمن يصح قياسه * بين العيون وبينه متباعد
والورد أصدق للحدود حكاية * فعلام تجحد فضله يا جاحد
ملك قصير عمره مستأهل * تخلّيه لو أن حياً خالد
ان قلت ان الورد فرد في اسمه * مافى الملاح له سميّ واحد
فالشمس تفرد باسمها والمشتري * والبدر يُشرك في اسمه وعطارد
أو قلت إن كواكباً ربّيتها * بحيا السحاب كما يربى الوالد^(١)
قلنا أحقهما بطبع أبيه في * الجدوى هو الزاكي النجيب الراشد
زهر النجوم تروقنا بضياؤها * ولها منافع جمّة وعوائد
وكذلك الورد الأنيق يروقنا * وله فضائل جمّة وفوائد
وخليفة ان غاب ناب بنفعه * وبنفعه أبداً مقيم راكد
ان كنت تشكر ما ذكرنا بعدما * وضحت عليه دلائل وشواهد
فانظر الى المصفر لوناً منهما * وافطن فما يصفر الا الحاسد
(١) حيا السحاب ماؤه

صفات الانوار والازهار

نبذ من النظم والنثر في صفات النور والزهرة — قال علي بن الجهم
لم يضحك الورد الا حين أعجبه * حسن الرياض وصوت الطائر الغرد
بدا فأبدت لنا الدنيا محاسنها * وراحت الراح في أنوارها الجدد
وقابلته يد المشتاق تسنده * الى الترائب والاحشاء والسكبد
كأن فيه شفاء من صبابته * أو مانعا جفن عينيه من السهد
بين النديين والخلين مصرعه * وسيره من يد موصولة بيد
ما قابلت طلعة الرياح طلعه * الا تبينت فيه ذلة الحسد
قامت بحجته ريح معطرة * تشفي القلوب من الأوصاب والكمد
لا عذب الله الا من يعذبه * بمسمع بارد أو صاحب نكيد

وصف الورد

وكان أزدشير بن بابك يصف الورد ويقول : هو در أبيض ، وياقوت أحمر ،
على كراسي زبرجد أخضر ، وتوسطه شذور من ذهب أصفر ، له رقة الحر ،
ونفحات العطر . أخذ محمد بن عبد الله بن طاهر فقال
كأنهن يواقيت لطيف بها * زمرّد وسطه شذر من الذهب
فاثرب على منظر مستظرف حسن * من خمرة مزة كالجر في الذهب^(١)

المتوكل وابن الضحاك

وقال يزيد الملهبي أحب المتوكل ان ينادم الحسين بن الضحاك الخليل البصري
وأن يرى ما بقي من ظرفه وشهوته لما كان عليه ، فأحضره وقد كبر وضعف ،
فسقاه حتى سكر ، وقال لخادمه شفيع : اسقه ، فسقاه وحيّاه بوردة ، وكانت على
شفيع أنوار مودة ، فمد الحسين يده الى درع شفيع ، فقال المتوكل : أتشمس غلامي
بحضرتي ؟ كيف لو خلوت به ! ما أحوجك يا حسين الى أدب ! وكان المتوكل غمز

شفيها على العبت به ، فقال الحسين ياسيدي أريد دواة وقرطاسا ، فأمر له بهما فكتب
وكالوردة البيضاء حيا بأحر * من الورد يسعى في قراطق كالورد
له عبثات عند كل ناحية * بكفيه يستدعي الخلى الى الوجد
تمنيت أن أسقى بكفيه شربة * تذكرني ماقد نسيت من العهد
سقا الله عيشا لم أتم فيه ليلة * من الدهر إلا من حبيب على وعد
ثم دفع الرقعة الى شفيح ، وقال ادفعها الى مولاك ، فلما قرأها استملحها ،
وقال : لو كان شفيح ممن تجوز هبته لو هبته لك ، ولكن بحيانى يا شفيح الا كنت
ساقيه بقية يومه ! وأمر له بمال كثير حمل معه لما انصرف ، قل يزيد المهلبى
فصرت الى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام فقلت : ويحك أتدرى
ما صنعت ؟ قال لا أدع عادتى بشئ ، وقد قلت بمدك

لا رأى عطفة الأحب * لة من لا يصرح
أصغر الساقين أش * كل عندى وأملح
لو تراه كالظبي يس * نح طوراً ويبرح
خلت غصنا على كئيد * ب بنور يؤشح

قال الصولى وكان الاول من أبيات الحسين من قول العباس بن الأحنف
بيضاء فى حمر الثياب كوردة * بيضاء بين شقائق النعمان
تهتز فى غيد الشباب اذا مشت * مثل اهتزاز نواعم الاغصان

أبو بكر الصولى

قال أبو بكر الصولى كان عند الخصى الوزير ظبي داجن ربيب فى داره فعمد
الى نيلوفرأ كله فاستملح الغزال وأنسه وقال : لو عمل فى أنس هذا الغزال وفعله
بالنيلوفر لاشتمل العمل على معنى مليح ! فبلغ الخبر أبا عبد الله ابراهيم بن محمد
ابن عرفة فخطوبه فبادر لئلا يسبق وعمل أبياتا أولها

جرت ظبية غناء ترعى بروضة * تنوش لدى أفنانها ورقا خضرا

في أبيات غير طائلة ، فاستبرد ما أتى به ، قال الصولي فقلت
 ونيلوفر يحكي لنا المسك طيبه * تراه على اللذات أفضل مسعد
 قداجتن خوف الحادثات بجنة * تروق كشوب الراهب المتعبد
 تركب كالكاسات في ذهبية * على قُضْب مخضرة كالزبرجد
 وأنيس ثوبا يفضل اللحظ حسنه * كما عبثت عين بنجد مورد
 غذته أهاضيب السماء بدرها * تروح عليه كل يوم وتفتدى
 تلبس الأنوار نوب سمائه * ففضل عنه الحسن في كل مشهد
 وفي وسطه منه اصفرار يزينه * كياقوتة زرقاء في رأس عسجد
 أطاف به أحوى المدامع شادن * حكى طرف من أهوى وحسن المقلد
 كما أخذ الظمان بالغم كأسه * ولم يستعن في أخذه الكاس باليد

محمد بن وكيع

وقال أبو الحسن محمد بن علي بن وكيع

يوم أتاك بوجهه المتهلل * ناهيك من يوم أغر محجل
 خلع الغمام على اخضرار سمائه * خلعا فين ممسك ومُصنَدَل
 وكسا الرُّبى حللا تخالف شكلها * بتورد ومُعَصِفِر ومُكْحَل
 وتمايلت فيه قدود غصونه * من شرب كاسات العيون الهطل
 وعلا على الاشجار قطر سمائها * فهدت لعين الناظر المتأمل
 يحكي قباب زمرد قد كللت * بمنظّم من لؤلؤ ومفصل
 وأتاك نور الباقلاء كأنما * يرئو اليك بعين أ كحل أقبل
 الورد ينجل كل نور طالع * وتراه منتقبا بحمرة مخجل
 وحكى بياض الطلع في كافوره * وجه الخريدة في الخمار الصندل
 فكأنما الدنيا عروس أقبلت * في كل أنواع الملابس تجتلي
 فاشرب معصفرة القميص سلافة * من صنعة البردان أو قطر بل

أبو الفتح البستي

وقال أبو الفتح البستي

يومٌ له فضل على الأيام * مزج السحاب ضياءه بظلام
فالبرق يخفق مثل قلب هائم * والغيم يبكي مثل طرفٍ هام
وكان وجه الأرض خدّ متيم * وُصِلت سجامُ دموعه بسجام
فاطلب ليومك أربعاً هن المني * وهن تصفو لذة الأيام
وجه الحبيب ومنظراً مستشرقاً * ومغنياً غرداً وكأس مدام

أبو الفضل الميكالي

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي

سلّ الربيعُ على الشتاء صوارماً * تركته مجروحاً بلا إغمار
وبكت له عين السماء بأدمع * ضحكت لساجها ربي الانجاد
وبدت شقائقها خلال رياضها * تزهى بثوبَي صخرة وسواد
فكأنها بذت الشتاء توجعت * لمصابه كشيقة الأولاد
فقنوه حمرتها خضاب نجيعه * وسواد كسوتها لباس حداد

وقال

تصوغ لنا كف الربيع حدائقاً * كعمق عقيق بين سمط لآلى
وفين أنوار الشقائق قد حكمت * خدود عذارى نُقِطت بغوالى

وقال

كأن الشقائق اذأبرزت * غلالة داد وثوبا أحمر
قطاع من الجر مشبوبةً * فأطرافها لمع من حمم

وقال في حديقة ربحان

أعددت محتفلاً ليوم فراغى * روضاً غداً أنسان عين الباغ
روض يروض هموم قلبي حسنة * فيه لكأس الأنس أى مساغ
فاذا بدت قضبان ريحان به * حيث بمنى سلاسل الاصداع
وقال فى النرجس

أهلاً بنرجس روض * يزهى بحسن وطيب
يرنو بعين غزال * على قضيب رطيب
وفيه معنى خفى * يزيه للقلوب
تصحيفه ان نسقت الـ حروف بر حبيب

وقال

وما ضم شمل الأنس يوماً كنرجس * يقوم بعذر اللهو عن خالع العذر^(١)
فأحداقه أحداق تبرٍ وساقه * كقامة ساقٍ فى غلائله الخضر

البحترى

وقال البحتري

سقى الغيثُ اكناف اللوى من محلة * الى الحقف من رمل اللوى المتقاود
ولا زال مخضر من الروض يانع * عليه بمحمر من النور حاسد
شقائى يحملن الندى فكأنه * دموع التصابي فى حدود الخرائد
ومن لؤلؤ فى الاقحوان منظم * ومن نُكَّتِ مصفرة كالفرائد
كأن جنى الخوذان فى رونق الضحى * دنائير تبرٍ من ثوام وفارد
رباع تردت بالرياض بمجودة * بكل جديد الماء عذب الموارد^(٢)
اذا راوحتها مزنة بكرت لها * شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت * تليها بتلك البارقات الرواعد

(١) العذر : جمع عذار (٢) تردت بالرياض : اتخذت منها رداء

في مجلس المبرد

قال أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه قال لي البحترى وقد اجتمعنا على خلوة عند المبرد وسلكننا مسلحاً من المذاكرة: أشعرت انى سبقت الناس كلهم الى قولى

شقائق يحملن الندى فكأنه * دموع التصابي في خدود الخرائد
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت * تليها بتلك البارقات الرواعد
هكذا أنشد. فاستحسن ذلك المبرد استحساناً أسرف فيه ، وقال : ما سمعت مثل هذه الالفاظ الرطبة ، والعبارة العذبة ، لأحد تقدمك ولا تأخر عنك . فاعتبرته أريحية جرّ بها رداء العُجب ، فكأنه أعجبني ما يعجب الناس من مراجعة القول ، فقلت يا أبا عبادة لم تسبق الى هذا ، بل سبقك سعيد بن حميد الكاتب الى البيت الأول بقوله

عَذَبَ الفراق لنا قُبيل وداعنا * ثم اجترعناه كسمّ ناعم
وكأنما أثر الدموع بنجدها * طلّ نساقط فوق ورد يانع
وشركتك فيه صديقنا أبو العباس الناشئ بما أنشدنيه آنفاً

بكت للفراق وقد راغى * بكاء الحبيب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جملّ نار
وما أساء على بن جريج بل أحسن في زيادته عليك بقوله

لو كنت يوم الوداع شاهداً * وهنّ يطفين غلّة الوجد
لم تر إلا دموع باكية * تسفح من مقلة على خدر
كأن تلك الدموع قطر ندى * يقطر من نرجس على ورد

وسبقك أبو تمام الى معنى البيتين معا بقوله

من كل زاهرة ترقق بالندى * فكأنها عين اليه تحدر
تبدو وبهجتها الجميم كأنها * عذراء تبدو تارة وتخفر^(١)

(١) الجميم : النبت الغزير

خلق أطل من الربيع كأنه * خلق الامام وهديهُ المنتشر
 في الارض من عدل الامام وجوده * ومن الربيع الغض سرح زهر^(١)
 ينسى الربيع وما يروض جوده * أبداً على مر الليالى يذكر
 قال فشق ذلك عليه ، وحل حبوته ونهض ، فكان آخر عهدى بمؤانسته ، وغلظ
 ذلك على محمد بن يزيد وقدح ذلك فى حالى عنده

الهيثم بن عثمان الغنوى

وقال البحرى بمدح الهيثم بن عثمان الغنوى
 ألت ترى مدً الفرات كأنه * جبال شدورى جئن فى البحر عوًما
 وما ذاك من عاداته غير أنه * رأى شيمةً من جاره فتعلما
 وقد نبه النوروز فى غبش الدجا * أوائل وردٍ كنّ بالأمس نوًما
 يفتحها برد الندى فكأنه * يث حديثاً بينهن مكتما
 ومن شجر ردّ الربيع لباسه * عليه كما نشرت بُرداً منمما
 أحلّ فأبدى للعيون بشاشة * وكان قذى للعين مذ كان محرما
 فما يمنع الراح التى أنت خلها * وما يمنع الأوتار أن تترنما
 وما زلت خللاً للندامى اذا اغتدوا * وراحوا بدوراً يستحثون أنجما
 تكرممت من قبل الكؤوس عليهم * فما استطعن أن يحدثن فيك تكرما

الطيور فى الربيع

وقال
 حيثك عنا شمال طاف طائفها * بجنة فجرت راحا وربحانا
 هبت سحيرا فناجى الغصن صاحبه * سرّاً بها وتداعى الطير إعلانا
 ورق تغنى على خضر مهدلة * تسمو بها وتمس الأرض أحيانا
 نخال طائرها اشوان من طرب * والغصن من هزه عطفه نشوانا

(١) السرح : كل شجر طال

ابن المعتز

ولابن المعتز في أرجوزته البستانية التي ذم فيها الصبوح صفة جامعة إذ قال

- أما ترى البستان كيف نوراً * ونشر المنشور برداً أصفراً
وضحك الورد إلى الشقائق * واعتنق الورد اعتناق الوامق
في روضة كحلية العروس * وحرم كهامة الطاوس
وياسمين في ذرى الأغصان * منظم كقطع العقيان
والسرو مثل قصب الزبرجد * قد استمد الماء من تربة ندى
على رياض ونرى ندى * وجدول كالبرد الحلى
وفرج الخشخاش جيباً وفتق * كأنه مصاحف بيض الورق
أو مثل أقداح من البلور * تخالها تجسّمت من نور
وبعضه عريان من أثوابه * قد خجل اليايس من أصحابه
تبصره عند انتشار الورد * مثل الدبايس بأيدي الجند
والسوسن الآزاد منشور الحلل * كقطن قد مسه بعض بلل
نور في حاشيتي بستانه * ودخل الميدان في ضمانه
وقد بدت فيه ثمار الكنكر * كأنها جماجم من عنبر
وحلق البهار بين الآس * جمجمة كهامة الشماس
خلال شيخ مثل شيب النصف * وجوهر من زهر مختلف
وجلنار كاحمرار الورد * أو مثل أعراف ديوك الهند
والأقحوان كالنأيا الغر * قد صقلت أنوار بالقطر

كشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم

وروضٍ عن صنيع الغيث راضٍ * كارضٍ الصديق عن الصديقِ
إذا ما القطر أسعده صبوحاً * أتمَّ له الصنيعة في الغبوقِ
يعير الريح بالنفحات رجاً * كأن ثراه من مسكٍ فتيقِ
كأن الطل منتشرٌ عليه * بقايا الدمع في الخلد المشوقِ
كأن غصونه سقيت رحيقاً * فمالت مثل شراب الرحيقِ
كأن شقائق النعمان فيه * مخصرة شقائق من عقيقِ
يذكرني بنفسجه بقايا * صنيع اللطم في الخلد الرقيقِ
وقال :

غيث أنا مؤذناً بالخفضِ * متصل الوابل سريع الركضِ
دنا فخلناه دوين الأرض • متصلاً بطوله والعرضِ
إفا إلى ألفٍ بسرٍ يفضي * ثم سما كالؤلؤ المرفضِ
فالأرض تجلى بالنبات الغضِ * في حلبيها المحمرِّ والمبيضِ
من سوسنٍ أحوى وورد غضِ * مثل الحدود نقشت بالعضِ
وأقحوان كالجبين المحضِ * وترجس زاكي النسيمِ بضِ
مثل العيون رنقت للغمضِ * ترنوف يغشاها السكرى فتغضِ

أبو فراس

جملة من هذا النوع لأهل مصر — قال أبو فراس الحمداني

وجبلنارٍ مشرقٍ * على أعلى شجره
كأن في رأسه * أحمره واصفره
قراصة من ذهب * في خرقة معصره

وقال :

ويوم جلا فيه الربيع رياضة * بأنواع حلى فوق أنوابه الخضر
كان ذيول الجنار مظلة * فضول ذيول الغانيات من الازر

ابن هانيء

وقال أبو القاسم بن هانيء يصف زهرة رمان قطفت قبل عقدتها
وبنت أليك كالشباب النضر * كأنها بين العُصُون الخضر
جنان باز أو جنان صقر * قد خففته لقوة بوكر
كأنما سحّت دماً من نحر * أو نبقت في تربة من جمر
أو سقيت بجدول من خمر * أو كف عنها الدهر صرف الدهر
جاءت كمثل النهد فوق الصدر * تفرّ عن مثل ثبات الحجر
في مثل طعم الوصل بعد الهجر

أوصاف الرياض

ولهم في هذا المعنى — روضة رقت حواشيها ، وتأنق واشيها — روضة
كالعقود المنظمة ، على البرود المنعمة — روضة قد راضتها كف المطر ، ودبجتها
أيدي الندى — أخرجت الأرض أسرارها ، وأظهرت يد الغيث آثارها ، وأبدت
الرياض أزهارها — الرياض كالعراس في حليها وزخارفها ، والقيان في وشيها
ومطارفها ، بأسطة زرايبها وانماطها ، ناشرة جبراتها ورياطها ، زاهية بحمراؤها
وصفرائها ، تائمه بميدانها وغدرانها ، كأنما احتفلت لوفد ، أو هي من حبيب على
وعد — روضة قد تضرعت بالارج الطيب أرجاؤها ، وتبرجت في ظلل الغمام
صحراؤها ، وتناجحت بنوافج المسك أنوارها ، وتمازجت بغرائب النطق أطيافها —
بستان رق نوره النضيد ، وراق عوده النضير — بستان عوده خضر ، ونوره

نضر ، وينعمه خضل ، وماؤه خضر — بستان أرضه للبقل والريحان ، وسماؤه للنخل
والرمان — بستان أنهار دمفروزة بالازهار ، وأشجاره موقرة بالثمار — أشجار كأن
الخور أعارتها قدودها ، وكستها برودها ، وحلتها عقودها — الربيع شباب الزمان ،
ومقدمة الورد والريحان — زمن الورد مرموق ، كأنه من الجنة مسروق — قد ورد
كتاب الورد ، بإقباله الى أهل الود — اذا ورد الورد ، صدر البرد — مرحبا بإشراف
الزهر ، في أطراف الدهر ، وأنشد

سقى الله ورداً صار خدَّ ربيعنا * فقد كان قبل اليوم ليس له خدُّ
كأن عين الترجس عين ، وورقه ورق ^(١) * الترجس نزهة الطرف ، وظرف
الظرف ، وغذاء الروح * شقائق كتيجان العقيق على رؤوس الزنوج ، كأنها
أصداغ المسك على الوجنت الموردة * شقائق كالزنوج تجارحت وسالت دماؤها ،
وضعفت فسال ماؤها * كأن الشقيق جام من عقيق أحمر ، ملئت قرارته بمسك
أذفر * الأرض زمردة والاشجاروشى ، والماء سيوف والطيور قيان — قد غردت
خطباء الاطيار ، على منابر الانوار والازهار * اذا صدح الحمام ، صدع الحمام ،
قلب المستهام * انظر الى طرب الاشجار ، لغناء الاطيار * ليس للبلابل ^(٢) كغناء
البلابل ، وخربابل

أيام الربيع

(ولهم فيما يتعلق بهذا النحو في وصف أيام الربيع)

يوم سماؤه قاختية ، وأرضه طاوسية — يوم جلايب غيومه رواق ، وأردية
نسيمه رقاق — يوم ممسك السماء ، معصر الهواء ، معبر الروض ، مصنل الماء —
يوم زُر عليه جيب الضباب ، وانسحب فيه ذيل السحاب — يوم سماؤه كالخز الادكن ،
وأرضه كالديباج الاخضر

(١) العين الذهب ، والورق الفضة (٢) البلابل الاشجان

شادنٌ يرتعى القلوب ببغدا * دَ ولا يرتعى الكلا بالنباج
أقبلت والربيع بخيال في الرو * ض وفي المزن ذى الحيا الشجاج
ذو سماء كأدكن الخرق قد غي * مت وأرض كالخضر الديباج
فتجلى عن كل ما يتمنى * موعد الكد خذاة والهياج
فظالنا في نزهتين وفي حس * نين بين الارمال والاهزاج
بفناة تسرنا في المشاتي * وعجوز تسرنا في الزجاج
أخذت من رؤس قوم كرام * ثارها عند أرجل الاعلاج

يوم حسن الشائل ، متمتع الخايل ، سحسج الهواء ، مونتق الارجاء — يوم تبسم عنه
الربيع ، وتبرج عنه الروض المريع — يوم كأن سماءه ماتم تنباكي ، وأرضه عروس
تنجلي — يوم مشهر الأوصاف ، أغر الاطراف — يوم يغنى فيه النور وينتبه ،
وتسفر فيه الشمس وتنقلب ، وتمتنق الفصون وتفترق ، ويوشى الغيم
وينسكب — يوم غاب نحسه وهوى ، وطلع سمده واعتلى ، والزمان ساقطة جواره ،
مفعمة أنهاره ، موققة أشجاره ، مفردة أطيارد — نحن في غب سماء ، قد أقلعت
بعد الارتواء ، واقشعت عند الاستغناء ، فالتبت خضيل ممطور ، والنقع ساكن
محصور — يوم جوه طاروني ، وأرضه طاوسي — يوم دجنه عاكف ، وقطره
واكف — يوم من أعياد العمر ، وأعيان الدهر

الربيع والرفاق

* ولهم في تشبيه محاسن الربيع بمحاسن الاخوان والساداة *

غيث متشبه بكفك ، واعتدائه مضاهٍ لخلقك ، وزهره موازٍ لنشرك ، كأنما
استعار حلاله من شيمتك ، وحليه من سجيته ، واقتبس أنواره من محاسن
أيامك ، وأمطاره من جودك وانعامك * قدم الربيع منتسبا الى خلقك ، مكتسبا
محاسنه من طبعك ، متوشحا بأنوار لفظك ، متوضعا بآثار لسانك ويدك *

أنا في بستان أذكرك في ورده المفتوح بخلقك ، وجدونه السابح بطبعك ، وزهره الجني بقربك
 — أنا في بستان كأنه من شمائلك سُرق ، ومن خلقتك خلق ، وقد قابلتني أشجار
 تنميل ، فتذكرني تبريح الأحياب ، إذا تداولتهم أيدي الشراب ، وأنهار كأنها
 من يدك تسيل ، ومن راحتيك تفيض — أنا على حافة حوض أزرق كهفاء مودتي
 لك ، ورقة قولي في عتبك

الصوم في الربيع

وقال ابن عون الكاتب :

جاءنا الصوم في الربيع فهلاختنا رُبْعاً من سائر الأرباع
 وكان الربيع في الصوم عقدة * فوق نحر غطاء فضل قناع

يوم الشك

وكتب أبو الفتح كشاجم الى بعض اخوانه يستدعيه الى زيارته
 في يوم شك

هو يوم شك يا على * وبشره مذ كان يحزر
 والجو حلت به ممسكة ومطره معبر
 والماء فضى القمي * ص وطيلسان الأرض أخضر
 نبت يصعد زهره * في الروض قطر ندى تحدر
 ولنا فضيلات نكو * ن ليومنا قوتا مقدر
 ومدامة صفراء أد * رك عمرها كسرى وقنصر
 فانشط لنا لنحت من * كلساتنا ما كان أكبر
 أولاً فانك جاهل * ان قلت انك سوف تعذر

شهر رمضان

وكتب بديع الزمان الى بعض أهل همدان : كتابي أطال الله بقاءك عن شهر رمضان ، عرفنا الله بركة مقدمه ، ويمن مختتمه ، وخصك بتقصير أيامه ، وإتمام صيامه وقيامه ، فهو وإن عظمت بركته ، ثقیل حركته ، وإن جل قدره ، بعيد قعره ، فإن حسن وجهه فليس يقبح قفاه ، وما أحسنه في القذال ، وأشبه ادباره بالاقبال ، جعل الله قدومه سبب نرحاله ، وبدره فداء هلاله ، وأمد فلكه تحريكاً ، بتقصي مدته وشيكاً ، وأظهر هلاله نحيفاً ، ليذف الى اللذات زفيفاً ، وعفا الله عن مزح يكرهه ، ومجون يسخطه

كلمة ابن العميد

عول البديع في هذا الكلام على قول أبي الفضل بن العميد في رسالة له في مثل ذلك : أسأل الله أن يعرفني بركته ، ويلقيني الخير في باقي أيامه وخاتمته ، وأرغب اليه في أن يقرب على الفلك دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف حركته ، ويمجل نهضته ، وينقص مسافة فلكه ودائره ، ويزيل بركة الطول عن ساعاته ، ويرد على غرة شوال ، فهي أسنى الغر عندى ، وأقربها لعينى ، ويطلع بدره ، ويرينى الأيدي منتلبة هلاله ببشر ، ويسمعى النعى لشهر رمضان ، ويعرض على هلاله أخفى من السحر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بنى عامر ، وأبلى من أسير الهجر ، وأستغفر الله جل وجهه مما قلت ان كرهه ، وأستغفیه من توفيق لما يذمه ، وأسأله صفحاً يفيضه ، وعفواً يوسع به ، انه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور

طاهر بن الحسين

قال المأمون طاهر بن الحسين : صف لي أخلاق الخلوغ ، قال : كان واسع الصدر ، ضيق الأدب ، يبيح من نفسه ما تأنفه همم الأحرار ، ولا يصغي إلى نصيحة ، ولا يقبل مشورة ، يستبد برأيه ، ويَبْصُرُ سوء عاقبته فلا يردعه ذلك عما يهيم به . قل فكيف كانت حروبه ؟ قال : كان يجمع الكتائب بالتبذير ، ويفرقها بلا تدبير . فقال المأمون : لذلك حل ما حل به ، أما والله لو ذاق لذات النصائح ، واختار مشورات الرجال ، وملك نفسه عن شهواتها ، لما ظفر به

الأمين والمأمون

ولما عقد الرشيد البيعة للأمين وهو أصغر من المأمون لأجل أمه زبيدة ، وكلام أخيها عيسى بن جعفر ، وقدمه على المأمون ، جعل يرى فضل عقله فيندم على ذلك فقال :

لقد بان وجه الرأي لي غير أنني * غلبت على الأمر الذي كان أحزما
فكيف يُرَدُّ الدُّرَى الضَّرْعُ بعدما * توزَّعَ حتى صار نهياً مقسماً
أخاف التواء الأمر بعد استوائه * وإن يُنْقَضَ الحبل الذي كان أبرما

الفضل بن الربيع

قال أسد بن يزيد بن مزيد : بعث إلى الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن الأنباري ، قل فأتيته وهو في صحن داره ، وفي يده رقعة قد غضب لما نظر فيها ، وهو يقول : ينام نوم الظربان ، وينتبه انتباه الذئب ، همته بطنه ، ولذته فرجه ، لا يفكر في زوال نعمة ، ولا يتروى في إمضاء رأى ولا مكيدة ، قد شمر له عبد الله عن ساقه ، وفوق له أشد سهامه ، يرميه على بعد الدار ، بالحنف الناقر (١٥- ني)

والموت القاصر ، قد عني له المنايا على متون الخيل ، وناط له البلاء في أسنة الرماح
وشفار السيوف ، ثم تمثل بشعر البعيث

يقارع أتراك ابن خاقان ليله * الى أن يرى الإصباح لا يتلعم
فيصبح في طول الطراد وجسمه * نحيل وأضحى في النعيم أصم
فستان ما بيني وبين ابن خالد * أمية في الرزق الذي الله يقسم

ثم قال يا أبا الحارث أنا وأنت نجري الى غاية ان قصرنا عنها ذمنا ، وان
اجتهدنا في بلوغها انقطعنا ، وانما نحن شعبة من أصل ان قوى قويننا ، وان ضعف
ضعفنا ، ان هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكفاء ، يشاور النساء ، ويعتمد
على الرؤيا ، وقد أمكن أهل اللهو والخسارة من سمعه ، فهم يمنونه الظفر ، ويمدون
عواقب الأيام ، والهلاك اليه أسرع من السيل ، الى قيعان الرمل ، وقد خشيت أن
نهلك بهلاكه ، ونمطب بعطبه ، وأنت فارس العرب ، وابن فارسها ، وقد فزع
اليك في لقاء طاهر لأميرين : أحدهما صدق طاعتك ، وفضل نصيحتك ، والثاني
يمن نقيبتك ، وشدة بأسك ، وقد أمرني ان أبسط يدك ، غير ان الاقتصاد
رأس النصيحة ، ومفتاح البركة ، فبادر بما تريد ، وعجل النهضة ، فاني أرجو أن
يوليک الله شرف هذا الفتح ، ويلم بك شعث الخلافة ، فقلت له أنا اطاعتك
وطاعة أمير المؤمنين مقدم ، ولما وهن عدوك مؤثر ، غير ان المحارب لا يفتح
أمره بتقصير ، وانما ملاك أمره بالجنود ، والجنود لا تكون بلا مال ، وقد رفع
أمير المؤمنين الرغائب الى قوم لم يجدوا عليه ، ومتى سمت من أقدر على الانتفاع
به ، الرضى بدون ما أخذه غيره ممن لم يكن عنده غناء ولا معونة ، لم ينتظم بذلك
التدبير ، وأحتاج لأصحابي رزق سنة قبضا ، وحملنا الى الف فرس ، لحمل من لا
أرتضى فرسه ، والى مال أستظهر به لألام على وضعه حيث رأيت ، فقال شاور
أمير المؤمنين ، فأدخلني عليه فلم تدر بيني وبينه كلمتان حتى أمر بجدي . ويروى أن
الأمير لما أعيته مكائد طاهر قال

بليت بأشجع الثقلين نفساً * تزول الراسيات وما يزولُ

له مع كل ذى بدن رقيب * يشاهد ويعلم ما يقول

فليس بمغفل أمراً عناءه * إذا ما الأمر ضيعه الجهولُ

وفى الفضل بن الربيع يقول بعض الشعراء

كم من مقيم ببغداد على طمع * لولا رجاء أبى العباس لم يُقيم

البدر ان نظروا والبحر ان رغبوا * والحصن ان رهبوا والسيف ذو النقم

وقال عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع : ممدحننا شاعر بشعر أحب

الينا من قول أبى نواس

ساد الملوك ثلاثة مامنهم * ان حصلوا الا أعز قريب

ساد الربيع وساد فضل بعدد * وعلت بعباس الكريم فروع

عباس عباس اذا احتدم الوغى * والفضل فضل والربيع ربيع

وقيل للعتابي أمدحت أحداً ؟ قل لا ، وليس لى على ذاك قدرة . فقل له قد

مدحت الربيع ، فقال ذلك اليوم يستحق فيه المدح فقلت

ومعضلة قام الربيع إزاءها * ليعمد ركن الدين لما تهدها

بمكة والمنصور رهن كما أتى * أخا الوحي داعى ربه فتقدما

غداة عداة الدين شاحذة المدى اليه وغول الحرب فاغرة فما

أخذ البيعة للمهدى

وكان المنصور قد توفى بمكة وهو حاج فى ذى الحجة سنة ثمان وخمسين

ومائة فأخذ الربيع للمهدى البيعة على الناس ، وأخذ بتجديدها على المنصور ،

على انه حى ، وأدخل اليه قوماً فرأوه من بعيد وقد جللاه بثوب ، وأقعد الى جنبه

من بحرك يده وكأنه يومى بها اليهم ، فلم يشكوا فى حياته ، فما خالف أحد ، فشكره

المهدى لذلك ، وفى ذلك يقول أبو نواس فى مدحه الفضل بن الربيع

أبوك جلى عن مضر * يوم الرواق المحتضر
والحرب تفرى وتذر * لما رأى الأمر اقطر
قام كرىما فانتصر * كهزة العضب الذكر
ما مس من شيء هبر * وأنت تقتاف الاثر
من ذى حُجول وغرر

وقال أيضا : آل الربيع فضلم * فضل الخميس على العشير^(١)
من قاس غيركم بكم * قاس الثماد الى البحور
أين القليل بنو القليل * ل من الكثير بنى الكثير
أين النجوم التالية * ت من الأهلة والبدور
قوم كفوا أيلم مكة نازل الخطب الكبير
وتداركوا نصر الخلا * فة وهى شاسعة النصير
لولا مقامهم بها * هوت الرواسى من نبير
ومن قول أبى نواس : من قاس غيركم بكم البيت ، أخذ أبو الطيب المتنبي :
قواصد كافور توارك غيرد * ومن قصد البحر استقل السواقيا
فتى ما سرينا فى ظهور جدودنا * الى عصره الا نرجى التلاقيا

كلمات الفضل بن الربيع

وقال الفضل بن الربيع : من كلم الملوك فى الحاجات فى غير وقت الكلام لم
لم يظفر بحاجته ، وضاع كلامه ، وما أشبههم فى ذلك الا بأوقات الصلوات لا تقبل
الصلاة الا فيها ، ومن أراد خطاب الملوك فى شيء فليصد الوقت الذى يصلح
فى مثله ذكر ما أراد ، ويسبب له شيئا من الاحاديث بحسن ذكره بعقبه (وقال)
المامون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل ، أكان فى حقى عليك ، وحق أبائى

(١) الخميس : الخمس ، والعشير : العشر

ونعمهم عند أبيك وعندك ، أن تثلبنى ، ونسبى . وتحرض على دمي ؟ أتحب أن أفعل بك ما فعلته بي ؟ فقال يا أمير المؤمنين إن عذرى يُحَدِّدُكَ إذا كان واضحا جميلا ، فكيف إذا حَقَّتْهُ العيوب ، وقبحته الذنوب ، فلا يضيق عني من عفوك ما وسع غيرى منك ، فأنت كما قال الشاعر فيك

صَفَّوحٌ عَنِ الْأَجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ * مِنَ الْعُفُوفِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مَجْرَمًا
وَلَيْسَ يَبَالِي أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى * إِذَا مَا الْأَذَى لَمْ يَغْشَ بِالْكَرَمِ مُسْلِمًا
والشعر للحسن بن رجا بن أبي الضحاك :

X المنصور والربيع

وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة : دعا المنصور بالربيع فقال سلني ما تريد ، فقد سكت ، حتى نطقت ، وخففت ، حتى ثقلت ، وأقلت ، حتى أكرت . فقال والله يا أمير المؤمنين ما أُرهبُ بخلق ، ولا أستهصر عمرك ، ولا أستصغر فضلك ، ولا أغتني مالك ، وإن يومى بفضلِكَ على أحسن من أمسى ، وغدك في تأميلي أحسن من يومى ، ولو جاز أن يشكركَ مثلى بغير الخدمة والمناصحة لما سبقنى لذلك أحد . قال صدقت ، علمى بهذا منك أحلك هذا الحبل ، فسلى ما شئت ، قال أسألك أن تقرب عبدك الفضل ، وتؤثره وتحببه . قال : ياربيع ، إن الحب ليس بمال يوهب ، ولا رتبة تبذل ، وإنما تؤكده الأسباب . قال فاجعل لى طريقا إليه . بالفضل عليه . قال صدقت ، وقد وصلته بألف ألف درهم ، ولم أصل بها أحدا غير عمومنى ، تعلم ما له عندى ، فيكون منه ما يستدعى به محبتي ، ثم قال فكيف سألت له المحبة ياربيع ؟ قال لأنها مفتاح كل خير ، وغلاق كل شر ، تُستر بها عندك عيوبه ، وتصير حسنات ذنوبه . قال صدقت وأتيت بما أردت فى بابهِ .

أخذ قوله خففت حتى ثقلت أبو تمام فقال لمحمد بن عبد الملك الزيات على أن افراط الحياء استمالى * اليك ولم أعدل بعرضي معذلا
فثقلت بالتخفيف عنك وبعضهم * يخفف فى الحاجات حتى يشقلا

سهل بن هارون والرشيذ

ودخل سهل بن هارون على الرشيد وهو يضاحك المأمون فقال : اللهم زده من
الخيرات ، وابسط له من البركات ، حتى يكون في كل يوم من أيامه مربيًا على
أمره ، مقصرًا عن غده ، فقال له الرشيد : يا سهل من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ،
ومن الحديث أفصحه وأوضحه ، إذا رام أن يقول لم يعجزه القول . فقال سهل
ابن هارون يا أمير المؤمنين ما ظننت أن أحداً تقدمنى الى هذا المعنى ، قال بل
اعشى همدان حيث يقول

رأيتك أمس خير بني لؤى * وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غداً تزيد الخير ضيفاً * كذلك تزيد سادة عبده شمس

شعر الفضل بن الربيع

ومن شعر الفضل بن الربيع ما أنشده الصولى

انى امرؤ من هاشم * بفناء معمر النواحي
أهل الهدى وذوى التقى * وأولى البسالة والسماح
أهل المعالم والمكا * رم فى المساء وفى الصباح
أهل النبوة والخلا * فة والكمال برغم لاجى
يتألمون من الصدو * د ويصبرون على الجراح

أبو العيناء وابن خاقان

حمل محمد بن عبيد الله بن خاقان أبا العيناء على دابة زعم أنها غير قاره ،
فكتب اليه : أعلم الوزير اعز الله أن أبا على محمد أراد أن يبرنى ففقتى ، وأن
يركبنى فأرجلنى ، أمر لى بدابة تقف للنبرة ، وتعثر بالبعرة ، كالقضيبي اليابس
عجفاً ، وكالماشق المهجور دنفاً ، قد أذ كرت الرواة عذرة العذرى ، والمجنون
العامرى ، مساعد أعلاه لأسفله ، حباؤه مقرون بسعاله ، فلو أمسك لترجيت ،

ولو أفرد لتعزيت ، ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور ، والمجلس المشهور ،
كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، تضحك من فعله النسوان ، وتتناغى
من أجله الصبيان ، فمن صائح يصيح داوه بالطباشير ، ومن قائل يقول نوله
الشعير ، قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء في الأمصار ،
فلو أعين بنطق ، لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفي ، وعامر الشعبي ،
وانما أتيت من كتابه الأعور ، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر
وان اختار لغيره أخبث وأنزر ، فإن رأى الوزير أن يبدلني به ، ويربحني منه ،
بمركوب يضحكني كما ضحك مني ، يمحو بحسنه وفراسته ، ماسطره العيب بقبحه
ودمامته ! ولست اذكر أمر سرجه وجامه ، فإن الوزير أكرم من أن يسلب
ما يهديه ، أو ينقض ما يعضيه . فوجه عبد الله اليه برذونا من براذينه بسرجه وجامه
ثم اجتمع مع محمد بن عبيد الله عند أبيه فقال عبيد الله شكوت دابة محمد ، وقد
أخبرني الآن أنه يشتريه منك بمائة دينار ، وما هذا ثمنه لا يشتكي . فقال : أعز الله
الوزير ، لو لم أكذب مستزيداً ، لم انصرف مستفيداً ، واني وایاه لكما قلت امرأة
العزیز (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) فضحك
عبيد الله وقال حجتك الداحضة بملاحنتك وظرفك ، أبلغ من حجة غيرك البالغة

طرفة أدبية

﴿ قطعة من رسالة أجاب بها أبو الخطاب الصابي عن أبي العباس بن سابور
المستخرج الى الخير بن مبرة عن رقعة وردت منه في صفة حمل أهداد ﴾
وصلت رقمتك ففضضتها عن خط مشرق ، ولفظ مونق ، وعبارة مصيبة
ومعان غريبة ، واتساع في البلاغة يعجز عنه عبد الحميد في كتابته ، وقس وسحبان
في خطابته ، وتصرف بين جد أمضى من القدر ، وهزل أرق من نسيم السحر ،
وتقلب في وجود الخطاب ، الجامع للصواب ، الا ان الفعل قصر عن القول ، لانك

ذكرت حملاً جعلته بصفتك حملاً ، فكان الميديدى الذى تسمع به ولا أن تراه
وحضر فرايت كبشا متقادماً الميلاد ، من نتاج قوم عاد ، قد أفنته الدهور ،
وتعاقبت عليه العصور ، فظننته أحد الزوجين اللذين جعلهما نوح فى سفينته ،
وحفظ بهما جنس الغنم لذريته ، صغر عن الكبر ، واطف عن القدم ، فبان
دمامته ، وتقاصرت قامته ، وعاد ناحلاً ضئيلاً ، بالياً هزيلاً ، بادی السقام ، عارى
العظام ، جامعاً للمعائب ، مشتملاً على المثالب ، يعجب العاقل من حلول الحياة به ،
ونأتى الحركة فيه ، لانه عظم مجلد ، وصوف ملبد ، لا يجد فوق عظامه سلباً ، ولا
تلقى يدك منه الا خشباً ، لو ألقى الى السبع لأباد ، ولو طرح للذئب لعافه وقلاه ،
قد طال للكلأ قده ، وبعد بالمرعى عهده ، لم ير القتل الا نائماً ، ولا عرف الشعرير
إلا حالماً ، وقد خيرتني بين أن اقتنيه ، فيكون فيه غنى الدهر ، أو أذبحه : فيكون
فيه خصب الرجل ، فلت الى استبقائه لما تعرف من محبتي فى التوفير ، ورغبتي
للتشمير ، وجمعى للولد ، وادخارى للعتد ، فلم أجد فيه مستمتعاً للبقاء ، ولا مدفعاً
للفناء ، لانه ليس بأثنى فتحمل ، ولا بقنى فينسل ، ولا بصحيح فيرعى ، ولا بسليم
فيبقى ، فلت الى الثانى من رأييك ، وعوات على الآخر من قوليك ، وقلت
أذبحه فيكون وظيفة للعيال ، وأقيم رطباً مقام قديد الغزال ، فأنشدنى وقد أضربت
النار ، وحُدَّت الشفَار ، وشمر الجزار

أعيذها نظرات منك صادقة * ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وقال : ما الفائدة لك فى ذبحى ، وأنا لم يبق منى إلا نفس خافت ، ومقلة
انسانها باهت ، لست بذى لحم ، فأصلح للأكل ، لأن الدهر قد أكل لحمى ، ولا
جلدى يصلح للدباغ ، لان الأيام قد مزقت أدمى ، ولالى صوف يصلح للغزل ،
لان الحوادث قد حصت وبرى ، فان أردتني للوقود فكف بعر أبى من نارى ،
وان تقي حرارة جمرى بريح قنارى ، فلم يبق الا أن تطلبنى بدحل ، أو يبنى وبينك
دم . فوجدته صادقاً فى مقالته ، ناصحاً فى مشورته ، ولم أعلم من أى أمرية أعجب

أمن مماطلته للدهر بلبقاء ، أم صبره على الضر والأواء ، أم قدرتك عليه مع إعواز
مثله ، أم تأهيلك الصديق به مع خسارة قدره ، وباليات شعري إذ كنت وإليك
سوق الغنم ، وأمرك ينقذ في الضأن والمعز ، وكل كبش سمين ، وحمل بطين ،
مجلوب اليك ، مقصور عليك ، تقول فيه قولاً فلا ترد ، وتریده فلا تصد ،
وكانت هديتك هذا الذي كأنه ناشر من القبور ، أو قائم عند النفخ في الصور ،
فما كنت مهدياً لو أنك رجل من عرّض الكتّاب ، كأبي علي وأبي الخطاب ، ما كنت
تهدي إلا كلباً أجرب ، أو قرداً أحذب

شاة سعيد بن أحمد

وقال الحمدوني في شاة سعيد بن أحمد بن خوسنداد
أسعيد قد أعطيتني أضحية * مكثت زماناً عندكم ما تطعم
نضواً تعافرت الكلاب بها وقد * تبدوا عليها كي تموت فتؤلم
فاذا الملائكة ضحكوا بها قالت لهم * لا تهزؤا بي وارحموني ترحموا
مرت على علف فقامت لم قرم * عنه وغنت والمدام تسجم
وقف الهوى بي بحيث أنت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم
وقال أيضاً

أياسعيد لنا في شانك العبر * جاءت وما إن لها بول ولا بعر
وكيف تبعر شاة عندكم مكثت * طعامها إلا بيضان الشمس والقمر
لو أنها أبصرت في نومها علفاً * غنت له ودموع العين تمحدر
يما نى لذة الدنيا بأجمعها * انى ليفتنني من وجهك النظر
وقال أيضاً

شاة سعيد في أمرها عبر * لما أتنا قد مسها الضرر
وهي تغني من سوء حالتها * حسي بما قد لقيت يا عمر

مرت بقطف خضر ينثرها * قوم فظنت بأنها خضر
فأقبلت نحوها لتأكلها * حتى اذا ما تبين الخبر
وأبدتها الظنون من طمع * يأسا تغنت والدمع منحدر
كانوا بعيداً وكنتم أمهلهم * حتى اذا ما تقربوا هجروا

وقال لسعيد شوية • سلمها الضر والعجف

قد تغنت وأبصرت * رجلا حاملا علف

بأبي من بكفه * بره ما بي من الدنف

فأناها مطمعا * وأنته لتعتلف

فتولى فأقبلت * تتغنى من الأسف

لينه لم يكن وقف * عذب القلب وانصرف

طيلسان بن حرب

ولاذ قد جرت بعض تضمينات الحمدوني في هذا الموضع فأنا أذكر
هنا قطعة من شعره في الطيلسان وأنمطف في غير هذا الموضع اليها وأكر عليها
(وكان) احمد بن حرب المهلبى من المنعمين عليه ، والحسين اليه ، وله فيه
مدائح كثيرة ، فوهب له طيلسانا أخضر لم يرضه ، قال أبو العباس المبرد فأنشدنا
فيه عشر مقطعات ، فاستحلينا مذهبها فيها ، فجعلها فوق الحسين فطارت كل
مطار ، وسارت كل مسار ، فمنها

يا ابن حرب كسوتنى طيلساناً * ملّ من صحبة الزمان وصداً

فحسبنا نسج العناكب قد حال • الى ضعف طيلسانك سدا

طال ترداده الى الرّفو حتى * لو بعثناه وحدد لتهدى اهتدى

وقال فيه أيضا

يا طيلسان ابن حرب قد هممت بأن * نودى بجسمى كما أودى بك الزمن

ما فيك من ملبس يغنى ولا تمن * قد أوهنت حيلتي أراك كذاك الوهن
فلو تراني لدى الرفاء مرتبطا * كأنتى في يديه الدهر مرتين
أقول حين رآنى الناس الزمة * كأنما لى فى حانوته وطن
من كان يسأل عنا أين منزلنا * فلا فحوانة منا منزل قسن

(وقال) قل لابن حرب طيلسا * نك قوم نوح منه أحدث
أقى القرون ولم يزل * عمن مضى من قبل يورث
وإذا العيون لحظنه * فكأنه باللحظ يحرث
يودى إذا لم أرفه * فاذا رفوت فليس يلبث
كالكلب ان تحمل عليه الدهر أو تتركه يلمث

(وقال) قل لابن حرب طيلسا نك قد * أو هى قواى بكثرة الغرم
متبين فيه لمبصره * آثار رفو أوائل الأمم
وكانه الخمر التى وصفت * فى ياشقيق الروح من حكم
فاذا رمناه فقبل لنا * قد صح قال له البلى انهيم
مثل السقيم برا فراجعهم * نكس فأسلمه الى سقم
أنشدت حين طغى فأعجزنى * ومن العناء رياضة الهرم

الخمر التى وصفت من قول أبى نواس

ياشقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم أنم
فأسقى البكر التى اعتجرت * بخمار الشيب فى الرحم
نمت انصات الشباب لها * بعد أن جازت مدى الهرم
فهى لليوم الذى بزلت * وهى تلو الدهر فى القدم
عنت حتى لو اتصلت * بلسان ناطق وفم
لا حثبت فى القوم مائلة * ثم قصت قصة الأمم
فرعتها بالمزاج يده * خلقت للكاس والقلم

وقال الحمدونی

طیلسان لابن حرب جاءنی * خلعة فی يوم نحس مستمر
 فاذا ما صحت فیہ صیحة * ترکته کھشیم المحتضر
 واذا ما الريح هبت نحوہ * طيرته کالجراد المنتشر
 فمطمع الداعی الی الرافی اذا * مارآه قل ذا شیء نکر
 واذا رفاؤه حاول ان * يتلافاه تعاطی فقمر

(وقال) ایا طیلسانی أعیت طی * أسل بجسمک أم داء حب
 ویاریح صیرتنی أتقیک * وقد کنت لا أتقئ ان تهی
 ومستخبر خبر الطیلسان * فقلت له الروح من أمر ربی
 وقال فیہ

طیلسان لا بن حرب جاءنی * قد قضی التمزیق منه وطره
 أنا من خوف علیہ أبداً * سامریّ لیس یا لو حذره
 یا ابن حرب خذه أوفاعث بما * نشترى عجلاً بصفر عشره
 فلمل الله یحییہ لنا * ان ضربناه بیعض البقره
 فهو قد أدرك نوحا فعمی * عنده من علم نوح خبره
 أبدا یقرأ من أبصره * أنذا کنا عظاماً نحبره

(وقال فیہ)

یا ابن حرب أطلت فقری برقوی * طیلسانا قد کنت عنه غنیا
 فهو فی الرفو آل فرعون فی العر * ض علی النار غدوة وعشیا
 زرت فیہ معاشرا فازدرونی * فتنغیت اذ رأونی زریا
 جئت فی زی سائل کی أراکم * وعلى الباب قد وقفت ملیا
 (وقال فیہ)

وهبت لنا ابن حرب طیلسانا * یزید المرء ذا الضمة اتضاعا
 یسلم صاحبی فیعید شتمی * لان الروح یکسبه انصداعا

أجبل الطرف في طرفيه طولا * وعرضا ما أرى الارقا
فلست أشك ان قد كان قدما * لنوح في سفينه شرا
قد غنيت اذ أبصرت منه * جوانبه على بدني تداعي
ففي قبل التفرق ياضباعا * ولايك موقف منك الوداع

الحسن بن رجاء

دخل المأمون بعض الدواوين فرأى غلاما جميلا على أذنه قلم فقال من أنت
يا غلام ؟ فقال أنا يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك ، المتقلب في نعمتك ، المؤمل
لخدمتك ، خادمك وابن خادمك الحسن بن رجاء ، فقال أحسنت يا غلام ،
وبالاحسان في البديهة تفاضلت العقول . فأمر أن يرفع عن مرتبة الديوان . قال
أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج قال لى أبو العباس المبردمارأيت في أصحاب
السلطان مثل اسماعيل والحسن ، كنت اذا رأيته رأيته رجلا كأنما خلق لندرة منبر ،
أو صدر مجلس ، يتكلم وكأنه يتنفس ، يسهب ويطنب ، ويعرب ويفرب ،
ولا يعجب ويعجب * أراد القاضي اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل حماد بن
زيد بن درهم والحسن بن أبي رجاء بن أبي الضحاك

أبو العباس المبرد

وكان أبو العباس يمد في البلغاء ، وقل لما دخلت على المتوكل اخذني الفتح
ابن خاقان وقت شربه وكان الشراب قد اخذ منه فسألني وقال يا بصري ارايت
احسن وجهاً مني ، فقلت لا والله ولا اسمح راحة ، ثم تجاسرت فقلت
جهرت بخلفه لا أتقيها * بشك في اليمين ولا ارتياب
بأنك أحسن الخلفاء وجهاً * واسمح راحتين ولا أحابي
وان مطيعك الاعلى محلاً * ومن عاصاك يهوى في نباب
فقال أحسنت واجملت في حسن طبعك ، وبديهتك ، فقلت ما ظننتني ابلغ

هذا الشرف ، ولأنزل هذه الرتبة ، فلا زال أمير المؤمنين يسمو بخدمة الى أعلا
المراتب ، ويصرفهم في المذاهب

وصف رجل ماجد

وكان ابن المعتز قد غضب على بعض وكلائه فصار الى أبي العباس المبرد
يسأله ان يكلمه له فكتب اليه المبرد : أنت والله كما قال مسلم بن الوليد في جدك الرشيد
بأبي وأمي أنت ما اندى يدأ * وأبر ميثاقاً وما أزر كما
يغدو عدوك جاء ما إذا رأى * ان قد قدرت على العقاب رجاً كما

وهذا معنى كثير . انشد احمد بن يحيى ثعلب الاعرابي
كريم يفض الطرف فضل حيائِهِ * ويدنو وأطراف الرماح دوائِي
وكالسيف ان لا ينته لان متنه * وحداد ان خاشنته خشان
وهذا يناسب قول ابن المعتز في بعض جهاته
ويجرح احشائِي بيمين مريضَةٍ * كالان متن السيف والحدّ قاطعُ
وقال الاخطل في بني مروان

صمٌ عن الجهل ، عن قيل الخبيء أنفٌ * اذا أملت . م مكروهة صبروا
شمسُ العداوة حتى يستقاد لهم * وأعظم الناس احلاما اذا قدروا

أبو جعفر المنصور

وقال ابراهيم بن علي بن هرمة يمدح أبا جعفر المنصور
كريم له وجهان : وجهٌ لدى الرضى * طليقٌ ، ووجهٌ في الكريمة باسلُ
وليس بمعطى الحق من غير قدرةٍ * ويعفو اذا ما أمكنته المقاتل
له لحظات من خفافٍ سريرةٍ * اذا كرها فيها عقاب ونائل
فأما الذي أمنت أمنه الردى * وأما الذي حاولت بالثكل ثا كل

مجل بن يوسف

وقال الطائي في أبي سعيد محمد بن يوسف
هو السيل ان واجهته انقدت طوعة * وتقتاده من جانبيه فيتبع

اسماعيل بن محمد

وكان عصاة الجرجاني واسمه اسماعيل بن محمد منقطعا الى الحسن بن رجاء
متصلا به وهو القائل فيه

ومحجَّب بالنور ليس بمدرك * الا بما تأتي به الانباه
ملك يحب الله فهو يحبه * وبطيعة فتطيعه الاشياء
يمشى الهوينا للصلاة يقيمها * واذا مشى للحرب فالخيلاء
لله درك ايماء ابن عزيمة * يشوي الزمان وماله إشواء
ثم عتب عليه في بعض الامر فمجاهه جاء قبيحا ، فهرب الى عمان ثم اعتذر
اليه بقصيدته التي اولها

لا تخضبن عوالي المران * الامن العلق النجم القاني
وهي أجود شعر قيل في معناه وهي التي يقول فيها
أقر السلام على الأمير وقل له * ان المداومة الرضاع الثاني
ما ان أنى حشمى بانك ساخط * حتى استخف بموضعي غلماني
وغدت على مطاعمي ومشاربي * وملابسي من أعون الاعوان
فكتب اليه الحسن

أبلغ أبا اسحاق أن محله * مني بحيث الرأس والعينان
لاتبعدن بك الديار الزغبة * واتبعدن قوارع الشيطان
فليفرخ الروح الذي روَّعته * ان المحل محل كل أمان

ابن أبي ربيعة وجميل

اجتمع جميل بن معمر العذري بعمر بن أبي ربيعة المخزومي فأنشده جميل قصيدته التي أولها

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلى * بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
يقولون مهلا يا جميل واني * لأقسم مالي عن بثينة من مهل
خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى
نقله أبو العتاهية فقال

يامن رأى قبلى قتيلا بكى * من شدة الوجد على القاتل
فلما أنما قال لعمر يا أبا الخطاب هل قلت فى هذا الروى شيئاً؟ قال نعم ثم أنشده
جرى ناصح بالود بينى وبينها * فعرضنى يوم الخضاب الى قتلى
فما انس م الاشياء لانس قولها * وموقفها يوما بقارعة النخل
فلما توافقنا عرفت الذى بها * كمثل الذى بي حذوك النعل بالنعل
فسلمت واستأنست خيفة أن يرى * عدو مكاني أو يرى حاسد فعلى
واقبل أمثال الدمى يكتنفها * وكل يفدى بالموده والاهل
فقلت وأرخت جانب الستر انما * معى فتكلم غير ذى رقبة أهلى
فقلت لها ما بى لهم من ترقب * ولكن سرى ليس يحمله مثلى
فاستخذى جميل وصاح : هذا والله الذى طلبت الشعراء فاخطأته ، فتعللوا
بوصف الديار ، ونمت الاطلال

خليفة ابن أبي ربيعة

ولما مات عمر بن أبي ربيعة نعى لامرأة من مولات مكة وكانت بالشام فبكت وقالت : من لأباطح مكة ، ومن يمدح نساءها ، ويصف محاسنهن ، ويبكى

طاعتين ، فقبل لها قد نشأ قتي من ولد عثمان بن عفان على طريقته فقالت أنشدوني
له فأنشدوها

وقد أرسلت في السر ليلابان أقم * ولا تقربنا فالتجنب أجل
لعل الميون الرامقات لوصلنا * تكذب عنا أو تنام فنغفل
أناس أمناهم فبنوا حديثنا * فلما كتمنا السر عنهم تقولوا
فما حفظوا العهد الذي كان بيننا * ولا حين هموا بالقطيعة أجلوا
فقلست وقالت : هذا أجل عوض ، وأفضل خلف ، فالحمد لله الذي خلف على
حرمه وأمته مثل هذا

العرجي

وقال عروة بن أذينة أنشدت ابن أبي عتيق للعرجي
فما ليلة عندي وان قيل ليلة * ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر
بمادلة الاثنين عندي وبالحرى * يكون سواء مثلها ليلة القدر
وما أنس م الأشياء لا أنس قولها * لجارتها قومي سلى لي عن الوتر
فجاءت تقول الناس في ست عشرة * ولا تعجلي عنه فانك في أجر
فقال ابن أبي عتيق هذه أفته من ابن أبي شهاب ، أشهدكم أنها حرة من
مالي إن أجاز أهلها ذلك — والعرجي هو عبد الله بن عثمان بن عمرو بن عثمان
ابن عفان ، وكان ينزل بعرج الطائف فنسب إليه . وهو القائل

هل في ادركارى الحبيب من حرج * أم هل لهم الفؤاد من فرج
أم كيف أنسى مسيرنا حرما * يوم حللنا بالنخل من أمج
يوم يقول الرسول قد أذنت * فأت على غير رقبة فليج
أقبلت أهوى الى رحلهم * أهدي اليها بريحها الارج
(١٦ - ن)

وكان محمد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم والياً على مكة وهو
خال هشام بن عبد الملك بلغه ان العرجي هجاه فضربه ضرباً مبرحاً وأقامه على
أعين الناس ، فجعل يقول

سيفضب لى الخليفة بعد رقى * ويسأل أهل مكة عن مساقى
على عباءة برقاء ليست * من البلوى تجاوز نصف ساقى
وتغضب لى بأسرتها قصي * ولالة الشعب والطرق العماق

خلف محمد بن هشام أن لا يخرج به ما دامت له ولاية ، فأقام فى السجن سبع
سنين حتى مات ، وهو القائل فى سجنه

أضاعونى وأى قتى أضاعوا * ليوم كريمة وسداد نغرى
وخلونى ومعتك المنايا * وقد شرعت أسنتهم لنحرى
كأنى لم أكن فيهم وسيطا * ولم نك نسبى فى آل عمرو
أجرى فى الجوامع كل يوم * ألا لله مظلمى وهصرى
عسى الملك المجيب لمن دعاه * سينجىنى فيعلم كيف شكرى
فأجزى بالكرامة أهل ودى * وأجزى بالضغائن أهل ضرى

✕ نثر ابن المعتز

(جملة من الفصول القصار لابن المعتز)

البشر دال على السخاء كما يدل النور على الثمر — اذا اضطررت الى الكذاب
فلا تصدقه ولا تعلمه أنك تكذبه ، فينتقل عن وده ، ولا ينتقل عن طبعه — كما
ان الشمس لا يخفى ضوءها وان كانت تحت السحاب كذلك الصبي لا يخفى غريزة
عقله وان كان مغموراً بأخلاق الحداثة — كرم الله عز وجل لا ينقض حكمته ،
ولذلك لا يعجل الاجابة فى كل دعوة — كما أن جلاء السيف أهون من صنعه ،

كذلك استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره — إذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة — لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب. الحوادث المعصية مكسبة لحظوظ جزيلة ، من صواب مدخر ، وتطهير من ذنب ، وتنبيه من غفلة ، وتعريف بقدر النعمة ، ومرون على مقارعة الدهر . ومثل هذا الفصل محفوظ عن ذى الرياستين قاله بعقب علة فأغار عليه ابن المعتز . وكتب الى احمد بن محمد جوابا عن كتاب استزاده فيه : قيد نعمتي عندك بما كنت استدعيتها به ، وذب عنها أسباب سوء الظن ، واستندم ما تحب منى بما أحب منك . وكتب اليه : والله لا قابل احسانك منى كفر ، ولا تبع احسانى اليك منى ، ولك عندى يد لا أقبضها عن نفعك ، وأخرى لا أبسطها الى ظلمك ، فتجنب ما يسخطنى فانى أصون وجهك عن ذل الاعتذار (وكان) احمد بن سعيد يؤدبه فتحمل البلاذرى على قبيحة أم ابن المعتز بقوم سألوه ان تاذن له ان يدخل الى ابن المعتز وقتا من النهار ، فأجابت أو كادت تجيب ، قال ابن سعيد فلما اتصل الخبر بى جلست فى منزلى غضبان لما بلغنى عنها فكتب الى ابن المعتز وله ثلاث عشرة سنة

أصبحت يا ابن سعيد خدن مكرمة * عما يقصر من يحفى وينتمل
سر بلتنى حكمة قد هذبت شيمى * وأججت نار ذهنى فهى تشتعل
أكون ان شئت قساً فى خطابه * أو حارثاً وهو يوم الحفل مرتجل
وان أشأ فكر زيد فى فرائضه * أو مثل نهمان لما ضاقت الحيل
أو الخليل عروضياً أخا فطن * أو الكسائى نحويّاً له علل
أملو بداهة ذهنى فى مراكبها * كمثل ما عرفت آبائى الأول
وفى فى صارم ما سله أحد * من غمد فدرى ما العيش والجدل
عقبك شكر طويل لا نفاد له * يبقى بجدهته ما أطت الابل

قس بن ساعدة

وقس الذى ذكر هو قس بن ساعدة الأيادى وقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم شعره وعجب منه

الحارث بن حلزة

وحارث هو الحارث بن حلزة اليشكرى وصف ارتجاله يوم نخره بقصيدته
الى أنشدتها بحضرة عمر بن هند التى أولها
آذنتنا بينها أسماء * رب ثاويمل منه الثواء

زيد بن ثابت

وزيد هو زيد بن ثابت الأنصارى ، واليه انتهى علم الفرائض ، ونعمان هو
أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه ابن ثابت ، وسبق أهل العراق فى الفقه ، والتحليل
ابن أحمد الفرهودى ويقال الفراهيدى منسوب الى حى من الازد اليمحوى
والكسائى على ابن حمزة الكوفى

ابن العميد

(وكتب) أبو الفضل محمد بن العميد الى بعض اخوانه : أنا أشكو اليك جعلنى
الله فداك دهرأ خؤوناً غدوراً ، وزمانا خدوعاً غروراً ، لا يمنح ما يمنح الا ريث
ما ينتزع ، ولا يبقى فيما يهب الا ريث ما يرتجع ، يبدو خيره لمعا ثم ينقطع ، ويحلو
ماؤه جرعا ثم يتنفع . وكانت منه شيمة مألوفة ، وسجية معروفة ، ان يشفع ما يبرمه
بقرب انتقاض ، ويهدى لما ييسطه وشك انتقاض ، وكنا نلبسه على ما شرط ، وان
خاف منه وقسط ، ونرضى على الرغم بحكمه ، ونستم بقصده وظله ، ونعتد من أسباب
المسرة ان لا ينجى . محدوره مصمتا بلا انفراج ، ولا يأتى مكروهه صرفا بلا مزاج ،
ونتعلل بما نختلسه من غفلاته ، ونسترقه من ساعاته ، وقد استحدث غير ما عرفناه
سنة مبتدعة ، وشريعة متبعة ، وأعد لكل صالحة من الفساد حالا ، وقرن بكل

خلة من المكره خلا لا ، وبيان ذلك جعلنى الله فداك انه كان يمنع من معارضته
 اللافين ، بتفريق ذات البين ، فقد أنشئ ممنواً فيك بجميع ما أوغره ، وما أطويه
 من البلوى منك أ كثر مما نشره ، وأحسنى قد ظمت الدهر بسوء الثناء عليه ،
 والزمته جرماً لم يكن قدره بما يحيط به وقدرته ترتقى اليه ، ولو أنك أعنته وظهرته ،
 وقصدت صرفه وآزرتة ، وبعثنى بيع الخلق وليس فيمن زاد ، ولكن فيمن نقص ،
 ثم أعرضت عنى إعراض غير مراجع ، واطرحتنى أطراح غير مجامل ، فهلا وجدت
 نفسك أهلاً للجميل حين لم تجدى هناك ، وأنفدت من جل ماعقدت من غير جريمة ،
 ونكث ماعهدت من غير جريرة ، فاجبنى عن واحدة منهما ، ما هذا التعالى بنفسك ،
 والتعالى على صديقك ، ولم نبذتنى نبذ النواة ، وطرحتنى طرح القذاة ، ولم
 تلفظنى من فيك ، وتمجنى من حلقك ، وانا الحلال الخلو ، والبارد العذب ، وكيف
 لا أخطرنى ببالك خطرة ، وتصيرنى من أشغالك مرة ، فترسل سلاماً إن لم تتجشم
 مكاتبة ، وتذكرنى فيمن تذكران لم تكن مخاطبة ، وأحسب كتابي سيرد عليك
 فتذكره حتى تثبت ، ولا تجمع بين اسم كاتبه وتصور شخصه حتى تتذكر ، فقد
 صرت عندك ممن يحا النسيان صورته من صدرك ، واسمه من صحيفة حفظك ،
 ولعلك أيضاً تتعجب من طمعى فيك وقد توليت ، واستأثرت لك وقد أبيت ،
 ولا عجب فقد يتفجر الصخر بالماء الزلال ، ويلين من هو أقسى منك قلباً فيعود
 الى الوصال ، وآخر ما أقوله أن ودى وقف عليك ، وحبس فى سبيلك ، ومتى
 عدت اليه وجدته غضا طرياً ، فخر به فى المعاودة فانه فى العود احمد .

اجتليت هذا الكلام على اختيار الاختصار . حل قوله فقد يتفجر بالصخر

الماء الزلال من قول ابن الرومى

ياشبهه البدر فى الحسن وفى بعد المنال

وجد فقد تنفجر الصخرة بالماء الزلال

وفى هذه الرسالة فى ذكر فتح وان لم يستبق منه المعنى : وقد خصنا الله

تعالى معاشر عبد الامير عضد الدولة بنعمة يعلو مراتب النعم موقعها ، ويفوت

مقدار المواهب موزعها ، فباسمه أبقاد الله فُتح الفتح ، وبشعاره استُنزل النجح ،
 وبيمين تقيته فرج الكرب ، وبسعادة جده كشف الخطب ، وباهتزازة للدولة
 وحمايته عاد إليها مأوها ، وراجعها بهاؤها ، فعز الملك ونصر ، وذل العدو
 وقهر ، وحملت أطراف الدولة ، وحفظت أكناف الملة ، واستجد نظام النعمة ،
 وسدلت ستور الصيانة دون الحرمة ، ولو جعل المولى تقديس اسمه لنعمته اذا
 تناهت على عبيده جزاء غير الاخلاص في شكره ، وقبل ما في مقابلة الموهبة
 التي يستجدها عند خلقه غير الاغراق في حمده ، لرأيت أن لا أقصر في قضاء
 حقه على بعض الملك دون بعض ، ولجعلنا في صدر ما أبدل عن هذه النعمة
 الأعز من الأهل والولد ، والأ نصيرين الساعد والعضد ، بل العميد والقلب
 والكبد ، بل النفس كلها ، والمهجة بأسرها

أجمل ما قيل في العتاب

وقال سعيد بن حميد يعاتب بعض اخوانه

أقلل عتابك فالبقاء قليل * والدهر يمدل تارة ويميل
 لم أباك من زمن ذمت صروفه * إلا بكيت عليه حين يزول
 ولكل نائبة ألت مدة * ولكل حال أقبلت تحويل
 والمنتمون إلى الإخاء جماعة * ان حصلوا أفناهم التحصيل
 ولعل أحداث المنية والردى * يوماً ستصدع بيننا ونحول
 فلن سبقت لتبكين بحسرة * وليكثرن على منك عويل
 ولتفجعن بمخلص لك وامق * حبل الوفاء بحبله موصول
 ولن سبقت ولا سبقت ليمضين * من لا يشا كله لدى خليل
 وليذهبن بهائم كل مروءة * وليفقدن جاهها المأهول
 وأراك تكلف بالعتاب وودنا * صاف عليه من الوفاء دليل
 ود بد الذوى الإخاء جماله * وبدت عليه بهجة وقبول

ولعل أيام الحياة قليلة * فعلام يكثر عتبنا ويطول

وقال أيضا

لقد ساء في ان ليس لي عنك مذهب * ولا لك عن سوء الخليفة مرغِبُ
أفكر في ود تقادم بيننا * وفي دونه قربي لمن يتقرب
وأنت سقيم الود رث حباله * وخير من الود السقيم التجنب
تسئ وتأني أن تعقب بعده * بحسن وتلقائي كأني مذنب
وأحذر إن جازيت بالسوء والقلبي * مقالة اقوام هم منك أنجب
أساء اختياراً أوعرته ملالة * فعاد يسئ الظن أو يتعتب
نحبت من الود الذي كان بيننا * كما خاب راجي البرق والبرق خُلب
وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

إلى كم يكون الصد في كل ساعة * ولم لا تملن القطيعة والهجرة
رويدك إن الدهر فيه بقية * لتفريق ذات البين فانتظر الدهرا
آخر

ولقد علمت فلا تكن متجنباً * ان الصدود هو الفراق الأول
حسب الأحبة أن يفرق بينهم * صرف الزمان فمالنا نستعجل
آخر

ذَرِ النفس تأخذ وسعها قبل بينها * فترق جاران دأهما العمر
ويقرب من المعنى قول المتنبي أيضاً

زودينا من وجهك ماذا * م فحسن الوجوه حال يحول
وصلينا نصلك في هذه الد * نيا فان المقام فيها قليل

كلام الاعراب

وقف أعرابي يسأل فعبث به فتى ، فقال ممن أنت ؟ فقال من بنى عامر بن
صعصعة ، فقال من أيهم ؟ فقال ان كنت أردت عاطفة القرابة فليكفك هذا

المقدار من المعرفة ، فليس مقامى بمجادلة ولا مفاخرة ، وأنا أقول فإن لم أكن من هاماتهم ، فلست من اعجازهم ، فقال الفتى ما رويت عن فضيلتك الا النقص فى حسابك . فامتنع الاعرابى لذلك ، فجعل الفتى يعتذر ويخلط الهزل والدعابة باعتداده ، وأطال الكلام ، فقال له الاعرابى : يا هذا انك منذ اليوم آذيتنى بمزحك وقطعتنى عن مسئلتى بكلامك واعتذارك ، وانك لتكشف عن جهلك بكلامك ما كان السكوت يستره من أمرك ، وبجلك إن الجاهل ان مزح أسخط ، وان اعتذر أفرط ، وان حدث أسقط ، وان قدر تسلط ، وان عزم على أمر تورط ، وان جلس مجلس الوقار تبسط ، أعوذ منك ومن حال اضطررتنى الى احتمال مثلك ، وقال اسحق الموصلى قال اعرابى لرجل كان يعتمد به بالمعطية : أسأل الذى رحمنى بك أن يرحمك بى ! وسأل اعرابى رجلاً فأعطاه فقال : الحمد لله الذى ساقى الى الرزق وساقك الى الأجر

المقامة البلخية

ومن انشاء البديع من مقامات الاسكندرى قال حدثنا عيسى بن هشام قال : أفضت بى الى بلخ تجارة البر ، فوردتها وأنا بفروة الشباب ، وبأل الفراغ ، وحلية الثروة ، ولا يهمنى الا نزهة فسكر أستفيدها ، أو شريدة من الكلام أصيدها ، فما استأذن على سمعى مسافة مقامى ، أفصح من كلامى ، ولما حنى التفريق لبنا قوسه أو كاد ، دخل الى شاب فى زى ملء العين ، وحلية تشوك الأخدعين ، وطرف قد شرب بماء الرافدين ، ولقيني من البر فى السناء ، بما زدته من الشكر والثناء ، وقال أظعننا تريد ؟ قلت إى والله ، فقال أخصب الله رائدك ، ولا أضل قائمك ، فتنى عزمت ، فقلت غداة غد ، فقال :

صباح الله لاصبح انطلاق * وطير الوصل لا طير الفراق

قال أين تريد ؟ قلت الوطن ، قال بلغت الوطن ، وقضيت الوطر ، فتنى العود ؟ قلت القابل ، قال طويت الربط ، ونيت الخيط ، فأين أنت من الكرم ؟ قلت

بحيث أردت . قال اذا رجعت الله من هذه الطريق ، فاستصحب لى عدوا فى بردة
صديق ، من تجار الصغر ، يدعو الى الكفر ، ويرقص على الظفر ، كدارة العين ،
يحط نقل الدين ، وينافق بوجهين ! فعلت أنه يلتبس دينارا ، قلت لك ذلك نقدا ،
ومثله وعدا ، فأنشأ يقول

رأيتك فيما خطبت أعلی * لازلت المكرمات أهلا
صلبت عوداً وفقت جوداً * وطبت فرعاً وطبت أصلا
لا أستطيع العطاء حملا * ولا أطيق السؤال ثقلا
قصرت عن منتهاك ظنا * وطلت عما ظننت فعلا
يارجة الله والمعالی * لالقي الدهر منك نکلا

قال عيسى بن هشام فتلته الدينار . وقلت من أين نبت هذا الفضل ؟
قال نعمنى قريش ومُهد لى الشرف فى بطحائها ، فقال بعض من حضر : أأنت
أبا الفتح السكندري ؟ ألم أرك بالعراق ، تطوف بالأسواق ، مكديا بالأوراق ؟
فأنشأ يقول

ان لله عبيداً * أخذوا العمر خليطاً
فهم يمسون أعرا * با ويضحون ببيطاً

من البديع الى الميكالى

وله الى أبى نصر الميكالى يشكو اليه خليفته بهراة : كتابى أطل الله بقاء
الشيخ الجليل ، والماء إذا طال مكثه ، ظهر خبثه ، وإذا سكن منته ، تحرك تننه ،
كذلك الضيف يسمج لقاؤه ، إذا طال نواءه ، ويشغل ظله ، إذا انتهى محله ، وقد
حلبت أشطر خمسة أشهر بهراه ، وإن لم تكن دار مثلى لولا مقامه ، وما كانت
تسعى لولا ذمامه ، ولى فى بيتى قيس مثل صدق ، وإن صدرا مصدر عشق
وأدينيتنى حتى إذا ما سبيتني * بقول يحل المصم سهل الاباطح
تجافيت عنى حيث لالى حيلة * وخلفت ما خلفت بين الجوانح

نعم قنصتني نعم الشيخ ، فلما علمق الجناح ، وقلق البراح ، طرت مطار الريح ،
بل مطار الروح ، وتركتني بين قوم ينقض مشهم الطهارة ، وتوهن أكنهم
الحجارة ، وحدثت عن هذا الخليفة ، بل الجيفة ، انه قال قضيت لفلان خمسين
حاجة منذ ورد هذا البلد ، وليس يقنع ، فما أصنع ، فقلت يا أحمق ان استطعت
أن تراني محتاجاً ، فاستطع أن أراك محتاجاً اليك ، أف لقولك ولفعلاك ، ولدهر
أحوج الى مثلك ! وأنا أسأل الشيخ الجليل أن يبيض وجهي بكتاب يسود
وجهه ، ويعرفه قدره ، ويملاً رعباً صدره ، الى أن تبين على صفحات جنبه ،
آثار ذنبه

عتابه له

وله اليه يمانبه : قد عرف الشيخ الجليل اتسام بعبوديته ، ولو عرفت
وراء العبودية مكانا لبلغته معه ، وأراني كلما قدمت صُحبة ، رجعت رتبة ، وكما
طالت خدمة ، قصُرت حُشمة ، ولست ممن يذهب عليه ان للسلطان أن يرفع
عبداً حبشياً ، ويضع قرشياً ، ولكن أحب أن أقف من مكاني على رتبة كوكبها
لا يغور ، ومنزلة لولائها لا يدور ، فاذا عرفت قدرى وخطه ، لم أنخطه ، ثم ان رأيت
محلي وحدته ، لم أتمده ، ان قدمني يوماً عليها علمت ان عناية قدمتي ، وان أخرى
عنها علمت ان جنانية أخرتني ، رُفِعَ على اليوم فلان ولست أنكر سنه وفضله ،
ولا أجدد بيته وأصله ، ولكن لم تجر العادة بتقدمه ، لافي الأيام الخالية ، ولا
في هذه الأيام العالمية ، وشديد على الانسان ما لم يُعوّد ، فان كان حاسد قد همّ ،
أو كاشح قد نَمّ ، أو خطب قد أَلَمّ ، أو أمر قد وقع ونَمّ ، فالشيخ الجليل أولى
من يعرفه ويعرفنيه ، والا فما الرأي الذي أوجب اصطناعي ، ثم ضياعي ، والسبب
الذي اقتضى بيعي بعد ابتياعي ؟

ابراهيم بن المهدي والمأمون

ولما رضى المأمون عن ابراهيم بن المهدي أمر به فأدخل عليه ، فلما وقف بين يديه قال : ولئى الثأر محكم فى القصاص ، ومن تناوله الاغترار بما مده من أسباب الرجاء أمن من دعاة الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله تعالى فوق كل ذى ذنب ، كما جعل كل ذى ذنب دونك ، فان اخذت فبحقك ، وان عفوت فبفضلك . ثم قال

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه
نخذ بحقك أولا * فاصفح بفضلك عنه
ان لم أكن فى فعلى * من الكرام فكنته

فقال لى شاورت أبا اسحق والعباس فى قتلك فأشارا به ، قال فما قلت لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال قلت لهما بدأناه باحسان ، ونحن نستأمر دفيه ، فان غيّر الله يغير ما به ، قال أما ان يكونا قد نصحا فى عظيم ما جرت عليه السياسة فقد فعلا وبلغنا ما يبلغك ، وهو الرأى السديد ، ولكنك أبيت أن لا تستجلب النصر الامن حيث عودك الله ، ثم استعبر باكيا ، فقال له المأمون ما يبكيك ؟ قال جذلا اذ كان ذنبى الى من هذه صفته فى الإيعام ، ثم قال انه وان كان قد بلغ جرمى استحلال دمي ، فعلم أمير المؤمنين وفضله بلغانى عفوه ، ولى بمدى شفاعة الاقرار بالذنب ، وحق الأبوة بعد الأب ، فقال يا ابراهيم لقد حبب الى العفو حتى خفت ان لا أوجر عليه ، أما لو علم الناس مالنا فى العفو من اللذة لتقربوا الىنا بالجنائيات ، لا تريب عليك يفر الله لك ، ولو لم يكن فى حق نسبك ما يبلغ الصفح عن جرمك ، لبغتك ما أملت حسن تفضلك ، ولطف توصلك . ثم أمر برده ضياعه وأمواله . فقال

رددت مالى ولم تبخل على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمي

وقام علمك بي فاحتج عندك لى * مقام شاهير عدل غير منهم
فلوبذات دمي أبغى به رضاك به * والمال حتى أسلّ النعل عن قدمي
ما كان ذاك سوى عارية سلفت * لو لم تنهبها لكنت اليوم لم تلم
أخذ معنى قول المأمون لقد حبيب الى العفو حتى خفت أن لا أوجر عليه
أبو تمام الطائي فقال

لو يعلم العافون كم لك في الندى * من لذة وقريحة لم تخمد
فكان أبو تمام في هذا كما قال أبو العباس بن المعتز في القاسم بن عبيد الله
إذا ما مدحنا استمعنا بفعله * فناخذ معنى قولنا من فعاله

وكان تصويب ابراهيم لرأى أبي اسحق المعتصم والعباس بن المأمون أطف
في طلب الرضا ودفع المكروه واستماتهما الى العاطفة عليه من الازراء عليهما
في رأيهما ، وكان ابراهيم يقول : والله ما عفا عنى لرحم ولا لحنة ، ولكن قامت له
سوق في العفو كره أن يفسدها . وكان المأمون شاور في قتل ابراهيم احمد بن أبي
خالد الأحول فقال : ان قتلته فلك نظير ، وان عفوت عنه فلا نظير لك ، فأختار
لك العفو (وقال المأمون) لا اسحق بن العباس لا تحسبني أغفلت أمر ابن المهدي
وتأييدك له وإيقادك لناره ، قال والله يا أمير المؤمنين لإجرام قريش الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم أعظم من جرمي اليك ، ولرحمى بك أمتن من ارحامهم ، وقد
قال لهم كما قال يوسف على نبيينا وعليه الصلاة والسلام لا خوته : لا تريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . وأنت يا أمير المؤمنين أحق وارث
لهذه الأمانة الطول ، وممثل لخلال العفو والفضل ، قال هيهات تلك أجرام جاهلية
عفا عنها الاسلام ، وجرمك جرم في اسلامك ، وفي دار خلافتك ، قل يا أمير المؤمنين
فوالله للمسلم أحق باقالة العثرة ، وغفران الذنب ، من الكافر . وهذا كتاب الله
يبنى وينك إذ يقول : وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن

الناس والله يحب المحسنين . والناس يا أمير المؤمنين نسبة دخل فيها المسلم والكافر ،
والشريف والمشروف . قال صدقت ، وريت بك زنادك ، ولا برحت أرى من
أهلك أمثالك

وقال رجل لبعض الملوك وقد وقف بين يديه : أسألك بالذى أنت بين
يديه غدا أذل منى بين يديك اليوم ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي ، إلا
ما نظرت فى أمرى نظرم من برئى أحب اليه من سقمى ، وبراءتى أحب اليه من بليتى

معاوية وروح بن زنباع

وأراد معاوية عقوبة روح بن زنباع فقال : يا أمير المؤمنين أنشدك الله تعالى
ان لا تضع منى خسيصة أنت رفعتها ، أو تنقض منى مريرة أبرمتها ، أو تشمت بى
عدوا أنت كبتته ، وحاسدا بك وقتته ، وأسألك بالله الا أربى حلك على خطأتى
وصفحك على جهلى . فقال معاوية رضى الله عنه « اذا الله نئى عقد شئ تيسرا »
أشار الى هذا أبو الطيب المتنبى إذ قال

أزل حسد الحساد عنى بكبتهم * فانت الذى صيرتهم لى حسدا
اذاشد زندى حسن رايلك فى يدى * ضربت بسيف يقطع الهام مغمدا

بعض خاصة المأمون

وعتب المأمون على بعض خاصته فقال يا أمير المؤمنين ، ان قديم الحرمة ،
وحديث التوبة ، يمحوان ما بينهما من الاساءة . قال صدقت وعفا عنه

أحد ملوك الفرس

وكان فى ملوك فارس ملك عظيم المملكة ، شديد النعمة ، فقرب له صاحب المطبخ
طعامه فنقطت نقطة من الطعام على المائدة ، فزوى له الملك وجهه ، وعلم صاحب
المطبخ انه قاتله ، فعمد الى الصحيفة فكفأها على المائدة ثم ولى ، فقال له الملك ما حلك
على ما فعلت ، وقد علمت أن سقوط النقطة أخطأت بها يدك ، ولم يجربها تعمدك ،

فما عندك في الثانية ؟ قال استنحيت للملك ان يوجب قتلى ، ويبيح دم مثلى ، في سنى وحرمتى ، وقديم اختصاصى وخدمتى ، في نقطة أخطأت بها يدي ، فأردت أن يعظم ذنبى ، ليحسن بالملك قتلى ! قال لمن كان اعتذارك ينجيك من القتل ، فليس ينجيك من التأديب ، اجلدوه مائة جلدة واخلموا عليه خلع الرضا

بهرام جور

وخرج بهرام جور متصيدا فعن له حمار وحش فاتبه حتى صرعه ، وقد انقطع عن أصحابه فنزل عن فرسه يريد ذبحه ، وبصر براع فقال أمسك على فرسى ، وتشاغل بذبح الحمار ، وحانت منه التفاتة فنظر الى الراعى يقطع جوهر عذار فرسه ، فحول بهرام جور وجهه وقال : تأمل العيب عيب ، وعقوبة من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سفه ، والعفو من أفعال الملوك ، وسرعة العقوبة من أفعال العامة . ثم قال يا غلام مبال شريانك يضطرب لملك آذاك تكسيرنا أرضك بحوافر خيلنا ، فقال نعم ، وقد عزمت على ان أنقلع مائة فرسخ ، فقال بهرام لا ترع فهذا الموضع وما فيه لك ، وكان الراعى خبيثا ، فقال ان الملوك اذا قالت قولاً تمت على قولها ، فرجع بهرام الى عسكره وقال : اتبعنى لأوثق لك من هذه الأرض ، فاتبه ، فلما بصربه الوزير قال : أيها الملك السعيد انى لأرى جوهر عذار فرسك مقلما ، فتبسم وقال : أخذه من لا يردده ، وراه من لا ينم به ، فمن أخذه صاحبنا ولا انطالبه به

نقل ابن الرومى قول بهرام تأمل العيب كما اتفق موزونا فقال

تأمل العيب عيب * مافى الذى قلت ريب

وكل خير وشر * دون العواقب غيب

ورب جلباب هم * فيه من الصنع جيب

لا تحقرن سببيا * كم قاد خيرا سبب

أخذ البيت الأخير من قول الطائى :

رُبَّ قليل غداً كثيراً * كم مطر بدؤه مُطِير

وقوله :

لا تزيلن صغير همك وانظر * كم يندى الانل دوحه من قضيب

وقد أعاد ابن الرومي قوله

وكل خير وشر * دون العواقب غيب

في قصيدته التي مدح بها احمد بن محمد بن نواية حين ساوره ، وقال لو أتى

لبيد لتعجب منه ، فاستجزله وقال

ولما دعاني للشوبة سيد * يرى المدح عارا قبل بذل الثواب

تنازعني رعب ورهب كلاهما * قوى وأعيانى طلوع المعاييب

فقدمت رجلا رغبة في رغبة * وأخرت رجلا رهبة المعاطب

أخاف على نفسي وأرجو مفازها * واستار غيب الله دون العواقب

الى أن يريني غائبي قبل مذهبي * ومن أين والغايات بعد المذاهب

كتاب البديع الى أبي على اسماعيل

نسخة رقعة كتبها بديع الزمان الى أبي على اسماعيل يعتذر اليه : سوء

الأدب من سكر الذنب ، وسكر الغضب من الكبائر التي تنالها المغفرة ، ونسبها

المعذرة ، وقد جرى بحضرة الشيخ ما جرى ، وقد أفنيت يدي أعضاء ، واسنانى رضا ،

وان لم أوف ماجرى فالعذر أمد خطا ، فان كان بساطا يطوى ، وحديثا لا يروى ، فأولى

من عذر اللاعب ، وأحرى من غفر الصاحب ، وان كان ميتا ينشر ، وسببا يذكر ،

فليكن العقاب ما كان ، ان لم يكن الهجران ، على انى قد أخذت قسطى من

العقاب ، واستفدت من رد الجواب ، ما كفى ، وأوجع القفا ، فكان من موجب

أدب الخدمة ، ابقاء الحشمة ، لولى النعمة : باحتمال الشتم ، والاغضاء عن الخصم ،

لكنى أحذقت بى ثلاثة أحوال لا يسلم صاحبها : اللعب وسكره ، والخصم

وهجره ، والادلال والثقة ، وهى اللواتي حملتنى على ماء الوجه فهرقته ، وحجاب

الحشمة نفرقته ، قدمتنى الآن فرط الحياء ، من وشك اللقاء ، وعهدى بوجهى

وهو أصفق من العدم الذى حملنى على جهله ، وأوقج من الدهر الذى أحوجنى الى أهله .
لكن النعم اذا توالى على وجه رققت قشرته ، وألانت بشرته ، وأنا منتظر من
الجواب ما يريش به جناحى الى خدمته ، فان رأى أن يكتب فعل ان شاء الله

كتابه الى ابن مشكويه

(وله رقعة الى ابى على بن مشكويه) أولها

ويا عزمان واش وشى بى عندكم * فلا تمهليه أن تقولى له مهلا
كما لو وشى وأش بعزة عندنا * لقلنا تزحزح لا قريبا ولا أهلا
بلغنى أطال الله بقاء الشيخ أن قيضة كلب وافته بأحاديث لم يعرها الحق نوره ،
ولا الصديق ظهوره ، وأنه ادام الله عزه اذن لها على مجال أذنه ، وفسح لها فناء ظنه ،
ومعاذ الله أن أقولها ، وأستعجز معقولها ، بل قد كان بينى وبين الشيخ عتاب لا ينزل
كنفه ولا يجدف ، وحديث لا يتعدى النفس وضميرها ، ولا يعرف الشفة
وسميرها ، وعريضة كمر بدة أهل الفضل ، لا تتجاوز الدلال والادلال ، ووحشة
لا يكشفها عتاب لحظة ، ككتاب جحظة ، فسبحان من ربى هذا الامر حتى
صار أمراً ، وتأبط شراً ، وأوجب عذراً ، وأوحش حراً ، وسبحان من جعلنى فى
حيز العدو أشيم بارقته ، وأنخوف صاعقته ، وأنا المساء اليه ، والمجنى عليه ،
ولكن من بلى من الاعداء بمنل ما بليت ، ورمى من الحسد بما رميت ،
ووقف من التوحد والوحدة حيث وقفت ، واجتمع عليه من المنكار ما وصفت ،
اعتذر مظلوما ، وضحك مشتوما ، ولو علم الشيخ عدد أولاد الجدد ، وأبناء
العدد ، بهذا البلد ، ممن ليس له هم إلا فى سعاية أو شكاية أو حكاية أو نكاية ،
لضن بعشرة غريب اذا بدر ، وبعيد اذا حضر ، ولصان مجلسه عن لا يصونه
عمارقى اليه ، وهبنى قد قلت ما حكى ، أليس الشاتم من أسمع ، والجاني من
أبلغ ، فقد بلغ من كيد هؤلاء القوم أنهم حين صادفوا من الاستاذ نفسا لا تستفز ،
وجبلا لا يهز ، وشوا الى خدمه بما أرتوا نارهم ، وورد على ما قالود فما لبثت أن قلت
فان تلك حرب بين قومى وقومها * فانى لها فى كل نائبة سلم

وليعلم الاستاذ أن في كبد الاعداء منى جرة ، وأن في أولاد الزنا عندنا
كثرة ، وقصاراتهم نار يشبونها ، وعقرب يديونها ، ومكيدة يطلبونها ، ولولا
ان العذر اقرار بما قيل ، وأكره أن أستقبل ، لبسطت في الاعتذار شاذروانا ،
ودخلت في الاستقالة ميدانا ، لكنه أمر لم أضع أوله ، فلم أندرك آخره ، وقد
أبى الشيخ أبو محمد أيده الله إلا أن يوصل هذا النثر الغائر بنظم مثله فما كـ
يلعن بعضه بعضا

مولاي ان عدت ولم ترض لي * أن أشرب البارد لم أشرب
امتط خدي وانتعل ناظري * وصد بكفى حمة العقرب
تالله ما أنطق عن كاذب * فيك ولا أبرق عن خلب
فالصفو بعد الكدر المفترى * كالصفو بعد المطر الصيب
ان اجتن الغلظة من سيدي * فالشوك عند الثمر الطيب
أو يفد الزور على ناقد * فالخمر قد يعصب بالثيب
ولعل الشيخ أبا محمد أيده الله يقوم من الاعتذار بما قعده عنه القلم والالسان ،
فنعم رائد الفضل هو والسلام

سهل بن هرون

فقر من كلام سهل بن هرون للمأمون — كان المأمون استقل سهل بن هرون
فدخل عليه يوماً والناس على مراتبهم ، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل
مذهب ، فلما فرغ من كلامه أقبل سهل بن هرون على الجمع فقال : ما لكم تسمعون
ولا تعون ، وتشاهدون ولا تفقهون ، وتفهمون ولا تتمعجون ، وتتعجبون ولا
تنصفون ؟ والله انه ليقول ويفعل في اليوم القصير ، ما فعل بنو مروان في
الدهر الطويل ، عربكم كمجمكم ، وعجمكم كمبيدكم ، ولكن كيف يعرف
الدواء ، من لا يشعر بالداء ؟ فرجع المأمون فيه الى الرأي الأول

وكان أبو عمرو سهل بن هرون من أهل ميسان نزل البصرة فنسب اليها وهو القائل

يا أهل ميسان السلام علي * كم طيبون الفرع والجذم
أما الوجوه ففضة مزجت * ذهباً وأيد سحة هُضم
أتريد كلب ان أناسها * قد قل من كليب العلم
اجعلت بيتاً فوق رابية * فرع النجوم كأنه نجم
كم بيت شعروسط مجهولة * بفنائها الجمعان والبهيم

وكان سهل شعوبيا ، والشعوبية فرقة تتصعب على العرب وتنتقصها ، وكان

أبو عبيدة يرمى بهم - وسهل ظريف عالم حسن البيان وله كتب ظريفة صنفها معارضا
للأوائل في كتبهم بما لا يستصوبه منهم حتى قيل له بزجرهم الاسلام ،
وقال يمدح رجلا

عدو تلاد المال فيما ينوبه * منوع اذا ما منعه كان احزما
مدلل نفس قدأبت غير أن ترى * مكارد ما تأتي من العيش مغنا

هذا نظير قوله في كتاب نعله وعفرة الذي عارض به كلية ودمنة : اجعلوا

أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدما قبل الذي تجودون به من تفضلكم ، فان
تقديم النافلة مع الإبطاء عن الفريضة مظاهر على وهن العقيدة ، وتقصير الروية ،
ومضر بالتدبير ، مخل بالاختيار ، وليس في نفع عمدته عوض من فساد المرواة
ولزوم النقيصة . وكتابه هذا مملوء حكما وعاما . وسهل القائل

تقسمني همان قد كسفا بالي * وقد تركا قلبي محلة بلبال
هما اذريا دمي ولم تذر عبرتي * رهينة خدر ذات سمط واخلخال
ولا قهوة لم يبق منها سوى الذي * على أن تحاكي النور في رأس ذيال
تحلل منها جرمها وتماسكت * لها نفس معدوم على الزمن الخالي
ولسكنما أبكي بعين سخية * على حدث تبكي له عين أمثالي
فراق خليل لا يقوم به الا سي * وخلة حر لا يقوم بها مالي
فواحسرتي حتى متى القلب موجد * لنفر خليل أو تعذر افضال

وما الفضل الا أن تجود بنائل * والألقاء الخلد ذى الخلق العالى
وهو القائل

إذا امرؤ ضاق غنى لم يضق خلقى * من أن يرانى غنيا عنه بالياس
لا اطلب المال كى أغنى بفضله * ما كان مطلبه فقرا من الناس
وأنشد له الجاحظ يهجو رجلا

من كان يعمر ما شادت أوائله * فأنت تعمر ما شادوا وما سمكوا
ما كان فى الحق ان تحوى فعالمهم * وأنت تحوى من الميراث ما تركوا
وقال محمد بن زياد الزيادى: وجدت على سهل بن هرون فى بعض الامر فهجوته
فكتب الى: أما بعد فالسلام على عهدك وداع ذى ظن بك ، فى غير مقلية لك ،
ولاسلوة عنك ، بل استسلام للبلوى فى أمرك ، وقرار بالمعجزة فى استعطافك ،
الى أو ان بينك ، أو يجعل الله لنا دولة من رجعتك والسلام . وكتب فى اسفل الكتاب
ان تعف عن عبدك المسمى فى * عفوكم مأوى للفضل والمغن
أتيت ما أستحق من خطأ * فجد بما تستحق من حسن

الحسن البصرى

وقال الحسن البصرى رحمه الله فى يوم وقد رأى الناس وهياتهم : ان الله
تبارك وتعالى جعل رمضان مضمارا لخلقه ، يستبقون فيه بطاعته الى مرضاته ،
فسبق قوم ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا . فالعجب من الضاحك اللاعب فى
اليوم الذى يفوز فيه المحسنون ، ويخسر فيه المبتلون ، أما والله لو كشف الغطاء
لشغل محسن باحسانه ومسىء باساءته

ونظر الى قوم منصرفين من صلاة الفطر يتدافعون ويتضاחקون ،
فقال: الله المستعان ! ان كان هؤلاء قد تقرر عندهم أن صومهم قد تقبل فما هذا محل
الشاكرين ، وان علموا أنه لم يقبل فما هذا محل الخائبيين
وكان الحسن من الخطباء النساك الفقهاء الاجواد ، ويقال انه لم يكن تابعى

أفضل منه ، هذا قول أهل العراق جميعا ، وأهل الحجاز يقدمون سعيد بن المسيب عليه ، وكان سعيد أحسن من الحسن ورعا ، وأشد الناس جزعا ، وأقلهم كلاما . وكان الحسن لا يدع أن يتكلم بما هجس في نفسه ، وجاش في صدره

التهنئة برمضان

وعلى ذكر الحسن شهر رمضان نقول :

(الفاظ لاهل العصر في التهنئة باقبال شهر رمضان مع ما يتصل بها من الادعية)

ساق الله تعالى اليك سعادة اهلانك ، وعرفك بركة كماله — قسم الله لك من فضله ، ووفقك لفرضه ونقله — أقامك الله فيك ما ترجوه ، ورقاك الى ما تحبه فيما يتلوه . جعل الله ما اظلك من هذا الصوم مقرونا بافضل القبول ، مؤذنا بدرك البغية ونجح المأمول ، ولا اخلاك من بر مرفوع ، ودعاء مسموع — قابل الله تعالى بالقبول صيامك وبمظيم المثوبة تهجدك وقيامك — عرفك الله من بر كته ما يربى على عدد الصائمين والقاتمين ، ووفقك الله تعالى لتحصيل أجر المتجهدين المجتهدين — أسأل الله تعالى ان يضاعفه بمنه لك ، ويجعله وسيلة بقبوله الى مرضاته عنك — اعاد الله الى مولاي أمثاله ، وتقبل منه أعماله ، واصلح في الدين والدنيا أحواله ، وبلغه منها آماله — اسعده الله بهذا الشهر ، ووفاه فيه اجزل المثوبة والاجر ، ووفر حظه من كل ما يرتفع من دعاء الداعين ، وينزل من ثواب العاملين ، وقبل مساعيه وزكاها ، ورفع درجاته واعلاها ، وبلغه من الآمال منهاها ، وظفر بأبعدها واقصاها

أخلاق المؤمن

وقال الحسن : من اخلاق المؤمن ، قوة في دين ، وحزم في اين ، وحرص على العلم ، وقناعة في فقر ، ورحمة المجهود ، واعطاء في حق ، وبر في استقامة ، وفقه في يقين ، وكسب في حلال — وقال محمد بن سليمان لابن السماك بلغني عنك شيء . قال لا أباليه اقال ولم ؟ قال لانه ان كان حقا عرفته ، وان كان باطلا كذبت

وقال محمد بن صبيح المعروف بين السهات : خير الاخوان أقومهم مصالحة
في النصيحة ، وخير الاعمال احلاها عاقبة ، وخير الثناء ما كان على أفواه الاخيار ،
واشرف السلطان ما لم يخالطه البطر ، واغنى الاغنياء من لم يكن للحرص اسيرا ،
وخير الاخوان من لم يخاصم ، وخير الاخلاق اعونها على الورع . وانما يختبر
ذل الرجال عند الفاقة والحاجة

وصف رجل ماجد

ووصف بعض البلغاء رجلا فقال : انه بسيط الكف ، رحب الصدر ،
موطأ الاكناف ، سهل الخلق ، كريم الطباع ، غيث مغوث ، وبحر زخور ،
ضحك السن ، بشير الوجه ، بادي القبول ، غير عبوس ، يستقبلك بطلاقة ،
ويحييك ببشر ، ويستدرك بكرم غيب ، وجميل سر ، تهيجك طلاقته ،
ويرضيك بشرده ، ضحكك على مائدته ، عبيد اضيافه ، غير ملاحظ لا كيله ،
بطين من العقل ، خميص من الجهل ، راجح الحلم ، ناقد الرأي ، طيب الخلق ، محصن
الضريبة ، معطاء غير سائل ، كاس من كل مكرمة ، عار من كل ملامة ، ان سئل
بذل ، وان قال فعل * قال ابو الفتح كشاجم

مزاجك المثنى من العود والصبأ * من الريح والصابي الرقيق من الحر
فلو كنت وردا كنت وردا مضاعفا * ولو كنت طيبا كنت من عنبر البحر
ولو كنت لحنا كنت تأليف معبد * ولو كنت عودا ما انقذت الى زمر

وصف حسناء

(وقال اعرابي)

ألا حبذا البرد الذي تلبسينه * وأحبذا من باعك البرد من تجر^(١)
فلو كنت ماء كنت ماء غمامة * ولو كنت درأ كنت من درة بكر
ولو كنت هوا كنت تعليل ساعة * ولو كنت نوما كنت إغفاء الفجر
ولو كنت ليلا كنت قراء جنب * نحوس ليالى الشهر أو ليلة القدر

(١) التجر بالفتح هو التاجر

غرر المدائح

نبذ من ألفاظ بلغاء أهل البصر تجرى في المدح مجرى الامثال لحسن استعارتها ، وبراعة تشبيهاتها — فلان مرتضع ندى المجد ، مقترش حجر الفضل — له صدر تضيق به الدهناء ، وتفزع اليه الدهماء — له في كل مكرومة غرة الاصبح ، وفي كل فضيلة قادمة الجناح — له صورة تستنطق الافواه بالتسبيح ، وينرقرق فيها ماء الكرم ، وتقرأ فيها صحيفة حسن البشر ، تحيا القلوب بلقائه ، قبل أن يموت الفقر بمطائه — له خلق لو مزج به البحر انفى ملوحته ، وكفى كدورته — هو غذاء الحياة ونسيم العشق ، ومادة الفضل — آراؤه سكاكين في مناصل الخطوب — له همه تعزل السماك الاعزل ، وتجر ذيلها على الحجر — هو راجح في موازين العقل ، سابق في ميادين الفضل ، يفترع أبكار المكارم ، ويرفع منار المحاسن — ينابيع الجود تنفجر من أنامله ، وربيع السماء يضحك من فواضله — هو بيت القصيدة ، وأول الجريدة ، وعين الكتيبة ، وواسطة القلادة ، وانسان الحدقة ، ودرة التاج ، ونقش القمص ، وهو ملح الارض ، ودرع الملة ، واسان الشريعة ، وحصن الامة ، هو غرة الدهر والزمان ، وناظر الايمان — له أخلاق خلقن من الفضل ، وشيم تشام منها بوارق المجد ، أرج الزمان بفضله ، وعقم النساء عن الاتيان بمثله ، الجميل لديه معتاد ، والفضل منه مبدوء ومعاد ، ماله للعفاة مباح ، وفعاله في ظلمة الدهر مصباح ، كأن قلمه عين ، وكأن جسده سمع ، يرى بأول رأيه آخر الامر ، — جوهر من جواهر الشرف ، لامن جواهر الصدف ، ويقوته من يواقيت الاحرار لا يواقيت الاحجار — طلعت له لبشاشة عليها ديباجة خسروانية ، وفيها للعلاقة روضة ربيعية — وجه كأن نشرته نشر البشر ، ومواجهته أمان من الدهر ، يصل يبشره ، قبل أن يصل بیره ، قد لحظت من وجهه الانوار ، ومن بنائه الانوار ، أنا من كرم عشيرته ، وطلاقة أسرته ، في روضة وغدير ، وجنة وحريز ، وهو بحر العلم ممدود بسبعة أبحر ، ويومه من يوم الادب كعمر سبعة أنسر — العلم حشو ثيابه ، والادب ملء اهابه — هو شخص الادب ماثلا ، واسان العلم قائلا ، شجرة فضل

عودها أدب ، وأغصانها علم ، ونمرتبا عقل ، وعروقها شرف ، تسقيها سماء الحرية ،
وتغذيها أرض المروءة — هم ملح الأرض إذا فسدت ، وعمارة الأرض إذا خربت ،
ومعرض الأيام إذا احتشدت ، وهم جمال الأيام ، وخواص الأنام ، وفرسان
الاسلام ، وفلاسفة الكلام — فلان غصن طبعه نظير ، ليس له في مجده نظير ،
قد جمع الحفظ الغزير ، والفهم الصحيح ، والأدب القوى القويم ، وما يؤنس من
الوحشة إلا الدفاتر ، ولا يصحبه في الوحدة إلا المحابر — فلان يحل دقائق الاشكال
ويزيل معترض الاشكال ، له خلق كنسيم الاسحار ، على صفحات الانوار ، كالماء
صفاء ، والمسك ذكاً — اخلاق قد جمعت المروءة اطرافها ، وحرس الحرية أكنافها —
اخلاق تجمع الاهواء المتفرقة على محبته ، وتؤلف الآراء المتشتتة على مودته ،
— اخلاق أعذب من ماء الغمام ، وأحلى من ريق النحل ، وأطيب من زمان الورد —
اخلاق أحسن من الدر والعقيان ، في نحور الحسان ، وأذكى من حركات الروح
والريحان — فلان يستحط القمر بطرفه ، ويستنزل النجم بلطفه — هو حلو مذاق ،
سهل المساع ، أجمل الناس في جد ، وأحلام في هزل ، يتصرف مع القلوب ،
كتصرف السحاب مع الجنوب ، ذو جد كملو الجد ، وهزل كحديثه الورد ،
له عشرة ماؤها يقطر ، وصحوها من الغضارة يطر — هو ريحانة على القدح ،
وذريعة على الفرع — عشرته أطف من نسيم الشمال ، على أديم الزلال ، وألصق
بالقلب ، من علائق الحب — اذا أردت فهو سبحة نسك ، أو أحبيبت فهو تفاعلة
فاتك ، أو اقترحت فهو مدركة راهب ، أو آثرت فهو نحيمة شارب — أخباره ذكية ،
وآثاره ذكية — أخباره تأتينا كما وشى بالمسك رياد ، وينم على الصباح محياه ، قد
نتشر من طيب اخباره زائداً على المسك الفتيق ، وأوفى على الزهر الأنيق
مناقب تشدح في جبينها غرة الصباح ، وتهادي انبائها وفود الرياح ، فلان أخباره
آثاره ، وعينه قراره ، قد حصل له من حميد الذكر ، وجميل النشر ، ما لا تزال
الرواة تدرسه ، والتواريخ تحرسه ، سألت عن أخباره فكأنني حركت المسك فتبقا
أو صبحت الروض أنيقاً ، أخباره متضوعة كتضوع المسك الازفر ، ومشرقة

إشراق أنوار ، أحبته بالخبر قبل الأثر ، وبالوصف قبل الكشف ، هو
 من يشغل ميزان وده ، ويخف ميثاق عهده ، كريم العهد ، صحيح العقد ، سليم
 الصدر ، حميد الورد فيه والصدر — هو لاخوانه عدة تشدهم وتقويهم ، ونور يسعى
 بين أيديهم ، هو ثابت ركن الإخاء ، صافي شرب الوفاء ، حافظ على الغيب ما
 يحفظه على اللقاء — هو ممن لا تدوم المداينة في عرصات قلبه ، ولا تحوم المواربة على
 جنبات صدره — هو يسرى الى كرم العهد ، في ضياء الرشد ، عهده نقش في صخر
 ووده نسب ملاق من نحر — يقبل من اخوانه العفو ، كما يولاهم الصفو ، في وده غنى
 للحالب ، وكفاية للراغب ، ومراد للصحب ، وزاد للركب ، هو في جبل الوفاء حاطب ،
 وعلى فرض الاخاء مواظب ، النجح معقود في نواصي آرائه ، واليمن معتاد في مذاهب
 أنحائه — له الرأي الثابت الذي تخفى بطلحة مكايده ، وتظهر عوائده ، والتدبير
 النافذ الذي تنجع ما ربه ، وتنهج قوالبه ، رأى كالسهم أصاب غرة الهدف ،
 ودهاء كالبحر : في بعد الغور ، وقرب المغترف ، لا يضع رأيه إلا مواضع الاحالة
 ولا يطرق تدبيره إلا على مواقع السداد والاصالة ، يعرف من مبادئ الاقوال
 خواتم الافعال ، ومن صدور الامور ، أعجازها في الصدور ، رؤيته رأى صليب ،
 وبديته قدر مصيب ، يسافر رأيه وهو دان لم يبرح ، ويسير تدبيره وهو ثاو لم
 يسرح — له رأى لا يخطئ ، شاكلة الصواب ، ومحض الرأى اذا أذكى سراج
 الفكر ، أضاء ظلام الامر — هو قطب صواب تدور به الامور ، ومستنبط صلاح
 يرد اليه التدبير ، يرى العواقب في مرآة عقله ، وبصيرة ذكائه وفضله ، وله رأى
 يرد الخطب مسلماً ، والرمح معلماً ، كأنه ينظر الى الغيب من وراء ستر رقيق ،
 وبطامه بعين السداد والتوفيق ، يستنبط حقائق القلوب ، ويستخرج ودائع
 الفيوب ، قد سرنا من مشورته في ضياء ساطع ، ومن رأيه الصائب في حكم قاطع

فهرس

صفحة	صفحة
٣٩ أوصاف الرجال	٣ صفات الطعام
٤١ شواهد الايمان	٥ المقامة البغدادية
٤٢ دلالة الحال	٧ وصف القطائف
٤٣ شعر لصيب	٩ نهم ابن الرومي
٤٧ ابن أبي دؤاد	١٠ صفات القواكه والثمار
٤٨ خالد القسري	١١ وصف الليل
٥٠ الأفشين التركي	١١ خلف الاحمر
٥٠ المذافقون	١٢ قصر الليل
٥١ كلمات مختارة	١٢ وصف منبج
٥٢ غرائب الأذواق	١٣ سعيد بن هرم
٥٤ جدهع الحلال أنف الغيرة	١٤ ذو الرياستين
٥٤ التهانى بالبنات	١٥ قبح السعاية
٥٥ أوصاف النساء	١٦ حزم المهدي
٥٨ غرائب الآمال	١٧ بكاء ذى الرياستين
٥٩ أخبار كثير عزة	١٧ وصف فرس
٦٤ كلمات مأثورة	١٨ شمس بن مالك
٦٥ شمس المعالي	١٨ خيل مصر
٦٦ رسائل البديع	١٩ صفات الخيل
٦٨ جعفر بن يحيى	٢٦ المقامة الحمدانية
٧١ شيء من النقد	٢٨ تفسيرات لغوية
٧٣ شعر الميكالى	٢٩ أمجز حر ما وعد
٧٦ أوصاف العلماء	٣١ المعرفة بقدر النعمة
٧٨ استعارات فقهية	٣٣ المعجز عن الشكر
٨٠ رسالة لبديع الزمان	٣٥ غرام أبى العتاهية
٨٢ أبو على بن جعفر البصير	٣٦ نفي أبى العتاهية

صفحة	صفحة
١١٠	٨٣ كتابه الى عبيد الله بن يحيى
١١١	٨٤ نعمة مصدور
١١٣	٨٥ آداب المسافرين
١١٣	٨٦ مدح السفر
١١٤	٨٧ ذم السفر والغربة
١١٥	٨٧ أبو عبيد الله
١١٧	٨٨ الفضل بن الربيع
١١٨	٨٨ أبو مسلم
١٢٠	٨٩ شعر كشاجم
١٢٠	٨٩ وصف أجزاء القرآن
١٢١	٩٠ وصف تحت
١٢٢	٩٠ وصف بركار
١٢٣	٩١ وصف بيكات
١٢٤	٩٢ وصف اسطرلاب
١٢٥	٩٢ أبو اسحاق الصائى
١٢٦	٩٣ وصف الهن
١٣١	٩٣ أوراك المذارى
١٣٣	٩٥ قلب المعانى
١٣٤	٩٧ ذكر النجوم
١٣٥	١٠٠ الاصمعى وبعض الاعراب
١٣٥	١٠٢ كلام الاعراب
١٣٦	١٠٤ أحزان التواكل
١٣٧	١٠٨ وصف رجل
١٣٩	١٠٨ بكاء الحمام
١٤٠	١٠٩ اسماعيل بن صبيح
١٤٠	١٠٩ رقة الحنين
١٤١	١١٠ دعوة الله
	١١٠ ذكرى الحبيب

صفحة	صفحة
١٧٢ عتايه لابن عبيد الله	١٤١ الاسترواح بذكر الصديق
١٧٣ تعازيه في البنات	١٤٢ شروط المنادمة
١٧٤ خير الاصهار	١٤٢ بساط السلاف
١٧٤ الرغبة في موت البنات	١٤٤ أيام الشراب
١٧٥ ابن الرومي والاختف	١٤٥ الدعوة الى الراح
١٧٧ علقمة بن عبدة	١٤٦ الكناية عن الشراب
١٧٧ طيرة ابن الرومي	١٤٧ غرائب الأخلاق
١٧٨ خوفه من ركوب البحر	١٤٨ بعد المتاب
١٨٠ العيافة والزجر	١٥٠ فضل الصبيان
١٨١ أحمد بن المدبر	١٥٢ مجالس الأنس وآلات اللهو
١٨٢ أبو الفضل الميكالي	١٥٣ خريات أبي نواس
١٨٢ عبد الوهاب الثقفي	١٥٤ سورة الكاف
١٨٣ الجاحظ وابن أبي دؤاد	١٥٤ ساقى المدام
١٨٣ عقبة بن أبي سفیان	١٥٤ ذكريات الشباب
١٨٤ الجاحظ وابن الزيات	١٥٤ رسائل البديع
١٨٥ كلام علي بن أبي طالب	١٥٥ كرائم النفوس
١٨٥ عبد الرحمن بن حسان	١٥٦ بين الهمذاني والحوارزمي
١٨٥ محمد بن حازم	١٦١ خطاب البديع الى سهل بن محمد
١٨٦ ابن الزيات	١٦٣ كتابه الى أبي سعيد الاسماعيلي
١٨٦ مرض الجاحظ	١٦٣ المقامة الفزارية
١٨٧ المقامة الجاحظية	١٦٤ كلهم لا آدم
١٨٨ اردشير بن بابك	١٦٥ فرس ابن الزيات
١٨٩ بزرجمهر	١٦٦ مساوي المزاح
١٨٩ خير الملوك	١٦٧ زجر الطير
١٨٩ بين الميكالي والثعالبي	١٦٨ النهي عن الطيرة
١٩٠ من الميكالي الى أبيه	١٦٩ جنازة عزة
١٩١ ومنه الى بعض اخوانه	١٧٠ الذنب للمطايا
١٩١ شذور من كلامه	١٧١ تطير ابن الرومي

صفحة	صفحة
٢١١ المتوكل وابن الضحاك	١٩٢ نماذج من شعره
٢١٢ أبو بكر الصولي	١٩٤ أدب الحاجب
٢١٣ محمد بن وكيع	١٩٤ مراتب الوافيين على الملوك
٢١٤ أبو الفتح البستي	١٩٤ الحسن بن سهل
٢١٥ أبو الفضل الميكالي	١٩٥ حكمة مأثورة
٢١٦ البحتري	١٩٥ سعيد بن عبد الملك
٢١٧ في مجلس المبرد	١٩٥ وصف قتي ماجد
٢١٧ الهيثم بن عثمان الغنوي	١٩٦ النجاة باسم الحبيب
٢١٨ الطيور في الربيع	١٩٦ ضوء الاحساب
٢١٩ ابن المعتز	١٩٨ حث الشوق
٢١٩ كشاجم	١٩٨ اسحق الموصلي
٢٢٠ أبو فراس	١٩٩ مخلد بن بكار
٢٢٠ ابن هانيء	٢٠٠ جودة الخط
٢٢١ أوصاف الرياض	٢٠٠ شكوى وراق
٢٢٢ أيام الربيع	٢٠٠ شعر الحمدوني
٢٢٣ الربيع والرفاق	٢٠١ حرفة الادب
٢٢٣ الصوم في الربيع	٢٠٢ فتنة وحرمان
٢٢٣ يوم الشك	٢٠٢ ابراهيم النظام
٢٢٤ شهر رمضان	٢٠٣ أفكار الوراقين
٢٢٤ كلمة ابن العميد	٢٠٣ أماني الشعراء
٢٢٥ طاهر بن الحسين	٢٠٤ الاضبط بن قريع
٢٢٥ الامين والمأمون	٢٠٥ وصف محبرة
٢٢٥ الفضل بن الربيع	٢٠٦ العلم قبل المال
٢٢٧ أخذ البيعة للمهدي	٢٠٦ آلات الكتابة
٢٢٨ كلمات الفضل بن الربيع	٢٠٨ عمال المأمون
٢٢٩ المنصور والربيع	٢٠٩ الورد والبرجس
٢٣٠ سهل بن هارون والرشد	٢١١ صفات الانوار والازهار
٢٣٠ شعر الفضل بن الربيع	٢١١ وصف الورد

صفحة	صفحة
٢٤٧ كلام الاعراب	٢٣٠ أبو العيناء وابن خاقان
٢٤٨ المقامة البلخية	٢٣١ طرفة أدبية
٢٤٩ من البديع الى الميكالى	٢٣٣ شاة سعيد بن احمد
٢٥٠ عتابه له	٢٣٤ طيلسان بن حرب
٢٥١ ابراهيم بن المهدي والمأمون	٢٢٧ الحسن بن رجاء
٢٥٣ معاوية وروح بن زنباع	٢٣٧ أبو العباس المبرد
٢٥٣ بعض خاصة المأمون	٢٣٨ وصف رجل ماجد
٢٥٣ أحد ملوك الفرس	٢٣٨ أبو جعفر المنصور
٢٥٤ بهرام جور	٢٣٩ محمد بن يوسف
٢٥٥ كتاب البديع الى أبي علي اسماعيل	٢٣٩ اسماعيل بن محمد
٢٥٦ كتابه الى ابن مشكويه	٢٤٠ ابن أبي ربيعة وجميل
٢٥٧ سهل بن هرون	٢٤٠ خليفة ابن أبي ربيعة
٢٥٩ الحسن البصري	٢٤١ العرجي
٢٦٠ التهئة برمضان	٢٤٢ نثر ابن المعتز
٢٦٠ أخلاق المؤمن	٢٤٤ قس ابن ساعدة
٢٦١ وصف رجل ماجد	٢٤٤ الحارث بن حلزة
٢٦١ وصف حسناء	٢٤٤ زيد بن ثابت
٢٦٢ غرر المدائح	٢٤٤ ابن العميد
	٢٤٦ أجمل ما قيل في العتاب

الغلطات المطبعية

صحح هذا الجزء بغاية العناية ، وقد وقعت فيه مع هذا غلطات مطبعية طفيفة لا تقوت القارئ ولا يتغير بها المعنى المراد . ووقع كذلك غلط قليل في بعض الكلمات المضبوطة : ولولا ندرة الاغلاط لوضعناها في فهرس خاص

مؤلفات

الكتاب الكبير

1

البداية

7

حیات الی عرش و شکر

٣

الاخلاق عند الغزالي

٤

فلاح العبيد

٥

ابن الشعير

زهرة الآداب

جاء في جريدة الاتحاد الفراء بمناسبة ظهور الجزء الاول من هذا الكتاب ما يأتي :

ندع الجانب العامي من الدكتور زكي مبارك للعلماء : ينفسون عليه علمه ويدفعهم عن نفسه ، ويمكرون به ويمكر بهم ، وان كنا نحس أنه خير منهم مكرراً ، وأعز جانباً ، ثم نقف عند الجانب الادبي منه معجبين ، مغتبطين

الدكتور زكي مبارك ليس من ذوى الاسنان ، بل هو شاب ، ولكنه من خيرة الشبان ذكاءً ، ومن أعظمهم نشاطاً وتوفيقاً . ولا غرو فقد نشأ في حضارة الاستاذين الدكتور طه حسين والدكتور منصور فهمي

وما كنا لنعرض للدكتور زكي مبارك بثناء لولا انه رشانا بعمله الجليل في كتاب « زهر الآداب للحصري » فحات هذه الرشوة عقدة اللسان بهذه الكلمة الوجيزة

كتاب « زهر الآداب ونمر الالباب » للحصري كتاب لا يقال في مدحه أقل من انه قد وضع ليلائم الذوق العربي في أى مكان ، وفي جميع الازمنة فهو كتاب قديم جديد ، تليد طريف ، يتمشى مع الادب العربي مهما كرت الايام ودرجت العصور

ولقد كان الادباء ينقبون عنه تنقيباً في الطبعة الموحدة على هامش العقد الفريد ، وكانوا يعانون من رداءة الطبع ، وكثرة الاغلاط ، وكثرة تحريف الكلم عن مواضعه في هذه الطبعة الألم الكثير ، فحملت الحمية الادبية الدكتور زكي مبارك على أن يغضب لنفسه ولاخوانه الادباء ، فقام بطبع هذا الكتاب على ورق صقيل طبعاً متقناً ، راعى فيه الدقة ، وزينه بضبط الالفاظ الغريبة وشرحها ، وبوبه تبويباً جميلاً ، مع الاحتفاظ بنفسه الاصلى ، نزولا على ارادة مؤلفه ، ومرضاة لاستاذه الدكتور طه حسين

وقد ظهر الجزء الاول من هذا الكتاب . فنحن الادباء به ، ونرجو لخرجه

التوفيق وحسن المثوبة